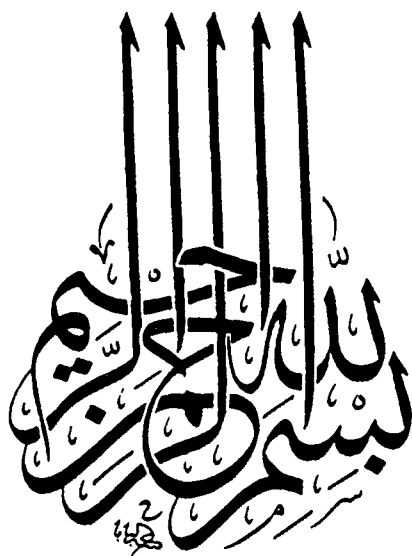


الخطأ في الطب والطب البديل

بحث هذا الكتاب العلمي في أخطاء الممارسة
الطبية وأدبياتها والبديل الطبية

تأليف
الدكتور توفيق الحاج يحيى

دار سعيد الدين
للطباعة والنشر والتوزيع



انخطأ في الطَّبِّ
والطَّبِّ البَدِيلِ

العنوان : الخطأ في الطب والطب البديل

المؤلف : الدكتور توفيق الحاج يحيى

عدد الصفحات : ٣٢٨

قياس الصفحة : ١٤ × ٢٠

عدد النسخ : ١٠٠٠

التنفيذ الضوئي : مركز الكريم الأول



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع 29 أيار - عين الكرش

مدخل بنك سورية والخليج - ص.ب 3143

هاتف 2319694 - فاكس 2326380

جوال 00963 944 484915

تطلب منشوراتنا في جمهورية مصر العربية من

مكتبة المتنبى

14 شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة

ص.ب : 501 - تلفاكس : 02 23900294

جوال : 012 4444904 - 012 3653675

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقن الطبع والنشر محفوظة لدار

دار سعاد الدين

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق
الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل
المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من
الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر .

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م

الإهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى ابن العم الذي أمتطى صهوة الشباب ومغرياته
حيناً من الدهر، لكنه ما وجد فيها سوى فراغ لا يملؤه
إلا العودة إلى الله تعالى واليقين به فعافها وعاد إلى
بيت ترعاه زوجة طالحة وبنون بررة، يفهم جميعاً
رضوان الله تعالى ورعايته، وعاد إلى أخوة خيرين، واثقاً
أن الخير من صاحب الأختيار.

إلى شفيح

أهدي كتابي هذا حامداً الله تعالى أن منّ عليه
بالشفاء والعافية، وملاً قلبه بالصفاء والإيمان، وصدق
رسول الله ﷺ حين قال: ((من أطبح منكم معافى في
جسده، أمناً في سربه، عنده قوت يومه فكانما

حيزت له الدنيا)). أخرجہ الترمذی وابن ماجہ

المحتويات

الإهداء.....	٥
المحتويات.....	٧
المقدمة: الممارسة الطبية علم وفن وحكمة.....	١٣
الفصل الأول: الأدب الطبي و أخلاقيات الممارسة.....	٢٥
الأدب الطبي:.....	٢٧
أخلاقيات الممارسة الطبية:.....	٢٨
السّرّ الطبي:.....	٣٥
المسؤولية الطبية (الضّمان):.....	٣٥
الإجهاض أو السّقط:.....	٣٨
التعقيم ومنع الحمل:.....	٣٩
الإلقاح الصناعي (طفل الأنبوب):.....	٤٠
استئجار الرحم:.....	٤١
الرحم الصناعية:.....	٤٢
الهندسة الوراثية (التحكم بالمورثات) والاستنساخ الحيوي:.....	٤٢
الحمل عند الرجال:.....	٤٤
زراعة واستئبات الأعضاء:.....	٤٥
القتل الرحيم (تهوين الموت) Euthanasia:.....	٤٧

خطأ الطبيب:	٤٩.....
الدَّجَل والشعوذة:	٤٩.....
الفصل الثاني: أخطاء الممارسة الطبية	٥١
الأخطاء الدوائية:	٦٠.....
الأخطاء النَّقْنِيَّة:	٩٤.....
الأخطاء السلوكية:	١٠٩.....
الفصل الثالث: الطب البديل وممارساته	١١١.....
ما هو الطب البديل؟	١١٣.....
نظريات الطب البديل في التشخيص والعلاج:	١٢٥.....
أهم البدائل التشخيصية:	١٣٢.....
I-فُرْحِيَّة العين Occular Iris:	١٣٢.....
II-الجلد Skin:	١٣٥.....
III-الشَّعْر Hair:	١٣٦.....
IV-الأظافر Nails:	١٣٩.....
V-تجويف الفم Mouth Cavity :	١٤٠.....
VI-النَّظْرَةُ أو لَمَحَةُ العين Glance:	١٤٣.....
VII-معايرة مضادات التأكسد في الدم:	١٤٤.....
أهم البدائل العلاجية:	١٤٥.....
I-المعالجة بالمواد الطبيعية:	١٤٥.....
المعالجة بمنتجات خلية النحل Bee Hive Product:	١٤٥.....

١٥٩	Ozon Therapy	المعالجة بالأوزون
١٦٢	AromoTherapy	المعالجة بالزيوت العطرية
١٦٧	Hydrotherapy	المعالجة بالماء -
١٧٣	Helio Therapy	المعالجة بأشعة الشمس
١٧٤	Pneuno Therapy أو Aero Therapy	المعالجة بالهواء
١٧٥	Mud Therapy	المعالجة بالطين
١٧٧	Insect-Therapy	المعالجة بالحشرات
١٧٨	Minero-Therapy	المعالجة بالمعادن
١٨٢	"Herbal Therapy"	المعالجة بالأعشاب (بالنبات)
١٨٥	Treatments with Vinegar	المعالجة بالخل
١٨٦	(ثمر النخيل):	المعالجة بالتمر
١٨٧	Nutritional Therapy	II-المعالجة بالغذاء
١٩٢	Fresh Food Therapy	العلاج بالغذاء الحيّ (الغضّ)
١٩٨	Macrobiotic	نظام الماكروبيوتيك
١٩٨	Diet Therapy-	المعالجة بالحمية
٢٠٦	Reki	III-المعالجة بالمنعكسات و حفز الطاقة بالإبر الصينية:
٢٠٨	"Magnetic Therapy"	العلاج المغناطيسي
٢١٢		IV-المعالجة بالتمسيد والتدليك أو بحفز حيوية الجهاز الحركي:
٢١٢	Rolfing	المعالجة بالتدليك العضلي العميق
٢١٣	Polarity	المعالجة بالطاقة المركزة أو باستقطاب الطاقة
٢١٣	Shiatsu massage	المعالجة بالمستاج الياباني (الشيانزو)

٢١٤	المعالجة بتقويم العظام Osteopathy :
٢١٧	المعالجة بتقويم العمود الفقري Chairopactic :
٢١٨	التدليك بسرير سراجيم :
٢١٨	V-المعالجة بالرياضة الطبية :
٢٢٠	تمارين الأيروبيك "Aerobec" : أو الرياضة الايقاعية :
٢٢١	VI-المعالجة بالحجامة: أو ما يُعرف اليوم بكاسات الهواء :
٢٣٧	VII-المعالجة بالفصادة Leeching :
٢٣٨	الفصادة بالعلق الطبي :
٢٤٠	VIII-المعالجة بالكي أو النار Cauterization :
٢٤٢	IX-المعالجة بالمحفزات النفسية :
٢٤٢	الأيورفيدا Ayur-vida :
٢٤٥	اليوغا Yoga :
٢٤٦	المعالجة بالتتويم المغنطيسي والإيحاء :
٢٤٩	المعالجة بالاسترخاء Relaxation Therapy :
٢٥٢	Photo Therapy :المعالجة باللون و الضوء
٢٥٤	Spell or Charm Therapy :المعالجة بالرقى
٢٦٨	Treatment With Hobbies :المعالجة بالهوايات
٢٧١	X-العلاج بالميزوثيرابي Mesotherapy :
٢٧٣	XI-العلاج بالإبر المبتلة Homeo puncture :
٢٧٣ :	Cell Therapy :المعالجة بالخلايا الجذعية: أو العلاج الخلوي
٢٧٤	XIII-المعالجة المثلية التجانسية Homeopthic Therapy :

٢٧٧.....	الفصل الرابع: قصص من الأخطاء الطبية
٢٩٧.....	الخاتمة:
٣٠٢.....	البدالة في المشافي
٣٠٥.....	الصور ورسوم الكتاب
٣٢١.....	المصادر والمراجع
٣٢٦.....	كلمة شكر واعتذار



المقدمة

كتاب الخطأ في الطب والطب البديل

المقدمة

الممارسة الطبية علم و فن و حكمة

مادة ٢١٨:

إذا أجرى طبيب عملية كبيرة لسيد بآلة برونزية، و سبب وفاته، أو إذا فتح محجر عين سيد و سبب فقد بصره ، فإن عقاب ذلك الطبيب قطع يده.

مادة ٢١٩:

إذا أجرى طبيب عملية كبيرة لمملوك بآلة برونزية و سبب وفاته، فعليه دفع تعويض مملوك بمملوك.

مادة ٢٢١:

إذا جبر طبيب عظاما مكسوراً لسيد أو شفاه من مرض مؤلم، فعلى المريض أن يدفع للطبيب خمس شياقل من الفضة.

هذا بعض ما ورد في شريعة حمورابي منذ حوالي ٤٠٠٠ سنة ق.م. و منذ ألف عام أيضاً و في أوج الحضارة العلمية العربية الإسلامية زمن العباسيين، مر طبيب بسوق بغداد، فوجد الناس قد تجمعوا حول رجل بسط العديد من بضاعة الأعشاب، و هو ينادي: (هذا للزكام، و هذا للفالج، و هذا للدود، و هذا لعسر الولادة، و هذا لأم الصبيان). فتقرب منه يسأله أين تعلم الطب، و لما وجده جاهلاً، قال: (أحرى بهذا الجاهل أن يودع في السجن، من أن يدعي

ما ليس له و يخلف للناس من الأمراض و الأذى ما لا يعلمه هو نفسه، و إلا فما هي الحاجة للأطباء في هذا العالم؟).

و اليوم و في أوج الحضارة الغربية، في الولايات المتحدة نحن أمام تقرير صادر عن الجمعية الأمريكية للأطباء في مطلع القرن الحالي يشير إلى أن عدد الوفيات الناجمة عن أخطاء الطب يصل إلى ٢٥٠ ألف وفاة سنوياً. و في إحصاء رسمي آخر أن حوالي ٩٨ ألف وفاة تحدث سنوياً في الولايات المتحدة بسبب أخطاء الطب في المشافي. و هو رقم يزيد على وفيات حوادث السيارات (٤٣ ألفاً) و عن وفيات سرطان الثدي (٤٠ ألفاً) عندهم.

و سجلت إحصاءات معهد الطب و البحوث في واشنطن عام ١٩٩٩ حدوث ما بين ٤٤ و ٤٨ ألف وفاة سنوياً في الولايات المتحدة بسبب الأخطاء الطبية و المهنية. و مع ذلك يرى خبراء السلامة، أن مثل هذه الأخطاء لا تُسجل بدقة، لأن المستشفيات لا تُبلّغ عنها عادة، ولا تُرسل تقاريرها إلى الوكالات الوطنية المسؤولة عن ذلك.

و في عام ٢٠٠٠ م سحبت الولايات المتحدة تراخيص ١٩٥٧ طبيباً. و في عام ٢٠٠١ م سحبت الولايات المتحدة تراخيص ٢١٩٠ طبيباً. عدد المرضى في الولايات المتحدة يومياً يساوي ٤ ملايين تقريباً، نسبة الخطأ في التشخيص و المعالجة ١٠%.

الأسباب حسب التقارير الأمريكية التي وردت في مجلة "Time" سببان رئيسان هما:

١- الإهمال و الاستهتار.

٢-نقص الخبرة.

تقرير عن مجلة "Time" الأمريكية.

و ليس الوضع في بريطانيا بأفضل من الولايات المتحدة، فهناك حسب سجلات المشافي البريطانية أكثر من ٨٥٠ ألف خطأ سنوياً، منها ٤٠ ألف وفاة، و ٢٨٠ ألفاً أصيبوا بعواقب الخطأ السيئة (مضاعفات) و هو عدد يفوق مجموع وفيات و إصابات حوادث السير و الطائرات أو الانتحار أو التسمم أو الغرق أو السقوط من أماكن شاهقة.

أما في اليابان فقد سجلت وزارة الصحة اليابانية وقوع ١٥ ألف خطأ طبي في ٨٢ مستشفى خلال أقل من عامين، أدت إلى حدوث ٣٨٧ حالة وفاة أو تشوه دائم أو شلل ... مما دفع المراقبين إلى إعادة النظر في تقييم النظام الصحي في اليابان، و مما دفع إحدى الصحف اليومية اليابانية لأن تكتب على صفحتها الأولى و بخط عريض: (ما هذا الطب الذي نتعامل معه اليوم؟).

و بالطبع على الرغم من عدم توفر الإحصائيات الدقيقة في البلدان المختلفة و منها العربية، فإن الوضع ليس بأفضل من ذلك أيضاً.ففي تقرير صادر عن وزارة الصحة السورية بالتعاون مع جامعة دمشق وصندوق الأمم المتحدة للسكان، نشرته مجلة (الصحة والطب) في عددها ٤٣٨ / ١٥ ابريل ٢٠٠٧، وهو أول دراسة سورية حول أسباب وفيات الأمهات في سوريا، تذكر الكاتبة أنه يومياً يُتوفى أم نتيجة الإهمال ونقص الخبرة وتدني مستوى التجهيزات الطبية داخل المشافي وخارجها. وأن ٩٠% من الوفيات ناجمة عن أخطاء التشخيص والعلاج وسوء الرعاية.

و في دراسة وصفية لحالات سوء الممارسة الطبية في تركيا نشرتها مجلة (المدونات الطبية السعودية - Annals of Saudi Medicine" في عدد سبتمبر - أكتوبر ٢٠٠٥ ننقلها حرفياً، جاء ما يلي:

(دراسة وصفية لحالات سوء الممارسة الطبية في تركيا:

مقدمة: إن التقييم المفصل لحالات سوء الممارسة الطبية من شأنه أن يحسن التدابير الوقائية و أن يقلل المطالبات الطبية. تصف هذه الدراسة حالات سوء الممارسة الطبية المقيمة من قبل المجلس الصحي الأعلى بين عامي ١٩٩٣م و ١٩٩٨م.

الطرق: أجرينا مراجعة لما مجموعه ٩٩٧ حالة سوء ممارسة طبية رفعت إلى المجلس الصحي الأعلى بين عامي ١٩٩٣م و ١٩٩٨م و تفحصنا قرارات هذا المجلس بشأنها. جمعنا بيانات عن الخصائص السكانية مثل نوع المؤسسة التي عمل فيها المدعى عليهم. نوع سوء الممارسة الطبية. و النتيجة الطبية.

النتائج: تم رفع ٩٩٧ حالة سوء ممارسة طبية إلى المجلس الصحي الأعلى خلال فترة الست سنوات بين عام ١٩٩٣م و ١٩٩٨م. قرر المجلس أن ما نسبته ٤٧,٧% من الأطباء تقع عليهم مسؤولية. حدث معظم حالات سوء الممارسة في مستشفيات حكومية (٤٢,٤%)، ونتج عن ٥٩% من الحالات وفاة. كان الإهمال و العلاج غير الملائم و الإخفاق في التشخيص هي أكثر الأفعال التي أدت إلى رفع دعاوى (سوء ممارسة) قضائية ضد جميع العاملين في الرعاية الصحية بما فيهم الأطباء.

الاستنتاج: نعتقد أن من الضروري تعديل النظام الصحي وظروف العمل في المستشفيات و تطوير خطوط استرشاد عملية سريرية. و نحن نرى أن التركيز على متابعة و مراقبة استعمال بروتوكولات التشخيص و العلاج و المقاييس و التعليم بعد التخرج، و موافقة المريض الواضحة عن علم، وتحسين التواصل مع المرضى، من شأنه أن يقلل كثيراً من مطالبات سوء الممارسة الطبية.)

وقد جرت العادة أن يُلام الطبيب في كل حالة خطأ طبي، و لكن الحقيقة ليست كذلك، فموضوع الخطأ في الطب موضوع شائك و شائع و معقد كتعقيد علم الطب ذاته، عدا أن الحقيقة في الطب -كما قال يوحنا بن ماسويه في القرن التاسع للميلاد- هي (غاية لا يمكن الوصول إليها، و الأدوية الموصوفة في الكتب، ضارة جداً، إذا لم يوص بها طبيبٌ حاذق) و نحن نعلم أن الطبيب الحاذق ليس فقط من حمل شهادة الطب اللازمة للممارسة، بل من يتابع دراساته و أبحاثه ليزداد كل يوم علماً فوق علمه، و معرفةً فوق معرفته. فهو إذاً كما سمّاه العرب (الحكيم) و ليس فقط (الطبيب).

و إنه لا بد من القول أن علم الطب يتأثر بعوامل عديدة، جعلت منه علماً متبدلاً، و غير ثابت النظريات. هذه العوامل يمكن وضعها ضمن زمرتين: العوامل الفردية و العوامل البيئية:

العوامل الفردية:

فالمريض الذي هو محور علم الطب و موضوعه، آلة شديدة التعقيد، إلى درجة يستحيل معها التوصل إلى معرفة كل شيء عنها، و بكلمة أخرى إن معرفتها المطلقة لا تدخل إلا ضمن علم الله تعالى، و تبقى معرفة الإنسان الكاملة، نسبيةً و قاصرة مهما بلغنا من العلم. يقول تعالى:

(سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد). فصلت - ٥٣.

و لننقسمه علم التشريح الطبي إلى خلايا "Cells" و أنسجة "Tissues" و أعضاء "Organs" و أجهزة "Systems" مما يتكون منه بدنُه الكامل

أو عُضُويَّتُهُ "Organism"، فإنما هو تقسيمٌ دراسي يهدف إلى تسهيل دراسته و التعرف عليه مادياً فقط، حيث أغفل هذا التقسيم الروحَ و النفس و العقل و العواطف.

و مازالت رحلة العلم ضمن أغوار هذا المخلوق العجيب -المعلوم و المجهول- رحلةً عسيرةً و شاقةً و مثيرةً معاً. وبهذا أصبح الطبُّ علماً متطوراً و متبدلاً بتبدل الإنسان، فلا نستغرب إذا ما تبدلت نظرياته و وسائله، تبدلاً لا يخضع لأية قاعدة عامة أو منهج عام. و يتداول الأطباء دائماً فيما بينهم فكرة أن (١+١) التي تساوي (٢) حتماً في الحساب و الرياضيات، لا تساوي (٢) في الطب بل قد تساوي ٠ أو ٣ أو ٢ أو غير هذا، وذلك لعدم ثبات المعداد (الذي هو المريض) من عهد آدم عليه السلام حتى قيام الساعة، حيث إن لكل فرد من مليارات البشر فرديَّته و ميزاته و جيناته الخاصة، التي لا تنطبق على أحد غيره، حتى عند التوائم وحيدة المشيمة. و لعلنا في المستقبل و بعد تطور علم الاستنساخ، نستطيع أن نقول قولاً مناقضاً لهذا؟

هذا بالنسبة لفرديَّة الإنسان كمريض. أما الطبيب و هو المحور الثاني للطب، فهو أيضاً إنسان له فرديته المميزة، من هدوء و صبر و علم و معرفة و أخلاق و غيرها من المكونات البدنية و النفسية. و هو بشر من بني آدم غيرُ معصوم عن الخطأ، (فكلُّ ابن آدم خطاء).

وما ينطبق على المريض و الطبيب، ينطبق أيضاً على الكوادر العاملة في مجال الممارسة، من ممرضين و ممرضات و مخابرين و شعاعيين و إحصائيين و إداريين و غيرهم.

العوامل البيئية:

سواء كانت البيئة الطبيعية أو الاجتماعية. فاليئات الطبيعية تختلف اختلافاً كبيراً، و ما يُعالج به مرضٌ في بيئة حارة ، لا ينطبق تماماً على علاج المرض نفسه في بيئة باردة مثلاً ، كما أن البلاد الجافة غير البلاد الرطبة. و العديدُ من الأمراض مُشترك بين الإنسان و الحيوان، و قد تكون دورة حياته فيهما معاً. و أمثلة هذا الاختلاف كثيرة لا تعد و لا تحصى، و ينجم عنها اختلاف كبير في طرق معالجة الطبيب لمريضه، و بالتالي قد يتعرض بسبب ذلك لأخطاء غير مقصودة و لا سبيل لتلافياها.

أما البيئة الاجتماعية أيضاً فلها تأثير كبير على مستوى التعامل الطبي، فالمجتمعات البدائية أكثر تعرضاً للأخطاء الطبية من المجتمعات المتحضرة، و المجتمعات التي يسود فيها الجهل و نقص الثقافة الصحية الجيدة، و فساد الأنظمة و القوانين الطبية و غير الطبية أيضاً يُعرض لانتشار الأخطاء الطبية و الأمثلة كثيرة ستأتي في حينها.

لقد أدت هذه العوامل إلى تشعب النظريات الطبية و تبدلها من حين لآخر، و من بلد لآخر، و من حضارة لأخرى كما أدت إلى تعدد التخصصات الطبية بحيث لم يعد يبحث الأخصائي إلا ضمن دائرة اختصاصه، مما يزيد من إمكانية الوقوع في الخطأ الطبي. إضافة إلى هذا، فإن الاعتماد المفرط على

التقنيات، أدى إلى انتفاء (استبعاد) العلاقة السريرية بين الطبيب و المريض - تلك العلاقة الروحية البدنية المقدسة- و أصبح تعامل الطبيب مع المريض يقوم على أنه أعضاء و أجهزة و ... و مادة فقط، و بهذا أيضاً تبدلت نظرة المريض للطبيب، فبعد أن كان الطبيب بالنسبة للمريض، مفزعاً للملهوف و مُغيثاً للمرضى و ملجأً للمتعبين، أصبح يُنظر إليه نظرة مادية بحتة، سواء في البلدان التي يُطبق فيها التأمين الصحي، أو في البلدان الأخرى.

و هكذا نجد أن ما أعطتنا إياه الحضارة بيدها الأولى، أخذت مقابلةً باليد الأخرى، و بدأنا نقع في خطأ متفاقم يتراكم يوماً بعد يوم. و لا بد أن نؤكد أن العديد من النظريات الطبية التي كانت تُعتبر ثابتة يوماً ما، أصبحت غير ثابتة في يوم لاحق. و أن الطب السريري الذي يُعتبر الإنسان وحدةً كاملة أو شموليةً "Holism" بجسده و روحه، هو الطب الحقيقي الذي يحقق شفاء المريض و تخفيف آلامه.

و لعل هذه الأسباب هي التي تفسر لنا لماذا بدأ العالم منذ منتصف القرن الراحل، يطالب بطبّ بديل مأمون و بسيط و خال من التعقيدات، يقف جنباً إلى جنب مع الطب الحالي، ليخلص الإنسان من آلامه، و يعيده إلى حالة السواء الصحي، البدنية و النفسية، و بخاصة أن الإنسان لا يدرك أهمية صحته إلا إذا مرض، فالصحة السوية هي الأمر الطبيعي. أما المرض فهو الأمر الطارئ (الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى). و لكن التخلي عن هذه الحضارة، و العزوف عنها، و الابتعاد عن سيئاتها، أمور قد أصبح من المستحيل تحقيقها، فهي كالسيل الجارف الذي يحمل الغث و السمين

و لا يمكن فصلهما عن بعض. لهذا كان لا بد لكل منا من معرفة عامة واسعة، و من ثقافة صحية أساسية تشمل المعارف الطبية و الصحية الأساسية، سواء كان طبيباً أو غير طبيب، و تشمل أيضاً المعارف السلوكية في حالة المرض و الصحة. هذه المعارف التي تختلف كثيراً من بيئة لأخرى، و من شعب لآخر ... تبدو للوهلة الأولى أنها بديهية و ساذجة، إلا أن الجهل بها يترتب عليه أخطاء طبية فادحة، سنورد أمثلة حية منها في طيات هذا الكتاب. فالتعامل بين الطبيب و المريض، وبين المريض و العواد، و بينه و بين الممرضة، و بين الأطباء و ذوي المهنة الآخرين و كل ذلك يلعب دوراً كبيراً في الإقلال أو الإكثار من حوادث الخطأ الطبي.

كما أن الطب الذي كان في الحضارات القديمة يعتمد على السحر و الشعوذة و الروحانيات و ما شابه انقلب رأساً على عقب فأصبح في حضارتنا طباً مادياً بحتاً، انتفى منه العنصر الروحي كما أسلفنا، أو على الأقل انحسر العامل الروحي فيه إلي مجموعة تدعى اليوم (بالمراض النفسية البدنية).

و إننا على الرغم من زهونا و افتخارنا بحضارتنا العلمية عامة و الطبية بالخاصة، هذه الحضارة المذهلة، حضارة الحاسوب و الاتصالات و الكاميرا و ... فعلينا أن ندرك أن الإنسان قبلنا قد وصل إلى حضارات مذهلة أيضاً وقد تكون أعظم مما وصلنا إليه، و لكن في كلا الحالتين لم يصل إلى حلٍ شافٍ لمشكلة المرض، و إن كان هدف الجميع هو تخفيف الألم و شفاء الإنسان.

و أخيراً وبغية الإفادة من الطب و التخفيف من الأخطاء، يلزم أن تقتصر
الممارسة الطبية بالحكمة، فالممارسة الطبية ليست علماً فقط بل هي فنٌ
و هُديٌّ يهتدي به علم الطب. و قد أسلفنا أن العرب قد دعوا الطبيب (بالحكيم)
مما لا يوجد في أي لغة أخرى، وبذلك أنصفوه إنصافاً كبيراً، إضافة إلى أن
هذه التسمية إن دلت على أمر، فهي تدل على أن أفضل الأخلاق و مبادئ
السلوك الخيرة، نشأت من الشرق، و من المنطقة العربية بالذات، و يؤكد هذا
أيضاً أن العديد من المؤلفات العربية القديمة قد دُعي (بالطب و الحكمة).



الفصل الأول

الأدب الطبي و أخلاقيات الممارسة

كتاب الخطأ في الطب والطب البديل

الأدب الطبي و أخلاقيات الممارسة

الأدب الطبي:

يُطلق تعبير (الأدب الطبي أو الثقافة الطبية – Medical Literature) بصيغة المفرد، أو التعريف بـ(أل) على مجموعات الأعمال المكتوبة أو المسجلة بأي شكل من أشكال التسجيل، و التي تُخصّ موضوعاً طبياً مُعيّناً، و التي اعتمدت من قبل الهيئات الطبية العلمية المُعترف بها عالمياً، حيث تقوم هذه الهيئات بتسجيل تلك الأعمال، وضمّها إلى بعضها - أيّاً كان مصدرها - و تحفظها في أماكن مخصصة كالمكتبات العامة، أو الجامعات، أو مراكز البحوث، أو غيرها ... حيث يتمكن الدارسون والباحثون من اللجوء إليها و الاستفادة منها كوثائق و مراجع طبيّة مقبولة.

وقد كانت الفائدة من هذه النصوص خطيّة، أما اليوم بعد ثورة الاتصالات وتطورها، فقد أصبحت هذه الفائدة ممكنةً بطرق شتى و أشكالٍ عديدة: خطيّة أو شفاهية عن طريق الهاتف أو البريد السريع "DCL" أو الشبكة العالمية "Internet" أو غيرها من وسائل الاتصال الحديثة ...

و تعبيرُ (الأدب الطبي) تعبير حديث العهد، ظهر في عصرنا الحالي في أواخر القرن التاسع عشر. إلا أن التاريخ يذكر وجود بعض أشكال الأدب الطبي في القديم، مما ورد معنا عند الآشوريين، أنهم كانوا يضعون مرضاهم على قارعة الطريق، حتى إذا مرّ بهم المارة ممّن أصيبوا قبلهم بنفس المرض،

وصفوا لهم العلاج المجرب، و حَفَظَت تلك الوصفة، ضمن الرُّقْم المحفوظة في قصر آشور بانيبال، للإفادة منها فيما بعد.

أخلاقيات الممارسة الطبية:

أما تعبير (آداب الطب أو أخلاقياته - Medical Manners) بصيغة الجمع، فهو مجموعة النُظُم و القوانين و الضوابط، التي تُنظّم مهنة الطب، و التي تطورت و تشعبت من خلال العصور و تعاقب الحضارات، حتّى أصبحت بشكلها الحالي الذي نراها عليه اليوم، كمادّة درسٍ جامعيّة، تُدرّس للطلبة في السنة الأخيرة من كليات الطب. وهي تشمل المؤهلات العلميّة، و الرُّخص القانونيّة المطلوبة لممارسة المهنة. وبحق لم تستطع القوانين في بلاد العالم، حتّى أيامنا هذه، ضبط هذه الأمور بشكل دقيق ومكتمل، و مازال العديد منها خاضعاً للقوانين القضائيّة العامّة، و التي تختلف من بلد لآخر، ومن زمان لآخر.

وقد كان اعترافُ شيخ القبيلة، عند الأقوام البدائيّة، بمن يمارس التطبيب، و تقرّبه منه، كافيين و بمثابة مؤهل طبي علمي يسمح لهذا الممارس بالعمل. و كانت خبرته تتطور من خلال التجارب، أو بالوراثة (أباً عن جد) و مع التطور الطبيعي هذا، أصبح الكهان و الرهبان في الأديرة و الكنائس، هم الأطباء. كما أن من المظاهر الطبيّة البدائيّة، التي ما زلنا نراها إلى عهد قريب، بشكلٍ أو بآخر، نذكر ممارسة الحلاقين لطبابة الأسنان، و ممارسة بعض العجائز من النساء أو الرجال، للتجبير في كسور العظام، أو لمعالجة بعض أمراض العيون كالرّمَد، أو حتّى إجراء عمليّة الساد "Cataract" في

المنزل، أو ممارسة التصنيع الدوائي البسيط، كصنع الحبوب والمراهم والشرابات وغيرها ... و من الطريف ذكره، أنَّ امرأة عجوزاً، في إحدى القرى من منطقة ممارستي، تقوم بتجبير عظام المكسورين، على الرغم من وجود عدد من الزملاء المتخصصين بأمراض العظام والأشعة. ولدى سؤالها كيف تعلمت التجبير؟ أجابت أنها تعلمته أولاً على عنزتها التي كسر الراعي رجلها بحجر كبير، فعمدت هي إلى معالجتها وتجبيرها وشفيت، ومنذ ذلك الحين، امتنعت التجبير وتعتبر عملها صدقةً جارية. كما أنني ما زلت أذكر (مريم القطارة) وهي عجوز كان أطفالُ البلدة يلجؤون إليها مع أمهاتهم، في بيتها العتيق، مصابين بالرمد، فتصفهم على الأرض، كلُّ في حضن أمه، وتساعد الأم على فتح عيني الطفل كي تقطر له بضع قطرات من زرقاة الميتلين، أو الميركروكروم الأحمر الممدد، (قطرة زرقاء وقطرة حمراء).

وكثيراً ما كان يختلط الطب البشري بالطب البيطري، وكثيراً ما كان للشعوذة و السحر دورٌ كبير في تلك الممارسات، مما كان لا بدَّ معه من ضبط الأمور، ووضع أسس و قوانين لكل مُطبِّب.

يُعتقد أن أول من اشترط على المطبيين، الحصول على مؤهل علمي، كان حمورابي ملك بابل (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) و أن تشريعاته التي مرَّت معنا، كانت أولى التشريعات العالمية، حيث حدَّت جميع الأمم حدَّو بابل، ووضعت لمن يود تعاطي صناعة الطب، تشريعات وشروطاً تتناسب و ظروف تلك الأمم. وقد اشترطت بعض الأمم بالإضافة إلى المؤهل العلمي، أن يتوفر في الطبيب شروطٌ جسدِيَّةٌ خَلْقِيَّةٌ، وأن يتعلم ثقافات عديدة إلى جانب علم الطب،

كي تكتمل لديه الحكمة وحسن التصرف في الأمور. فقد ورد في تذكرة داوود الأنطاكي (١٠٠٨ هـ) حول تعاطي صنعة الطب المقالة التالية:

لينبغي لهذه الصناعة الإجلال و التعظيم و الخضوع لمتعاطيها، لينصح في بذلها و كشف دقائقها ... وينبغي تنزيهه عن الأراذل، والضنُّ به على ساقطي الهمّة، لئلا تتركهم الرذالة عند الدعوة إلى واقع في التلف فيمتنعون، أو فقير عاجز فيكلفونه ما ليس في قدرته. قال هرمس الثاني: (وهذا العلم خاص بالأسقلميوس عليهم السلام، لشرفهم فيكافؤونه) واعتذر الفاضل أبقراط، في إخراجهم عنهم إلى الأغراب، بخوف الانقراض، فكان يأخذ العهد على متعاطيه فيقول:

(بَرِئْتُ مِنْ قَابِضِ أَنْفُسِ الْحُكَمَاءِ، وَفَيَاضِ عُقُولِ الْعُقَلَاءِ، وَرَافِعِ أَوْجِ السَّمَاءِ، مُزَكِّيِ النَفُوسِ الْكَلِيَّةِ، وَفَاطِرِ الْحَرَكَاتِ الْعُلُويَّةِ، إِنْ خَبَأْتُ نَصْحاً، أَوْ بَذَلْتُ ضَرّاً، أَوْ كَلَفْتُ بَشِراً، أَوْ تَدَلَّسْتُ بِمَا يَغْمُ النَفُوسَ وَقَعَهُ، أَوْ قَدَّمْتُ مَا يَقْلُ عَمَلُهُ إِذَا عَرَفْتُ مَا يَعْظُمُ نَفْعُهُ. وَعَلَيْكَ بِحَسَنِ الْخُلُقِ، بِحَيْثُ تَسَعَّ النَّاسُ، وَلَا تُعْظَمُ مَرَضاً عِنْدَ صَاحِبِهِ، وَلَا تُسَرِّ إِلَى أَحَدٍ عِنْدَ مَرِيضٍ، وَلَا تَجَسَّ نَبْضاً وَأَنْتَ مُعْبَسٌ، وَلَا تُخْبِرَ بِمَكْرُوهِ، وَلَا تَطْلُبَ بِأَجْرٍ، وَقَدْ نَفَعَ النَّاسَ عَلَى نَفْعِكَ. وَاسْتَفْرِغْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكَ زَمَامَهُ مَا فِي وَسْعِكَ، فَإِنْ ضَيَّعْتَهُ فَأَنْتَ ضَائِعٌ، وَكُلٌّ مِنْكُمْا مُشْتَرٍ وَبَائِعٌ، وَاللَّهُ الشَّاهِدُ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ، فِي الْمَحْسُوسِ وَالْمَعْقُولِ، وَالنَّاطِرِ إِلَيَّ وَإِلَيْكَ، وَالسَّامِعِ لِمَا نَقُولُ. فَمَنْ نَكَثَ عَهْدَهُ، فَقَدْ اسْتَهْدَفَ لِقَضَائِهِ، إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ عَنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ، وَذَلِكَ مِنْ أُمُحْلِ الْمَحَالِ. فَلْيَسْلُكِ الْمُؤْمِنُ سَبِيلَ الْإِعْتِدَالِ).

وقد كانت اليونان تتخذ هذا العهد درساً، والحكماء مطلقاً، تجعله مصحفاً، إلى أنفسد الزمان، وكثرُ الغدرُ وقلَّ الأمان، واختلط الرفيعُ بالوضيع (فإنه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) (وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون).....

وقال بعض شُرّاح هذا العهد إنه قال فيه: (وبجب اختيار الطبيب حسن الهيئة، كامل الخلقة، صحيح البنية، نظيف الثياب، طيّب الرائحة، يسرُّ من نظر إليه، وتقبل النفس على تناول الدواء من يديه، وأن يُنقن بقلبه العلوم التي تتوقف الإصابة في العلاج عليها. وأن يكون متيناً في دينه، متمسكاً بشريعته، دائراً معها حيث دارت، واقفاً عند حدود الله تعالى ورسوله، نسبتهُ إلى الناس بالسّواء، خَلَّى القلب من الهوى، لا يقبل الارتشاش، ولا يفعلُ حيثُ يشاء، لِيُؤْمَنَ معه الخطأ، وتستريحَ إليه النفوسُ من العناء) انتهى كلام داوود.

وها هو الرازي (٢٥١هـ - ٣١٣هـ) في رسالة لأحد تلاميذه، يوصيه بأن يصون نفسه عن الاشتغال باللهو والطرب، لأن اللهو والطرب، يُخرجان الطبيب من دائرة العقل والوقار التي تلزم الطبيب، إلى دائرة الخفة والهزل. وينهاؤه عن تناول المسكر، فالمسكر يذهب عقل الطبيب ووقاره، ويجعله عاجزاً عن تدبير الأمور بالعامّة، والعمليات الجراحية بالخاصة. و من كلماته المأثورة في هذه الوصية:

(اعلم يابني بأنه ينبغي للطبيب، أن يكون رفيقاً بالناس، حافظاً لغيبهم، كتما لأسرارهم ... مخلصاً لله تعالى. وأن يَغضَ الطرف عن النسوة ذوات الجمال والحسن، وأن يتجنب لمس شيء من أجسادهن إلا بمقدار الحاجة لإجراء الفحص الطبي ... وألا يتعالى ويتكبر على الناس، وألا يُصاب بالغرور ...).

و للرازي وصايا و حكم عديدة في تدبير المرضى نذكر منها أقواله التالية:

- إذا كان الطبيب عالماً و المريض مطيعاً، فما أَقَلُّ لُبْثِ العلة.
- من تطيب عند الكثير وقع في خطأ كل منهم.
- إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية، فقد وافق السعادة.

- على الحكيم الماهر أن لا يعالج بما نصّت عليه الكتب فقط، بل أن يُعملَ العقلَ والحكمةَ والتدبير.
- على الطبيب دائماً أن يوهّم مريضه بالصحة، و يُرَجِّيه بها، وإن كان غيرَ واثقٍ من ذلك، لأن مزاج الجسم مرتبط بمزاج النفس.

وهذا هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر (٣٧٦هـ—٤٦٠هـ) رئيس أطباء مصر، يوصي الأطباء قائلاً: (ياك أيها الطبيب والاشتغال عن صناعتك بلذات البهائم من الأكل والشرب والنكاح وجمع المال والمفاخر وحب الصلف والركوب والملبس، وغير ذلك من الأشياء التي يُتفاخر بها، وتُموّه على العوام، كمخالطة نوي اليسار وتطويل اللحية والشنب ...)

ويصف ابن رضوان الطبيبَ الفاضلَ بأوصاف تشبه ما ورد في عهد أبقراط. هذه الصفات تتمثل في كونه تامّ الخلق، صحيح الأعضاء، ذكياً ذكوراً، عاقلاً، حسن الملبس، نظيف البدن، كتوما لأسرار المرضى، حريصاً على شغائهم أكثر من حرصه على الأجر، راغباً في معالجة الفقراء، أكثر من رغبته في معالجة الأغنياء، حريصاً على التعلم ومنفعة الناس، سليم القلب، عفّ النظر، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء، أميناً على الأرواح و المال، لا يصف دواءً قتالاً أو مسقطاً للجنين، يعالج عدوّه كما يعالج صديقه بكل إخلاص.

وقد اشترط ابنُ رضوان في تعليم الطب، أن يدرس الطالب أولاً الهندسة والمنطق، وأن يتعرف على الأعشاب، وأن يطلع على كتب أبقراط وجالينوس.

وهذه جامعة دمشق، أول جامعة تُدرس الطب بالعربية في عصرنا الحالي، وقد ظلت إلى عهد قريب تشترط أن يقضي طالبُ الطب سنته الأولى في كلية العلوم، لنيل شهادةٍ دُعيت بشهادة (العلوم الفيزيائية والكيميائية والحيوية (P.C.B) "Physics- Chemistry- Biology" بسبب علاقة هذه العلوم مع الطب.

وفي أيامنا هذه أيضاً، أدخل العديد من الأبحاث على علوم الطب كالهندسة الطبية، والصناعات الدوائية، وعلم البصريات، وعلوم الأشعة وغيرها ... وبما أنه من العسير على أي طبيب الخوض في غمار هذه العلوم جميعها، فقد نشأت التخصصات العديدة، التي لن نتوقف عند حد معين، فكل يوم هناك تخصص جديد، ولكل تخصص شهادة مُعترفٌ بها، وفترة تدريب عملية لا غنى عنها. وفي جميع الأحوال، أصبح لا بد للطبيب من مؤهل قانوني هو شهادة الطب الجامعية، ومن ثقافة طبية متطورة أصبحت معروفة في أيامنا تحت تعبير: التعليم الطبي المستمر. فما بالنا في العديد من البلدان حيث تنتهي مهمة الطبيب واستغناؤه عن المطالعة فور تخرجه، فيترك كتابه ومطالعته للعلوم الحديثة التي فيها كل يوم أمرٌ جديد، حتى إذا ما مضى على تخرجه أعوام، أصبح بعيداً عما استجد في مهنته.... كما أنه لا بد له من الإلمام بثقافة عامة في مختلف العلوم، وبخاصة منها التقنية والحياتية. ونحن نعلم أن الأطباء القدامى لم يكونوا أطباء فقط، بل كان أغلبهم من الفلاسفة والفلكيين وعلماء الاجتماع (موسوعة معارف).

ولا بد هنا من التنويه إلى أن أي عمل طبي، يقوم به طبيب في عيادته أو مشفاه، مهما كان شأنه، وأينما كانت ممارسته، يُعتبر بحق بحثاً علمياً ومساهمة فعالة في تقدم الأدب الطبي، حيث إن الطب الحقيقي، هو طب السريريات الذي يتعامل مع المرضى دونما وساطة، ودونما تعقيدات تقنية وحضارية. ولهذا كان أطباء الريف هم اللبنة الأساسية في بناء الهيكل الطبي السريري، في جميع أنحاء العالم. إضافة إلى هذا فإن جميع علومنا اليوم، ومنها علم الطب، ما هي إلا نتائج قيم لتجارب وأبحاث الأمم السابقة، مُسَكَّلةً (مقوّلة) حسب تقنيات وأبحاث عصرنا الحالي وما استجد فيه من إجابيات أو سلبيات.

ومن الطريف ذكر القصة التالية، التي وردت في (النزهة المبهجة) من التذكرة ج ٢ ص ٣٤ :

(قد جرت العادة بامتحان العامة الفضلاء، فقد قيل إن الأستاذ أبقرط، حين دعاه بعض ملوك اليونان لطبّه، أخرج إليه قارورة وكانت بولّ ثور، فقال له: بِمَ يشتكّي هذا المريض؟ فقال بقلّة التبن والحبّ، فرفع مكانه) هذه القصة تدل على خبرة أبقرط السريرية من مجرد رؤية قارورة البول، ومعرفته أنه بول حيوان يأكل التبن والحب، حيث كان فحص البول - أو ما دعاه العرب فيما بعد بفحص القارورة أو التفسرة أو الإدرار - ذا أهمية رئيسة يُعتمد عليه في كشف وتشخيص العديد من الأمراض.

تشمل آداب الطب، أموراً عديدة نشأت على مرّ الأزمنة والعصور نذكر أهمها بإيجاز شديد:

السّرّ الطّبي:

على الطّبيب كتمان سرّ المرضى، فهم مضطرون للبوح بأسرارهم له، حيث إنّ على ذلك يُبنى التشخيص والعلاج. وسرّ المهنة الطّبية سرٌّ مقدّس، يلتزم الطّبيب بكتمانها، حتّى ولو سمح له مريضه بذلك. هذا المبدأ هو مبدأ عام، إلّا أنّه لكل قاعدة شواذ، فقد يقف الطّبيب أمام حالات محيرة يترتب على كتمان السّر فيها، أضرارٌ وأخطار، ومن أمثلة هذه الحالات وثيقة الزواج التي قد يؤدي البوح بها إلى مشاكل أُسرية ليست بالحسبان، ومنها الأمراض الجنسيّة، والوراثيّة والعقليّة، والأمراض الساريّة والوبائيّة، والولادات السريّة، والإجهاض الجنائي، والاعتداءات والجرائم، وغيرها ... ومن هنا ظهرت اجتهادات عديدة، منها ما يبيح للطّبيب البوح بالسّر الطّبي للمحاكم وغيرها، وبخاصّة إذا كان الطّبيب يعمل في مؤسسة، أي أن التزمه وعقده المباشر مع المؤسسة لا مع المريض. ومنها ما يعتبر السّر مقدساً لا يجوز البوح به مطلقاً، لأية جهة كانت، حيث إنّ السّر الطّبي حقّ شخصي للمريض، قد يبوح به هو نفسه، ولكن ليس للطّبيب ذلك. وما زالت مشكلة السّر الطّبي مشكلة معقّدة، والاجتهادات فيها عديدة، و يبقى ضمير الطّبيب فيها هو الحكم الفصل، وهدفه أو نيّته، هي موضع المسؤوليّة.

المسؤوليّة الطّبيّة (الضّمان):

تتطلب الممارسة الطّبية من الطّبيب، أن يقوم بفحص وتشخيص مرضه، ومعالجته على الوجه الأكمل، أي بما يقتضيه علم الطب ووجدان الطّبيب وخبرته، بهدف واحد هو إفادة المريض.

ولما كان هذا الكلام ذا هامش واسع، قد يتعرض الطبيب من خلاله إلى الاتهام بالتقصير أو الإهمال أو الاستهتار أو اللامبالاة، أو بالعكس إلى التهور والتسرع فيما اتّخذ من إجراءات، فقد يقع فريسةً للمساءلة القانونية والاجتماعية. وأمثلة هذا كثيرة، فقد يلجأ جراحٌ ففتحَ بطنَ مريضٍ لاستئصال جسم غريب، إلى استئصال الزائدة أو رتقٍ فتقٍ وجَدَه عَرَضاً، دون التمكن من استشارة المريض الذي هو تحت التحذير العام، فيُسانِلُهُ المريض بعد صحوه، وقد يلجأ إلى إقامة دعوى جزائية عليه. وقد قام جراحٌ أمريكي كان يجري عملية فتح بطنٍ لمريضةٍ، باستئصال وَحْمَةٍ (شامة) رآها مُشوّهةً للخذ، فاجتهد في تخليصها منها، ولكنه فوجيء بدعوى جزائية أقامتها المريضة التي كانت تعمل ممثلة وراقصة، وكان لهذه الوحمة أهميةً جماليةً بالنسبة لها. وبالطبع حكمت المحكمة لها بتعويض مادي كبير دفعه الجراح على الرغم من حُسن نيّته. وقد يبدأ الطبيب معالجة مريضه بعمل جراحي أو غير جراحي، ثم يُهمل متابعته لأسباب عديدة، منها عدمُ التزام المريض بالتعليمات، أو عدم دفعه أتعاب الطبيب، أو غير ذلك ... وقد يُتهم طبيب أسنان - خاصة - بمحاولته الاعتداء الجنسي على مريضةٍ مُهلوسة. وقد يُسأل طبيبٌ عن مريض عالجه ثم غاب عنه فترةً حتى توفي لأسبابٍ قد لا يكون للطبيب يدٌ فيها. والأمثلة كثيرة وعديدة، لا يمكن حصرها، وهي تزداد يوماً بعد يوم مع التقدم التقني والحضاري. ولهذا يُنصح الطبيب دوماً إذا قَصَرَ علمه وخبرته عن وضع التشخيص أو المعالجة، بأن يلجأ لمشورة الزملاء، وإذا اضطر للغياب عن مريضٍ بدأ معالجته، بأن يُنيب عنه أحداً من زملائه لمتابعة ما بدأ، كما يُنصح بالألا يتكلأ في خدمة المرضى مهما كان جنسهم ومذهبهم ومكانتهم الاجتماعية.

وخلاصة القول إن الطبيب إذا قام بواجبه الأكمل تجاه مريضه، فلا يُعتبر مسؤولاً البتّة.

هذا وإنه لمن الطبيعي، أن يظهر على ساحات الممارسة الطبية، العديّد من القضايا التي وضعت الإنسان أمام مواجهات وتحديات لا بدّ من مواجهتها بعقلٍ واتزان. وكان أقدم هذه القضايا مشكلة المسؤولية السالفة الذكر، والتي ورد ذكرها في لوائح حمورابي، ومشكلة الإجهاض، ومشكلة استئصال الحصى الوارد ذكرهما في قسم إيبقراط: (من عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة)

(أقسم بالله ربّ الحياة والموت، واهب الصحة والشفاء والدواء، وأقسم بأسقليبوس، وبأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً، على أن أفيّ بهذا القسم، وهذا الشرط، وأرى المعلم في هذه الصناعة بمنزلة أبائي، وأواسيه في معاشي، وإذا احتاج إلى مال، واسيته وواصلته من مالي. وأما الجنس المتناسل منه، فأرى أنه مساو لإخوتي، وأعلمهم هذه الصنعة إن احتاجوا إلى تعلمها، دون أجرٍ ولا شرط. وأشرك أولادي، وأولاد المعلم لي، والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط، وأقسموا بالناموس الطبي، في الوصايا والعلوم، وسائر ما في هذه الصناعة. وأما غير هؤلاء، فلا أفعل به ذلك. وأقصد في جميع التدابير، بقدر طاقتي، منفعة المرضى. وأما الأشياء التي تضرّ بهم، وتُدنّي بالجور عليهم، فأمنع منها بحسب رأيي. ولا أعطي إذا طلب مني دواءً قتالاً، ولا أشير بمثل هذه المشورة. وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النساء فرجةً (تحميلة) تسقط الجنين. وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعاتي، على الزكاة والطهارة. ولا أشقّ أيضاً عمّن في مئنته حصاة، لكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل. وكل المنازل التي أدخلها، إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى. وأنا بحالة خارجة عن كل جورٍ وظلمٍ وفسادٍ إراديٍّ مقصودٍ إليه في سائر الأشياء، ومن الجماع للنساء والرجال، الأحرار منهم والعبيد. وأما الأشياء التي أعانيها في أوقات علاج المرضى،

أو أسمعها أو في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس، من الأشياء التي لا ينطق خارجاً، فأمسك عنها، وأرى أن مثالها لا ينطبق به. فمن أكمل هذا اليمين، ولم يفسد منه شيئاً، كان له أن يكمل تدبيره وصنعتة، على أفضل الأحوال وأجملها، وأن يحمدّه جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً، ومن تجاوز ذلك، كان بضدّه.)

أما اليوم فقد نشأت أمور عديدة، يمكن أن نعدّها منها على سبيل المثال لا الحصر، الأمور التالية:

الإجهاض، طفل الأنبوب (الإلقاح الصناعي)، استئجار الرحم، الرحم الصناعية، الهندسة الوراثية والاستنساخ، الحمل عند الرجال، زراعة الأعضاء، التلوث البيئي، القتل الرحيم، خطأ الطب، الدجل والشعوذة.

وما زالت القوانين تتخبّطُ تجاهها ففي كل يوم جديد، لا بد من وضع ضوابط له، تتباين من بلد لآخر ومن زمان لآخر، وسنمر عليها بتبسيط شديد بغية تعريف الناس عامة عليها وهي:

الإجهاض أو السّقط:

يحدث الإجهاض بشكل عفوي عند ٢٠% من الحوامل كما تدل الإحصاءات العالمية. كما أن هناك حالات مرضية، يضطر معها الأطباء لإجراء الإجهاض وتخليص المرأة الحامل، من حملها، كإصابة الحامل بقصور القلب وقصور الكلّي، وبعض الآفات العصبية، والأمراض النفسية وغيرها... أو إصابة الجنين بتشوه أو إعاقة أو غير ذلك... وبالطبع حاولت بعض القوانين والفتاوى الشرعية، ضبط هذا الإجهاض والسماح للأطباء به ضمن شروط، كموافقة طبييين عدلين، والتثبت من التشخيص، وموافقة الزوج

والزوجة، وأن يكون المرضُ الذي بسببه نلجأ للإجهاض، غير قابل للعلاج، وأن تكون الوسيلة أو الإجراءات المتخذة للإجهاض مأمونةً غير ذات خطر على الأم، وأن يكون الحمل نظامياً شرعياً وليس من سفاح. ولا بد أن ننوه إلى أن العديد من البلدان المتقدمة تبيح الإجهاض من الزنى ولا تعتبره جنائياً.

أما الإجهاض الجنائي فهو منتشر في جميع أنحاء العالم، فقد ذكرت مجلة "Time" في عدد آب-١٩٨٤ أن هناك أكثر من ٥٠ مليون حالة إجهاض جنائي في العالم. ولا يخفى أن أغلب هذه الحالات تُجرى بأيدٍ غير مؤهلة، وتؤدي إلى وفيات قُدرت بمليونين امرأة سنوياً، عدا عما تتركه من عقابيل وتشوهات وعاهات وعقم.

التعقيم ومنع الحمل:

يُجرى التعقيم بغاية منع إنجاب أنسالٍ من المصابين بأمراض عقلية تنتقل بالوراثة، أو المصابين بأمراض وتشوهات وراثية، أو المجرمين أو مدمني الخمر والمخدرات وضعاف الأخلاق، وهزيلي البنية، والمجانين ... وذلك حفاظاً على بقاء أنسالٍ سوية. وقد ذُكر من هذه الأمراض في البلاد التي أباحت التعقيم: العته المبكر Precoce Dementia، وداء الرقص Chorea، وضعف العقل الولادي، والسوداوية Melancholia، والعمى الوراثي، والتشوهات الشديدة الوراثية.

وقد أباحت أمريكا وعدد من دول أوروبا وبخاصة ألمانيا أيام هتلر، تعقيم هؤلاء وذلك بناء على رأي محكمة خاصة، إلا أن فرنسا عارضته. ويذكر

د. شطي رأي الدكتور معروف الدواليبي والدكتور مصطفى السباعي في الستينات من القرن الفائت حول السماح بالتعقيم في الإسلام ضمن شروط ثلاثة أولها أن يكون انتقال هذه الأمراض إلى الورثة أمراً محققاً وغالباً، وثانيها ألا يكون هناك أمل بشفائها طبياً، وثالثها ألا يكون هناك وسيلة أخرى غير التعقيم، لمنع انتقال هذه الأمراض وراثياً.

هذا ويتم التعقيم بعملية جراحية بسيطة عند الرجل و عند المرأة وهو الأسلم، أو بالأشعة بمقادير كبيرة كما فعل هتلر.

أما منع الحمل بالوسائل المعروفة منذ القديم كالعزل الطبيعي أو المطاطي، أو استخدام الحبوب الهرمونية الخاصة، أو غيرها، فقد أصبح مباحاً في أغلب الدول الغربية، وما زال بين أخذ ورد في الدول الإسلامية.

الإلقاح الصناعي (طفل الأنبوب):

الهدف منه هو حلّ مشكلة عقم الزوجة المصابة بانسداد قناة فالوب، أو عقم الزوج. ويتم بأخذ بويضة من مبيض امرأة، وتلقيحها في أنبوب الاختبار بعينة من نطاف الزوج، ضمن ظروف مناسبة، ثم تزرع هذه البويضة الملقحة بعد يومين أو ثلاثة، في رحم المرأة، حتى يتم الحمل الطبيعي والولادة الطبيعية. فهو بكلمة موجزة إخصاب البويضة الأنثى بحيوان منوي ذكري، بوساطة وسائل طبية، دون أية معاشرة زوجية. وقد أصبح الإلقاح الصناعي سائداً في الغرب ففي أمريكا مثلاً يتم به أكثر من عشرين ألف ولادة سنوياً. أما ما يخشى منه في هذه العملية، فهو أن عملية الإلقاح خارج الرحم، قد تُعرض البويضة الملقحة إلى طفرات "mutations" وأضرار ليس بإمكاننا

كشفتها بوسائلنا الحالية. إضافة إلى أن بعض النساء قد تطلب نطافاً عشوائية من رجال متميزين بحيث يمكنها الحصول على مولود وفق رغباتها وتصوراتها (تحكم بالنسل) ويصبح هنا الاتجار بالنطف وارداً، ففي أمريكا وحدها يتم سنوياً إجراء عشرة آلاف ولادة من نطف متميزة. ومشكلة ثالثة تتم بالتساؤل، هل يجوز إخصاب أرملة من نطاف زوجها الذي توفي منذ سنوات بعيدة، واحتفظ بمائه المنوي في بنوك المنى؟.

أما من الوجهة الشرعية فإذا كان مصدر النطاف الزوج نفسه، فلا ضير في ذلك، أما إذا كان من غير الزوج فهو عملية زنا مخبوءة كما وصفها أحد المجتهدين، وهي مرفوضة عند جميع الأديان والمذاهب. وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف في ٢٨/١٢/٢٠٠٢م فتوى حرم فيها استنساخ الإنسان حيث يعرض الإنسان إلى العبث والتجربة وحدوث التشوهات والمسوخ وتغيير خلق الله. كما أن الفاتيكان رفض أي شكل من أشكال الاستنساخ عند الإنسان، ومهما كانت أهدافه.

استئجار الرحم:

في حال عدم إمكان رحم المرأة الحمل لأسباب مختلفة كالتشوهات وغيرها... يستأجر الزوجان امرأة ذات رحم سوي، لقاء مبلغ من المال، حيث يتم إجراء الإلقاح الصناعي بنطاف الزوج، ثم توضع البويضة الملقحة في رحم المرأة المستأجرة، حتى تمام الحمل والولادة، حيث يُعطى المولود بعدها إلى أبيه.

وبالطبع في هذا النوع من الحمل، معارضةً نفسيةً للحمل الطبيعي ولعاطفة الأمومة، إضافةً إلى أن إحدى النساء المستأجرات، رفضت إعادة المولود إلى والده، وردت المال المتفق عليه وحار القضاء في إصدار حكم الأحقية بالمولود. و أثبت هنا رأي الأستاذ الشيخ رضا حمود: (الولد للفراس وللعامر الحجر) لهذا فالولد لمن حملته في رحمها.

الرحم الصناعية:

في حال عدم رغبة الأم بالحمل، يُحضّرُ الجنين أو البويضة الملقحة، في رحم الأم أو في أنبوب المختبر، ثم يُنقل إلى رحم صناعية، قد تكون حاضنة صناعية كحاضنة الدواجن، أو تكون رحم حيوان ما كالبقرة (حملها ٩ أشهر كالإنسان) حتى تتم الولادة. وبالطبع قد تؤدي هذه الإجراءات إلى طفرات وتشوهات ومسوخ واضطرابا بات نفسية وعضوية وعقلية عند الوليد، لا يمكن التنبؤ بها فهو مرفوض أيضاً، عند الغالبية من الوجهة الشرعية و الطبية.

الهندسة الوراثية (التحكم بالمورثات) والاستنساخ الحيوي:

تحمل خلايا كل واحد منا، مورثاته الخاصة به، والتي تختلف عن المليارات من مورثات البشر المتواجدة في الكون. وتحمل البويضة الملقحة جميع صفات الوراثة، وجميع إمكانات الخلايا التي سوف تتمايز بعد الانقسامات المتكررة، فتتحول إلى أنسجة وأعضاء مختلفة، كالعظام والعضلات والأعصاب والكبد وغيرها... ومن الوجهة النظرية، إذا تمكنا من زرع الخلايا، فنحصل بالانقسام المتكرر على مثيلاتها، وبهذا يمكننا الحصول على

أفراد متمائلين. ولكن ما زال العلم قاصراً عن إدراك ومعرفة القوة الموجهة لتمييز بعض الخلايا، إلى تشكيل العين، وبعضها الآخر إلى تشكيل الكبد، وبعضها إلى تشكيل العظام و.... هذا عدا أنه من الممكن أن يُساء استعماله باستنساخ سلالات معينة دون غيرها، وقد يكون المستنسخُ حاملاً لمرض الإيدز أو غيره كالأمراض العقلية أو العضوية. ونضيف إلى ذلك أن هذه العمليات تغيرُ خلقَ الله، وتخالف السنن الكونية، وتطرح جانباً عواطف الأمومة والأبوة.

وقد جُربت عمليات التحكم بالمورثات، أولَ ما جُربت، على النبات والحيوان، وأنتجت سلالات ممتازة، واستمرت تجاربها على الإنسان بهدف إزالة العديد من المورثات الحاملة لأمراض وراثية، وبهدف التخلص من مظاهر الشيخوخة والبدانة الوراثية وغيرها....، حتى أعلن رئيس الولايات المتحدة الأميركية (كلينتون) في ٢٦/٦/٢٠٠٠ عن توصل العلماء إلى رموز الهندسة الوراثية في الجينات، هذا الكشف الذي اعتبره كلينتون أعظم اكتشاف في القرن ٢١م.

وتتم عملية الاستنساخ البشري، باستخدام الإلقاح الذاتي، عن طريق أخذ رقعة من جلد الرجل، وتُزرع إحدى خلاياها بحرص شديد، ثم تُزال منها النواة (أي الجهاز الوراثي) وتُغرز في بويضة امرأة مُفَرَّغَةٍ من النواة، وبعدها تُزرع البويضة بما فيها في رحم امرأة متطوعة للحمل. وبعد تسعة أشهر يلد مولودٌ يحمل صورة ومواصفات الرجل الشخصية كافةً، (نسخة من الرجل...) أما إذا أرادت المرأة صورة عنها، فيتم زرع نواة خلية منها ضمن البويضة المفرغة.

ويُنتظر من الاستنساخ، الحصولُ على فوائد كبيرة، كالتقضاء على بعض الأمراض الوراثية كما ذكرنا، أو استنساخ القلب أو العين أو الكلية أو غيرها من الأعضاء لاستخدامها كقطع غيار.

الحمل عند الرجال:

ما زالت تجارب إحداث الحمل عند الرجل، قيد التجارب، فقد نجحت في ذكور حيوانات التجربة كالقردة، وبدأت تُجرى على الرجال. وقد نشأت فكرة الحمل عند الرجال، من حوادث نادرة حدث فيها الحمل خارج الرحم، عند نساء طبيعيات، وعند نساء مُستأصلات الأرحام. وتقليداً لهذه الحالات النادرة، عمل أطباء الغرب، على زرع البويضة الملقحة، والتي أُخصبت خلال الخمسين ساعة الأولى في أنابيب الاختبار، في بطن الزوج (الرجل) من خلال شق صغير، حيث يُجرى زرعها في الثَرَب "Omentum" (و هو غشاء البطن الذي يلفُ الأمعاء)، وبعد تسعة أشهر، يتم توليد الطفل بعملية قيصرية. وقد استدل هؤلاء الأطباء، على أن الحمل ممكن دونما حاجة للرحم، وأن أحشاء الرجل والمرأة، مؤهلة لاستضافة الجنين.

وبالطبع، ومن وجهة النظر الاجتماعية والسلوكية والدينية، لا فائدة ولا غاية من إجراء الحمل عند الرجال، سوى إرضاء الفضول العلمي، عدا إمكانية حدوث اختلاطات الحمل خارج الرحم، والمعروفة لدى الأطباء، كالأنزفة المستمرة والآلام البطنية، والتعرض للعملية القيصرية، والتعرض للطفرات والمسوخ، والعبث في أطوار التخلق. وأهم من ذلك كله الأخطار

النفسية عند ولدٍ لا أمَّ له، فالحمل هو فطرةٌ طبيعية، وتأهيل نفسي، وأخلط كيمائية: هرمونية وغذائية مازال علمنا قاصراً عن إدراك مكوناته الفطرية.

زراعة واستنبات الأعضاء:

لقد توصل الأطباء في الغرب، إلى إمكانات تقنية عالية الجودة، تمكنوا معها من نقل عضو حي، إلى إنسانٍ آخرٍ حي. ولكن العقبة الرئيسة كانت رفضَ الجسم له. وقد تمت أولى التجارب، بزراعة خلايا وأعضاء جنينية، أخذت من أجنة مجهضة (سقط). وفي نوفمبر ١٩٩٨م، أعلن الأطباء في الولايات المتحدة، عن نجاحهم في عزل وإكثار الخلايا الجنينية الجذعية، التي تُعتبر الأصلَ النقيَّ غيرَ المتمايز، الذي تتفرغ منه جميع الأعضاء. وبكلمة أخرى، بدلا من الاستفادة من الأعضاء الكاملة للجنين، يُمكن تنشيط الخلايا الجذعية، وتوجيهها كي تُصبح العضو المطلوب (كبد، طحال، قلب ...). بالإضافة إلى أنهم تمكنوا من تحسين هذه الخلايا وراثياً، فلم يعد المريضُ بحاجة إلى زراعة العضو نفسه، بل تُزرع هذه الخلايا الجذعية، والتي لن يرفضها الجسم، بسبب أنها خلايا أصلية نقيّة لم تتمايز بعد. وبهذا لم يعد هناك حاجة إلى أدوية تثبيط المناعة. هذا عدا أنه يمكن استنساخ جنين أو أكثر، مما يفيد لإنقاذ حياة العشرات من البشر المهددين بالموت إذا لم يجدوا العضو المطلوب.

وبالطبع إن المشاكل الناجمة عن هذا الاستنبات، هي مشاكل أخلاقية، أهمها الخوف من الإتجار بالأجنة السليمة مستقبلاً، وبالإنسان النباتي الذي مات دماغه ومازالت أعضاؤه تعمل، وهو ما يعرف بالموت السريري.

وكان نتيجة ذلك أيضاً نشوء البنوك الحيوية "Biologic Banks" المختلفة المشابهة لبنوك الدم، كبنك الحليب، الذي يحفظ حليب المرضعات لاستخدامه في إرضاع الأطفال حين اللزوم، وبنك المنى، الذي يحفظ عينات المنى المودعة من قبل أصحابها، والتي شكلت مشكلة كبيرة، فكثيراً من هؤلاء ترك العينة الخاصة به وسافر أو توفي، وقد تقدمت أرملة في الثالثة والعشرين، توفي زوجها قبل سنتين، تطلب السماح لها باستعادة نطفة مجمدة له، كان قد تركها في بنوك طبية خاصة، لاستخدامها في أغراض البحث العلمي، وهدف الزوجة الحصول على وريث شرعي، فوقف القضاء الفرنسي في حيرة من أمره، حيث إنه لا يعترف بأبوة طفل تَمَّت ولادته بعد ٣٠٠ يوماً من وفاة الأب، وأخيراً رُدَّ طلبها. وفي أمريكا، حفظ زوج نطفته المجمدة كي تلقح بها بويضة زوجته المصابة بعيب خَلْقِي في الرحم، لا يمكن معه الحمل السوي، ولكن بحادث سيارة توفي الزوجان، ووقف القانون يتساءل: هل يمكن اعتبار هذه البويضة الملقحة الممكن أن تصبح طفلاً، وريثاً شرعياً للزوجين؟ وهل يمكن إنماؤها إلى طفل في رحم امرأة مُستأجرة؟.

ومن هنا بدأت دول الغرب (صاحبة هذه الإجراءات) تشكل لجاناً تضبط هذه العمليات، وأعطتها أسماء مختلفة، كاللجنة الوطنية للأخلاق، التي شكلها جاك شيراك رئيس فرنسا الحالي، ولجنة الأخلاق الطبية التي شكلها كلينتون رئيس أمريكا الحالي.

ومن البنوك الأخرى، بنوك الأجنة والمورثات، التي تحفظ البويضات الملقحة المأخوذة من الزوجين، والمحفوظة بالتجميد (الأجنة المجمدة) فهل يجوز استخدامها في البحوث العلمية أم لا؟ وإذا كان الجواب لا، فهل يجوز إبادتها؟

ومن البنوك بنوك الخلايا الجذعية، وبنوك الأعضاء، فهل بيع أعضاء الموتى إلى بنوك الأعضاء، جائز قانوناً وشرعاً؟ وهل يجوز إنهاء حياة مريض أو أخذ أحد أعضائه لإنقاذ مريض آخر؟ . ومن البنوك أيضاً بنوك قرنية العين.

القتل الرحيم (تهوين الموت) Euthanasia:

يُقصد به إماتة المصابين بأمراض ميؤوسة، لا أمل فيها مستقبلاً للشفاء، وذلك بقصد إراحتهم من الآلام المضنية، أو إراحة المجتمع من العناء والتكاليف اللازمة لخدمتهم. ويذكر في التاريخ الطبي عدة حوادث قام بها أطباء بإعدام مرضاهم أو ذويهم من المرضى، بناء على إلحاح من المريض نفسه، لتخليصه من الحالة المرضية التي هو فيها، وإشفافاً عليه من آلام لا تُحتمل. من هذه الحالات السرطانات الميؤوسة، والسلّ في مراحله الأخيرة، والأوبئة كالطاعون وغيره...، وآلام النزاع الشديدة، وحالات الإدمان الشديدة كإدمان الخمر والمخدرات، وحالات الشلّول بانقطاع نخاع الشوكي التام أو الجزئي، والإعاقة الشديدة، والأمراض العقلية، والأجنة أو المولودين المشوهين وغيرها... وقد أبيع هذا القتل إفرادياً وجماعياً في حالات الأوبئة، في عدد من بلدان الغرب، لكنهم عادوا إلى معارضته وتحريمه قانونياً، انطلاقاً من الآراء الدينية والأخلاقية، التي تعتبر حق الحياة لكل فرد، حقاً إلهياً، لا يجوز لأحد التعدي عليه، حتى ولو كان طبيباً، وبخاصة أن الأطباء بشر، وقد يُخطئون في تقديرهم للحالة، كما أن الميؤوس منه بالأمس، أصبح اليوم غير ميؤوس، و علاجه ممكن.

وتتوارد هنا أسئلة عديدة: هل يحق لطبيب أو للجنة طبية إعدام شخص مريض من مرضه؟ ولو كان ذلك بناءً على طلب المريض؟ وهل يحق للأطباء، إعدام مجموعات من الناس لا أمل في شفائهم كمرضى المشافي العقلية والأوبئة ومرضى الأمراض الجنسية، ولو بناءً على تكليف من المسؤول القضائي أو الحاكم؟ أليس من حق المريض بمرض لا أمل من شفائه، أن ينعم بموتٍ مريح ويتخلص من العذاب؟ أليس من مهمات الطبيب التخفيف من آلام المرضى؟ ... هذا وحين كتابة هذا البحث، بثت وسائل الإعلام قرار الحكومة الهولندية بالسماح بالقتل الرحيم، وذلك بأغلبية كبيرة (الشهر الحادي عشر ٢٠٠٠م).

وقد أوردت مجلة "The New England Journal of Medicine" أن واحداً من كل خمسة من طاقم التمريض في وحدات الرعاية المكثفة في الولايات المتحدة، يقوم بتعمد وإصرار، بتسريع موت المرضى الميؤوس من شفائهم. وغالباً ما يكون ذلك دون علم الطبيب المشرف. ففي معظم الحالات يقوم الممرض أو الممرضة بإعطاء المريض جرعة زائدة من المسكنات وفي حالات أخرى يقطعون العلاج عنه.

وقد قام "David Asch" ديفيد آش من جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا بفحص استبانات (إحصاءات) وردت من ثمانمائة واثنين وخمسين ممرضاً يعملون بوحدات الرعاية المكثفة، وتبين له أن الممرضين والممرضات - بعد اتخاذ قرار بإنهاء حياة المريض - أعطوا بعضهم جرعات زائدة من الدواء، أو أوقفوا الأجهزة المتصلة بأجزاء من جسمه. وفي بعض الأحيان فعلوا ذلك

بناءً على تعليمات من الطبيب المعالج، لكنهم غالباً ما كانوا يتصرفون بدافع ذاتي.

خطأ الطبيب:

كثيراً ما يُخطئ الطبيب في التشخيص والعلاج، وبخاصة أطباء الإسعاف والحروب والكوارث، الذين لا تسمح لهم ظروف عملهم بتقديم عناية أفضل للمرضى. وقد يترتب على ذلك الخطأ أضرار بسيطة أو فادحة، تُحمّلُ مسؤوليتها للطبيب المعالج. وخلاصة ما يُعمل به اليوم في جميع أنحاء العالم، أن الطبيب إذا عمل جهده بهدف مصلحة مريضه، وأخطأ خطأً فنياً، فلا يترتب عليه مسؤولية، وإنما تترتب المسؤولية على المشعوذين غير الأطباء، وعلى الأطباء غير الملتزمين بضوابط الطب، أو المهملين والمقصرين بواجبهم تجاه مصلحة المريض.

الدَّجَلُ والشعوذة:

يشمل هذا المصطلح، تعاطي الطب من قبل غير الأطباء، وتعامل بعض الأطباء مع المرضى، تعاملًا بغير ما تنص عليه العلوم الطبية المعتمدة، وتجربة الطبيب لأدوية جديدة أو محرمة لم تعتمد عليها المنظمات المعنية كمنظمة الصحة العالمية "WHO" كما تشمل الأعمال المنافية لأدب الطب كالاتفاق مع السماسرة لجلب المرضى، والاتجار بالأطفال وسرقتهم لنقل أعضائهم من قبل الأطباء، وغير ذلك مما ينتشر في بلاد الغرب والشرق.

هذا غيضٌ من فيضٍ مما يُقرّزه تطوّر الحضارات يوماً بعد يوم، ومما تختلف النظرة إليه من قبل المؤسسات و الدول المعنية، والتي تعقد لها الندوات والمحاضرات، حيث إن مصدرها الرئيس اليوم هو بلاد الغرب، فالحضارة الغربية تعتبرها نصراً علمياً كبيراً، ضاربة عرض الحائط بأي رأي أخلاقي أو ديني أو اجتماعي. أما في الشرق فقد كانت مواجهة هذه القضايا عنيفة جداً، واختلفت الآراء حولها وما زالت، ولا بد من إيجاد حلول لها، وصهرها ضمن بوتقة الأخلاقيات والمثل الأخلاقية والدينية، وضبطها بقوانين صارمة، حفاظاً على الاتزان البشري الطبيعي، وعلى الأنساب والصلات التي تربط الأجناس البشرية ببعضها ببعض.

وإن ما ورد في هذا الكتاب من قصص الأخطاء الطبية لا يهدف إلى التشهير أو التشكيك بعلوم الطب السابقة أو الحالية، ولكن الهدف الرئيس منه هو دعوته إلى التبصر والتروي وعدم الإفراط في استخدام الدواء والتقنيات الحضارية المعقدة، والالتزام بقوانين الممارسة واحترام الطبيب على أنه عالمٌ وضع نفسه تحت تصرف الناس، مضحياً براحته وبيته ووقته. واعتبار المريض إنساناً ملهواً يتطلب الإغاثة والرفق لتخليصه من مرضه بأبسط السبل وأقلها ضرراً وكلفة.

الفصل الثاني

أخطاء الممارسة الطبية

كتاب الخطأ في الطب والطب البديل

أخطاء الممارسة الطبية

يمكننا تعريف الخطأ الطبي بأنه كل أذى بدني أو نفسي ، يلحق بالمريض أو بالطبيب أو بالمجتمع، من خلال الممارسة الطبية. وقد يبدو هذا التعريف مفاجئاً للبعض، فالمعروف بين الناس أن الأذى الناجم عن خطأ في الممارسة الطبية، لا يلحق إلا بالمريض، كما يُعتبرُ الطبيبُ -كما أسلفنا- المسؤولَ عنه، ولكن الحقيقة أعمُّ من ذلك، فما ذنب الطبيب مثلاً إذا لم يلتزم مريضه بتعليماته، مما أدى إلى ضرره و أذاه أو إلى وفاته؟ و ما مسؤولية طبيب يعمل لدى جهة أمنية إذا هُدد بالقتل و أُجبر على تبرير وفاة شخص مات بسبب التعذيب؟ و ما مسؤولية طبيب اعتمد على تحاليل مخبرية أو فحوص شعاعية خاطئة، فأدى ذلك إلى خطأ تشخيصي أو علاجي؟ و ما..؟ و ما..؟ أمثلة كثيرة سنستعرض بعضاً منها خلال صفحات الكتاب.

الخطأ أمر طبيعي ليس فقط في ممارسة الطب، بل في جميع المِهَن والأعمال، فالقول المشهور (أن الذي لا يعمل لا يخطئ) يدل على أنه من الطبيعي أن لكل ممارسة أخطاء، و ينجم عن هذا القول قول آخر هو (أن أكثر الأطباء عملاً أكثرهم أخطاءً، كما أنهم أكثرهم خبرةً). و سيستمر حدوث هذه الأخطاء، طالما استمرت الممارسة الطبية.

من الملاحظ من الإحصاءات أن هذه الأخطاء تزداد يوماً بعد يوم، مع تزايد أعداد الأطباء، و وسائط المعالجة و التشخيص من دوائية و غير دوائية، و مع تقدم التقنيات الطبية و الحضارية، و مع تشعب علوم الطب، و تشعب

النظريات الطبية و المدارس، و اختلافات المستوى الثقافي و الاجتماعي للبيئات المختلفة و، و لو عدنا بلفتة سريعة إلى الوراء، في الزمن الموعول في القدم، حيث كان الإنسان يعتقد أن المرض إنَّ هو إلا عقوبة من الآلهة بسبب ذنوب اقترفها المريض، لو عدنا إلى ذلك الزمن، و تدرجنا قافلين حتى أيامنا هذه، لقدرنا كمَّ الأخطاء التي نجمت، و ما زالت تتجم عن الممارسة الطبية.

و أغلب حالات هذه الأخطاء يحدث دونما قصد من الطبيب أو المريض أو الكوادر الطبية، و على الرغم من ذلك فإن القانون غالباً ما يطالها بعقوبات تختلف حسب ظروف الخطأ و رأي المحاكم، سواء كانت أخطاء مقصودة تدخل ضمن نطاق الجرائم أو الجُرح، أو غير مقصودة سببها الممارسات الخاطئة "Yatrogenic" أو "Iatrogenic".

قام العديد من المؤسسات الطبية و الاجتماعية بدراسات إحصائية واسعة هدفها الوصول إلى أسباب حدوث الخطأ الطبي، كان من نتائجها حصرُ تلك الأسباب بما يلي:

- نقص خبرة الطبيب أو استهتاره، مما يؤدي إلى تشخيص و علاج خاطئين.
- عدم التزام المريض أو أوليائه - إذا كان قاصراً أو تحت الوصاية- بتعليمات الطبيب و توصياته.
- نقص خبرة الكوادر الطبية التي تعمل في مجال الممارسة الطبية أو استهتارها، بدءاً من الهيئات الإدارية، و انتهاء بالفنيين. هذه الأمور التي

لا يؤبه لها غالباً، ظناً أن الطبيب و الممرضة هما المسؤولان فقط عن المريض. وقد يترتب على نقص الخبرة هذا أو الاستهتار، نتائج مفعجة أحياناً، فإن نقل مريض خضع لعمل جراحي، من غرفة العمليات إلى سريره قبل إنهاء إنعاشه، قد يؤدي إلى شربه بمفرزات الفم، وإصابته بذات رئة استنشاقية أو بالوفاة أحياناً، وإن بتر أصبع أو قدم عند مريض سكري، دون دراسة مسبقة وكافية، قد تعرضه لعدم الالتئام والتجثم وغيرها من المشاكل، وتضطره لإجراء بتر أكبر فيما بعد، وإن إهمال تنظيف مكان البضع لعملية جراحية مهما كانت بسيطة، قد يؤدي إلى إنتان حاد وتأخر التئام الجرح. كما أن نقل مريض أصيب بكسر فقرة إثر حادث سير مثلاً، نقلاً خاطئاً قد يسبب له انقطاعاً جزئياً أو كلياً في النخاع الشوكي ويؤدي به إلى شلل علوي أو سفلي أو نصفي أو كامل ... والأمثلة على أهمية ودور وخبرة الكوادر الطبية من ممرضات ومستخدمين ومعالجين وغيرهم ... عديدة لا يمكن حصرها، وغالباً ما تتحمل هذه العناصر مسؤولية تقصيرها أو جهلها، إضافة إلى الإدارة والطبيب المسؤول عنها، والذي يُعتبر في العديد من البلدان المسؤول الأول والأخير عن تدريب هؤلاء وسوء تصرفاتهم.

• تدني المستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي للبيئة، فالمجتمعات البدائية البعيدة عن الحضارة كما مر معنا، والمجتمعات التي يسقط فيها القانون وينتشر فيها الفساد كالرشوة والإدمان والمحسوبية والدكتاتورية، والجهل ... تسقط فيها كل القيم، وتزداد فيها نسبة حدوث الأخطاء على جميع المستويات وأهمها أخطاء الطب. وهنا يبرز الدور الهام للإعلام بكل وسائله المتعددة من

فضائيات وصحف وندوات ومحاضرات ومناهج تعليمية وتنقيفية، ومراكز البحث العلمي

• السلوكيات الخاطئة للعديد من شركات الدواء في العالم، والتي أصبحت في أيامنا مشكلة كبيرة يعتبرها البعض أخطر من مشكلة المخدرات والإرهاب.

• تدني مستوى التجهيزات واللوازم الطبية لدى الطبيب سواء في العيادة أو المراكز أو المشافي.

• التلوث البيئي بأشكاله المختلفة: أصبح مفهوم التلوث البيئي معروفاً بشكل واسع في العقود الأخيرة من القرن العشرين. وهو يشمل جميع أنواع التلوث التي تلحق الإنسان من بيئته، ونَعُدُّ منها: الغبار، التدخين، المخلفات الصناعية والنووية، الموجات الكهرومغناطيسية الصادرة عن محطات الإذاعة والتلفزة ومحطات الميكروويف الهاتفية، الضوضاء، الخلوي (موبايل) ... العوامل الكيميائية كالغازات السامة الصادرة عن الاحتراقات من مختلف المصانع، وعوادم الآليات، الضباب الدخاني "Smog" الذي أصبح مشكلة عويصة في أكبر المدن الصناعية في العالم، تلوث طبقة الأوزون الهوائية التي تحمي الأرض من الإشعاعات الشمسية الضارة، الأمطار الحمضية الناجمة عن ذوبان الغازات الحمضية في بخار الماء الموجود في الجو والذي يتساقط مطراً حامضاً، على سطح الأرض والبحار، فيدمر البيئة من نبات وماء وغابات وبحار.....، التلوث الغذائي بالمبيدات الحشرية والمنظفات الصناعية والسماد الزراعي ومشتقات النفط. وأهم هذه الملوثات الأدوية وبخاصة الهرمونية منها والتي تستخدم في الاستئساخ الحيوي، بُغية الحصول على سلالات نباتية وحيوانات سمينه

(هورمونات التسمين)، هذا الموضوع الذي أصبح يشكل خطراً على كل ما يتناوله الإنسان من غذاء وشراب...وقد تكون الحيوانات الأليفة وغير الأليفة، التي يرببها البعض في المنزل كالحقن والكلاب والطيور والقروء وغيرها... مصدرأ لنقل أمراض يصعب تشخيصها في بدنها كالكيسات المائية "Hydatid Cyst"، وداء الكلب "Rabies" وحمى خرمنشة القطة "Cat Scratch Fever" والربو "Asthma" وداء الببغاء "Psittacosis" وداء المصورات القوسية "Toxoplasmosis" وغيرها...

• الاعتماد المفرط على التقنيات والفحوص المكملة - كما مر معنا - والابتعاد عن العلاقة السريرية بين الطبيب ومريضه. هذا الاعتماد الذي يزداد يوماً بعد يوم، وتضمحل معه العلاقة السريرية، وكأن المريض أصبح آلة جامدة يكفي أن تُستكشف بواسطة الحاسوب أو الفحوص المخبرية أو الشعاعية أو غيرها من التقنيات، مع أن هذه الفحوص جميعها لا تُغني عن تفاعل المريض مع طبيبه بالطريقة الأكاديمية المثلى التي يتعلمها طلاب الطب في مرحلة ما قبل السريريات، وهي استجواب المريض "Interrogation" استجواباً مفصلاً لمعرفة بدنياً ونفسياً، ومعرفة كافة ظروفه وبيئته. ثم التأمل "Inspection" والتدقيق في جميع نواحي بدنه وأعضائه، ثم الجس "Palpation" بأصابع الطبيب لتلمس نقاط المرض ومجاوراتها. ثم القرع "Percussion" بأصابع الطبيب لسماع الصدى الحشوي الناجم عن وجود سائل أو غاز أو كتلة أو غير هذا... .. ضمن الأحشاء أو الصدر. ثم إصغاء "Auscultation" الأصوات الحشوية بالأذن أو بالمسمع أو غيرهما، ويدون كل ذلك في تقرير مفصل،

"Medical Report"، ينتهي بالطبيب إلى وضع تشخيصٍ مُحدّدٍ للمرض يُمكنه من وضع خطة المعالجة. أما إذا أغمض التشخيص عليه، وكان أمام عددٍ من الاحتمالات فلا بدُّ له من وضع قائمة لاحتمالات التشخيص السريري قبل اللجوء إلى الوسائل التقنية المخبرية والشعاعية وغيرها ... وهذا ما يعرف لدى الأطباء بالتشخيص التفريقي للحالة "Differential Diagnosis" وهنا يلجأ الطبيب لبعض الفحوص التقنية المساعدة أو المكملة لنفي أو إثبات التشخيص. بعد هذه المرحلة العلمية الضرورية يتمكن الطبيب من وضع خطة المعالجة.

- نفهم من هذه الخطة السّديدة أن العلاقة الأساس بين الطبيب والمريض هي علاقة الاستجواب والتأمل والجس و القرع والإصغاء، وهي علاقة بسيطة لا تحتاج إلى كثير من التقنيات، كما نفهم أن كل ما يليها من فحوص مطلوبة، إن هي إلا فحوص مكملة للوصول إلى التشخيص و بالتالي إلى المعالجة الصحيحة، أو الأقرب للصحة، و إن هي إلا داعمة أو موجهة لعمل الطبيب، بحيث لا يجوز الاعتماد عليها كلياً.

- الحالة المادية و الاجتماعية للطبيب و الكوادر: تعتبر الممارسة الطبية الحقّة، من أشق و أصعب الممارسات المهنية. فالطبيب إنسان مُثقل بواجب إنساني كبير يتطلب منه الاستنفار الدائم، و التعلم الدائم، و الخدمة الدائمة، و صرف المال الدائم، لتأمين متطلباته و تجهيزاته و لوازمه و مصادره العلمية، مضحياً بأي شيء آخر مهما بلغ من الأهمية: راحته و عائلته و صحته، و عواطفه و مشاكله الشخصية.... فهو إنسان تصدى لحمل الأمانة في خدمة الناس، و أقسم يمين الولاء لهذا التصدي، مهما كانت

الظروف و ثقلت عليه الأعباء. و هذه الواجبات قد لا تظهر بشكل جلي في البلاد التي يطبق فيها نظام الضمان الصحي أو التأمين أو طبابة المؤسسات، حيث تُقدّم فيها الدائرة المسؤولة للطبيب، كل ما يحتاجه من تجهيزات غالية الثمن لا يتمكن من امتلاكها زميله الذي يمارس العمل بشكل خاص. كما أن الطبيب الخاص لا يمتلك وقتاً خاصاً به فهو مستتفر دائماً كما ذكرنا، بينما لطبيب المؤسسات إجازات و أيام خاصة به. و إذا أضفنا إلى هذا ارتفاع أسعار المراجع الطبية و التجهيزات التقنية المتطورة اللازمة لمتابعة خبرته، لزداد ذلك من إرهاقه و تعرضه للأخطاء من خلال الممارسة. و بالطبع ما ينطبق على طبيب لا ينطبق على آخر، فالفروق شاسعة بين طبيب القرية و طبيب المدينة، و بين الممارس العام و الاختصاصي، و بين الموظف و غير الموظف.... مما لا يتسع المجال لذكره بالتفصيل. فإذا لم يكن دخل الطبيب كافياً لحياة محترمة، كما هي الحال في العديد من البلدان المتخلفة أو ما يسمى سياسياً ببلدان العالم الثالث، وقع الطبيب في أخطاء عديدة، وبخاصة أن المريض يجهل كل هذه المتطلبات، و غالباً ما يَظُنُّ بأَتعاب الطبيب، و هذا ما يعانيه الأطباء و خاصة في القرى و الأماكن المتطرفة حيث الروابط الاجتماعية ما تزال موجودة و الجميع يعرف الطبيب و هو يعرف الجميع، و من المفروض كما يعتقد في مثل هذه المجتمعات أن يؤدي خدماته للجميع دونما أتعاب أو بأتعاب لا تكفي لتغطية احتياجاته. هذا مما دعا العديد من الأطباء للهجرة، و بخاصة الأطباء الجدد - شأنهم شأن حملة الشهادات الجامعية الأخرى - للتفتيش عن حياة أفضل، فنجم عن ذلك

كارثة كبيرة - وأؤكد على كلمة كارثة - بسبب أن خسران الأدمغة و المتقنين في أي بلد يحترم نفسه، هو الخسران المبين و الكارثة الكبرى.

صنفت أخطاء الممارسة الطبية ضمن أصناف ثلاثة هي: دوائية و تقنية و سلوكية. و سنبحث في كل منها بشيء من التفصيل.

الأخطاء الدوائية:

تتجم الأخطاء الدوائية عن استعمال الأدوية المختلفة. ويمكننا القول بشكل عام إنه ليس هناك من دواء إلا وله -إلى جانب فوائده- آثار ضارة، اصطُح على تسميتها في عالم الطب بالآثار الجانبية "Side Effects" أو الآثار الضارة "Harmful Side Effects" وتتراوح هذه الآثار من البسيطة التي تنتهي بإيقاف استعمال الدواء، إلى الخطيرة التي قد تؤدي بحياة المريض، أو تسبب له مشاكل صحية خطيرة لا يمكن شفاؤها أو حسب التعبير الطبي غير قابلة للعكس "Irreversible".

وإنه على الرغم من التقدم الطبي، فما زالت تجربة الدواء قاصرة. فالدواء قبل طرحه إلى الأسواق بغية استعماله من قبل الإنسان، يُجَرَّب في المخابر أو حسب التعبير الطبي في الزجاج "In Vitro"، ثم يجرب على حيوانات التجربة كالقتران والجرذان والأرانب وغيرها...، ثم على المتبرعين من البشر الذين وضعوا أنفسهم تحت تصرف التجربة، أو السجناء أو المحكومين بالإعدام أو ماشابههم.

وتستخدم الفئران والجرذان غالباً في التجارب الحيوية لأسباب عدة أهمها: أنها من الثدييات أي أنها قريبة من الإنسان خلويًا، و لسهولة تربيتها، وسرعة تكاثرها بما يسمح بالمراقبة خلال الأجيال، وقليلة الثمن والتكاليف ولا تحتاج إلى أماكن باهظة.

وفي مرحلة لاحقة تستخدم الكلاب والقردة و هي أرقى في سلم الثدييات من الفئران والجرذان. ثم تجرب على البشر.

وتعتبر الدراسات الفأرية، أهم نموذج حيواني في الأبحاث الطبية الحيوية "Bio-Medical" منذ القديم حتى يومنا هذا، وبخاصة بعد أن نشرت المجلة الطبية البريطانية "Nature" أول خريطة لـ ٩٥% من المنظومة الجينية الفأرية. وكشفت هذه الدراسة أن لكل جينة بشرية تقريباً، جينة فأرية مقابلة لها.

الإنسان	الفأر	العدد
٣٠ ألفاً	٣٠ ألفاً	عدد الجينات الإجمالي
٢,٥ مليار	٢,٥ مليار	عدد الأحرف الإجمالي
٩٠%	٩٠%	الجينات المرتبطة بالأمراض
٩٨,٨% حتى تاريخ كتابة هذا الكتاب	٩٥%	نسبة ماتم رسمه من الجينوم
سنة ٢٠٠٣	سنة ٢٠٠٥	موعد اكتمال الخريطة الجينية

ويجمع العلماء على أن إجراء الاختبارات على الحيوانات لا يؤدي إلى نتائج دقيقة، بسبب أن الحيوان سواء كان فأراً أو جرذاً أو قرداً أو غير ذلك ... ليس بنسخة أمينة عن الإنسان، لهذا فإن النتائج لن تكون متطابقة مائة بالمائة.

أما عند البشر تشمل مراحل التجربة الدوائية (بعد مرحلة الحيوان) مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: يستخدم فيها ٢٠ - ١٠٠ متطوع بصحة جيدة لمعرفة أمان المستحضر، لمدة عام ونصف وسطياً.

المرحلة الثانية: يستخدم فيها ١٠٠ - ٥٠٠ متطوع مريض لمعرفة فعالية المستحضر. يُعطى نصفهم مادة وهمية غير فعالة "Placebo" للمراقبة، لمدة عامين وسطياً.

المرحلة الثالثة: يستخدم فيها ١٠٠٠ - ٥٠٠٠ متطوع للتأكد من النتائج، وخلال ٣ - ٤ سنوات. وقد تُجرى هذه المرحلة في بلاد عديدة، فإذا ثبتت النتائج، رُفعت لوكالة الغذاء والدواء الأمريكية "F.D.A" لطلب الموافقة منها خلال عام ونصف، أو رفض الدواء أو إعادته لاستكمال الدراسة. وقد جرت العادة أن تقبل الوكالة واحداً من كل ٥٠٠٠ عقار وسطياً.

فإذا أصبحت القناعة مقبولة، طُرح لاستعماله عند الإنسان، وتُضمَّن عيوبه نشرته تُشرح مكوناته الفعالة، وتأثيراته الدوائية "Pharmacologic" وتأثيراته الجانبية الضارة التي مر ذكرها، وتشمل:

١- مضادات الاستطباب "Contra Indications" C/I

٢- بعض الاحتياطات "Special Precautions" S/P

٣- تتافره مع غيره من الأدوية "Intractions" I.N.T.

٤- بعض التفاعلات السيئة للدواء "Adverse drug Reactions" ADR

وليس بالضرورة أن يذكر الحمل تحت البندين ١ و ٢ حيث إنه أصبح معلوما ضرورة تجنب جميع الأدوية خلال الحمل ما أمكن، وبخاصة خلال الأشهر الثلاثة الأولى.

وعلى هذا لو عاد بنا الزمن مائة عام فقط، لهلنا ذلك الكم العظيم من الأدوية المصنعة التي وضعتها الحضارة بين أيدينا، وما زالت تزيدها يوما بعد يوم، وقد غطتها بغطاء إعلاني جميل وجذاب، يبدأ من النشرات الطبية المخصصة لنوحي المهن الطبية، والتي تنهال على الأطباء لتُعرفهم بكل ما هو جديد، وينتهي بالعلب الأنيقة والأشكال الدوائية الحضارية التي تَفَنَّتْ تقنيات العصر في إنتاجها.

ويكاد الدواء أن يكون الوسيلة الأكثر استخداما بيد الأطباء والسلاح الأكثر شيوعاً لمعالجة المرضى مهما كان نوع مرضهم باطنياً أو جراحياً. وقد استخدم القدامى -كما رأينا- الأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية وأقادوا من طاقات الطبيعة كالشمس والهواء والماء والنار مما هو متوفر في البيئة، إلى جانب الطلاسم والتعاويذ الروحانية، وحضروا التراكيب العديدة من تلك المواد الطبيعية، واعتمدوا أيضاً على الغذاء واهتموا به.

وما زالت تلك المعارف الدوائية تتطور منذ الخليقة حتى اليوم وسيستمر تطورها حسب سنة الله في الخلق.

كما أن طرق إعطاء الأدوية اقتصرت في البدء على الفم والجلد والفتحات الطبيعية كالأنف والعين والمهبل والشرج وغيرها ... ثم تطورت فأفاد الإنسان من الحقن في العضل والوريد والشریان وتحت الجلد وتحت الأدمة وفي

المفاصل وفي المثانة وبين وريقتي الجنب والتأمور وضمن أجواف القلب والبطينات الدماغية وغيرها...، في التشخيص والمعالجة. وبالطبع قد ساعد على هذا اختراع الآلات التقنية العديدة التي تستطيع سبر هذه الأغوار، وأبسطها إن لم نقل أولها هو المحقن "Seringe".

إن طرق التصنيع هذه، على الرغم من دقتها ودقة الاحتياطات فيها، ما زالت قاصرة وعاجزة، وبخاصة في أدويتنا الكيميائية الحالية، التي يبلغ عمرها تقريباً مائة وخمسين عاماً. وتتجم أسباب هذا العجز والقصور عن أمور عدة أفقدت الثقة بها، وأهمها:

١- إن ما ينطبق على حيوان التجربة، لا ينطبق على الإنسان، كما أن ما ينطبق على الإنسان، لا ينطبق على آخر، هذا ما دعونه سابقاً بالعوامل الفردية. فامتصاص الدواء إلى الدم، يخضع عند كل مريض إلى جهازه الهضمي، والفلورا المعوية وحالته النفسية وحالة جهاز الدوران والجهاز الحركي، والاستقلاب، ومدى التزامه بالتعليمات وغير هذا ... من الأمور. لهذا نلاحظ من خلال الممارسة أن أغلب المرضى، قد راجعوا العديد من الأطباء، وتناولوا عشرات الأدوية دون جدوى. كما نلاحظ في حياتنا الحضارية هذه أنه ما من أحد إلا ويشكو أعراضاً مرضية مختلفة: كالإرهاق والآلام المفصلية والظهرية والصداع والأرق والإمساك وأسوء الهضم والكآبة والبدانة ... وتتزايد هذه الأعراض يوماً بعد يوم بفعل ما أفرزته الحضارة من أغذية مصنعة حولتها من طبيعية إلى صناعية مليئة بالمنكهات والمضافات والسلالات الجينية والهورمونات والمهدئات المزاجية أو المنشطات وغيرها ... من

الملوثات التي مر ذكرها سابقاً. هذا ما يدعو الأطباء بالتنافر الغذائي الغذائي أو الغذائي الدوائي أو الدوائي الدوائي، والذي خلق من الأمراض قائمة مرعبة: كالسرطانات وارتفاع ضغط الدم والأرجيات (الحساسيات) وحصى الكلى والمثانة والمرارة، وأمراض الجلد المختلفة، وحالات الكآبة النفسية، والعقم وأمراض الغدد الصماء، وأسواء الامتصاص وفشل الكلى والصداع والبدانة و ... هذه الأمراض وإن كانت موجودة سابقاً، إلا أن حدوثها ازداد بشكل ملحوظ في أيامنا حسب ما تذكر جميع الإحصاءات الطبية، حتى أصبحت جميع المصادر تدعوها (بأمراض العصر).

وقد كشف الأطباء والباحثون من هذه التنافرات بعض الحالات المرضية كالتسممات الغذائية، والأرجيات الناجمة عن بعض المواد كالسلفا المسبب للربو، والحساسيات الناجمة عن تناول سكر الحليب "lactose" الناجمة عن نقص الخميرة المسؤولة عن هضم هذا السكر، والتحسس لمادة الدابوق "Gluten" في القمح (سوء الامتصاص) "Malabsorption" أو الزلاق

"Coeliac disorder. And Malabsorption"

من أمثلة هذا التنافر القصة التالية:

راجعت الطفلة لينا / سنوات، طبيب العائلة برفقة أهلها الذين أصابهم الرعب من وضعها، فمنذ أشهر بدأ يظهر على ذقنها ووجهها، أشعار كبيرة، ازدادت تدريجياً، حتى أصبحت شوارب ولحية، كالمراهق من الذكور - كما وصفتها الأم - وبعد تقصي الحالة، تبين أن هذه الطفلة المدللة، تعيش بين أحضان عائلة محرومة من الأطفال إلّاها، وقد أغرقها أبوها وأعمامها بالمال الذي تشتري به من دكان قريب،

ما تهوى وتحب طيلة اليوم من رقائق البطاطا المقلية بالزيت (الشيبس) ومن المياه الغازية والعصائر الصناعية و ... دون تناول أي طعام طبيعي في المنزل.

وبكلمة موجزة يتأثر الدواء الداخل إلى الجسم البشري بعوامل عديدة، مهما كانت طرق التناول: عن طريق الفم أو العضل أو الوريد أو غيرها ... وأهم عامل مؤثر هو نوعية الغذاء، وبخاصة أن أغلب الأدوية تعطى عن الطريق الهضمي، وما زال تأثير الغذاء في الدواء أو تأثير الدواء في الهضم أو تأثير مشاركة العديد من الأدوية المتناولة مع بعضها، غير معروف تماماً، بسبب تنوع الأدوية والأغذية وحالة الأيض عند كل فرد، والجهل بالتفاعلات الكيميائية الخماثرية "Enzymatic" التي تحدث في جهاز الهضم و ... وما علم منه ليس سوى القليل القليل. فقد عُرف مثلاً، أن إشراك مضادات الحموضة مع الأدوية المضادة للروماتيزم والمؤثرة على المعدة - وهو أمر معروف ومتبع لدى الأطباء - يقلل من فاعليتها وقد يثبط تلك الفعالية، كما علم أن مرضى قصور القلب أو ارتفاع الضغط الذين يتناولون أدوية مدرة للبول تُخلّ بأيض البوتاسيوم في الجسم، يلزم ألا يتناولوا السبانغ والفواكه المجففة والأفوكادو بسبب غناها بالبوتاسيوم.

وهناك أيضاً بعض الأدوية التي تتأثر كيميائياً بحمض المعدة كالبنسلين والكلوكساسيلين، وبعض الأدوية عسيرة الامتصاص كالنتراسيكلن وسايبرو فلوسيكلين تُكوّن مع الكالسيوم والحديد مركبات معقدة سامة، لهذا يلزم خلال استعمالها، توصية المريض بالامتناع عن الأغذية الغنية بالكالسيوم والحديد كمشتقات الألبان والتمر والدبس وغيرها.... وإن استعمال بعض النباتات

والأعشاب الطبية مع تناول مميعات الدم خطر جداً كنبات الحندقوق "Melilotus" والحلبة "Trigonella" وزهرة الربيع "Primula" حيث يزيد من تأثيرها ويعرض للأنزفة. والعكس أيضاً غير مقبول، فإن بعض الأعشاب مضادة للتخثر وتثبط فعل مميعات الدم مثل القراص "Urtica" والبطباط "Polygonum" وذنبل الخيل "Equisetum" ومياسم الذرة الصفراء "Zea mays". كما أن مرضى الضغط الذين يتناولون حاصرات بيتا "Betablockers" يجب عليهم عدم تناول فاكهة الكريب فروت بسبب تأثيره المشابه لها. ويجب على مرضى الربو الامتناع بتاتاً عن تناول المشروبات الغازية والشوكولاته والمشروبات الكافيينية فجميعها تزيد من التأثيرات الجانبية لأدوية الربو. وتُمنع الأغذية المحتوية على الخل والحوامض والبهارات، عن مرضى القرحة الهضمية أو الفتق الحجابي أو التهاب المعدة المزمن. وليس ما سبق إلا أمثلة مما عرف حتى اليوم.

ومن المعروف أن أمراض الأمعاء الجرثومية، تؤهب للإصابة بالأمراض الأرجية مثل الاكزما والربو والصدف ... وتحوي الأمعاء من الجراثيم والفيروسات والخمائر والفطور وغيرها ... من الكائنات الدقيقة الحية، أعداداً كبيرة، فكل ١ غ من البراز يحوي ترليون جرثومة. وتتفاعل هذه الأحياء بينها وبين الغذاء والأدوية المتناولة تفاعلاً معقداً في حالتها الصحية والمرض يؤثر تأثيراً عميقاً على ما أصبح يدعى بالبيئة الهضمية أو الوسط الهضمي. فقد عُلِمَ أن تناول اللحم المحفوظ (المعلَّب) يشكل مع الزمن مواد مسرطنة، كما أن اللحوم المقلية تتأثر بهذه الجراثيم المعوية فتتقلب إلى مواد مسرطنة، وبفسف

الوقت قد تقوم هذه الأحياء الدقيقة في الأمعاء بإفراز مواد ضارة تسبب سرطانات الكولون. وأمثلة هذا كثيرة تؤثر تأثيراً كبيراً على المجموعات الجرثومية التي تعيش في الأمعاء "Flora" بتوازن دقيق مازال مجهول الكيفية والنوعية.

٢- عدم التزام المريض من حيث استعمال الدواء بالدقة والزمّن المطلوب، فأغلب المرضى وبخاصة في البلدان النامية لا يتقيد بالجرعة ولا بالزمن المطلوب إذ بمجرد تحسنه يترك العلاج مرة بعد مرة دون العودة إلى طبيبه، وقد يستعمل دواء دون وصفة طبية، وبخاصة بعد انتشار الدعايات التلفزيونية ...

٣- أسوء الدواء المصنوع من قبل شركات الدواء بغاية الربح المادي غالباً، كالتلاعب بتاريخ الصلاحية، وبالمواد الأولية وبالعيارات المدونة علمياً. حتى ازدادت الشكاوى ضد الشركات، وأصبحت توصف بأوصاف لا تليق بشرف المهنة والعلم، كمافيا الدواء، وعصابات الدواء وغيرها.

إن الأمثلة على الأخطاء الدوائية عديدة لا تُحصى نكتفي بذكر أهمها من الشائع والمعروف:.. فالأسبرين "Aspirin" ومشتقاته وهو الاسم التجاري لحمض الصفصاف، بدأ استعماله مسكناً للألم، خافضاً للحمى، من قبل الراهب الانكليزي (ستون) في القرن الثامن عشر، حيث تبين مؤخراً أنه يخفض من إنتاج مادة بروستاغلاندين "Prostaglandin" التي تنتجها معظم خلايا الجسم حين إصابتها بجرح أو رض، فتسبب هذه المادة الصداع وارتفاع الحرارة، وتزيد من تخثر الدم، لهذا فإن إعطاء الأسبرين يمنع هذه الأعراض ويزيد تميع

الدم بفعله المانع لتكتل اللويحات الدهنية التي تَسِمُ حالات التصلب الشرياني. كما تبينت مؤخراً فائدته في تنشيط تكوين الكريات البيضاء ولهذا فقد أُفيد منه باستعماله إلى جانب المعالجة الشعاعية التالية لعمليات استئصال الثدي المصاب بالورم، حيث يدعم تلك المعالجة دعماً جيداً. ولكن إلى جانب هذه الفوائد العظيمة للأسبرين، نجد أن له أثراً جانبياً قد تكون خطيرة فهو ينشط القرحة الهضمية "Peptic Ulcers" ويؤثر فيها تأثيراً شبيهاً بتأثير الكورتيزونات، ولهذا دُعي الأسبرين عند الدوائيين بالكورتيزون الصغير "Micro Cortison"، وحُذِر من استعماله عند المصابين بالقرحة، كما حُذِر من استعماله طبعاً عند المؤهين للنزوف (كالمصابين بالناعور، والذين في سوابقهم أنزفة قرحية أو بولية أو غيرها ...) بسبب فعله المميع للدم الذي ذكرناه آنفاً. وحُذِر استعماله أيضاً عند المتحسسين، وفي المراحل الأخيرة من الحمل وعند الأطفال (حيث ثبت مؤخراً أن الأسبرين يسبب نخر الكبد عند الصغار) وعند المصابين بقصور كبدي أو كلوي، وعند الذين في سوابقهم تشنج قسبي. هذا عدا أن الجرعات العالية منه تتطرح بحليب المرضع.

كما أن هذه المركبات (الأسبيرينية) تُبدل من تأثير العديد من الأدوية الأخرى كميعات الدم، وبعض مضادات الالتهاب، و الكورتيزونات، وخافضات سكر الدم، وموقفات النمو الخلوي (ميثوتريكسات)، و سيبرولاكتون "Unicosuric agents"، و يُنصح كما أسلفناه ألا يُعطى معها مضادات الحمض (الأمر الشائع في الممارسة).

و من آثارها السيئة، ظهور أعراض ربو تحسسي، و اضطرابات هضمية، و ارتفاع زمن النزف مخبرياً و نقص تكتل الصفائح.

و ما زلت أذكر من الممارسة قصة انتقاب قرحة اثني عشرية عند شاب تجاوز العقد الثاني من عمره، أصيب بنزف قرحي صاعق بسبب حبة واحدة من الأسبرين الأرجنتيني "Geneol" تناولها لمعالجة صداع أصيب به. واضطررنا معها إلى نقل أربع زجاجات من الدم إليه، مع تطبيق المعالجة الفنية اللازمة، حتى تمكنا من السيطرة على النزف القرحي. كما أنني ما زلت أذكر قصة شاب مريض من دمشق أدخل المشفى الذي كنت أعمل فيه معاوذاً في سنتي الأخيرة من كلية الطب، وتم قبوله بحالة إسعاف بسبب نزف قرحي صاعق بسبب تناول الأسبرين، لم يُجد في إيقافه وسيلة من الوسائل المعروفة فنياً (الحمية المطلقة، مضادات النزوف الموضعية والعامة، المُعضات الدموية ...) وتم نقل ستة ليترات من الدم الطازج من أقربائه إليه، دون جدوى، وقد أبدى الأهل استعدادهم لكل أمر في سبيل إنقاذهم ولدهم، لكنهم رفضوا بإصرار فكرة فتح البطن لإجراء العمل الجراحي المناسب والاضطراري، وحين دبّ اليأس فيهم نقلوا المريض إلى مشفى خاص في دمشق وتوبعت المعالجة المعروفة مع نقل ٤ ليترات دم أخرى خلال اليوم الأول دون جدوى، حيث أعطي بناء على مذكرة أحد الأطباء مغلي الجنار (وهو زهر الرمان البري) فتوقف النزف وشفى المريض خلال أيام.

كذلك فإن معاجين الأسنان المبيضة الحاوية على مادة فوق أوكسيد الهيدروجين أو مشتقاتها، تصنف ضمن العوامل المسببة لسرطانات الفم، إضافة

إلى العوامل الأخرى كالوراثة والتدخين والكحولية والقبول الحلمي التناسلي وغيرها.....

ومن الأمثلة أيضاً استعمال المورفين "Morphine" ومشتقاته كالهيرورئين والكودئين وغيرها ... من الجواهر المؤثرة المستخلصة من نبات الخشخاش "Papaver Somniferum" حيث إن استعمال هذه الأدوية استعمالاً غير رشيد يؤدي إلى الإدمان، والإدمان كما نعلم طبياً، غير قابل للشفاء غالباً، وإذا حدث الشفاء، فالتكسُّ هو القاعدة.

ومنها إعطاء الحديد بكميات عالية عن طريق الوريد، أو إعطاؤه عن طريق الفم، لمعالجة حالة من حالات فقر الدم البسيط، فالحديد هذا يؤدي الغشاء المخاطي للمعدة ويقرّحه، بينما كان من الممكن معالجة هذه الحالة بتدبير غذائي غني بالحديد كالإكثار من تناول اللحوم ونخالة القمح والمشمش والخوخ والسلق والكرفس والبيض والفصّة وغيرها...

أما الهرمونات فإن الاستعمال المديد لها، وتناول الكميات الكبيرة منها، يلجمان الغدّة المفرزة لها، ويثبطانها عن العمل، بحيث إن إيقاف العلاج بعدها، يؤدي إلى مشاكل أخطر من الاستطباب الذي وُضعت له. ناهيك عن أضرار هذه الهرمونات عند الحوامل والمرضعات. وأبسط مثال على هذا هو إعطاء هرمون الغدة الدرقية المسمى بالتيروكسين "Thyroxine" من أجل تنشيط مريض مصاب بتعب وإجهاد، فهو يؤدي فعلاً إلى تنشيط الإفراز الدرقي، ويشعر المريض بالتحسن والنشاط، ولكنه قد يتابع ويستزيد من استعمال العلاج دون العودة ثانية إلى طبيبه، الأمر الذي يؤدي إلى إلجام الدرقية عن الإفراز

نسبياً أو كلياً، ويصبح المريض حينئذ تحت رحمة حالة شبيهة بالإدمان على الهرمون، بل هي إدمان حقيقي، فإذا توقف فجأة عن تناول الهرمون المذكور، أصيب بداء الوذمة المخاطية "Myxoedema" الناجم عن نقص إفراز الغدة الدرقية التي أُلجمت.

وشبيه هذا يحدث لدى تناول الهرمونات الذكرية "Testosterons" لمعالجة العنانة عند الذكور، أو لدى تناول الهرمونات الأنثوية "Oestrogenes" وفي الحالة الثانية قد يؤدي إيقاف العلاج إلى نزف رحمي مميت، يحدث هذا غالباً عند المتزوجات حديثاً اللواتي تأخر الإنجاب عندهن فترة، فراجعن العديد من الأطباء ووُصف لهن جرعات عديدة من هذه الهرمونات، علماً أنه من الوجهة الطبية لا يُعتبر تأخر الحمل عند المتزوجات حديثاً، أمراً مريضاً قبل مرور سنتين على الزواج، وفي نظرية أخرى أربع سنوات.

أما الهرمونات الاستروجينية "Oestrogenes" الأنثوية، والتي انتشر استعمالها في العقود الأخيرة، وتدخل في تركيب مانعات الحمل الفموية، فهي مضاد استطباب في حالات عديدة أهمها: سرطان الثدي بالخاصة، وسرطانات أعضاء التناسل بالعامّة، وأمراض الكبد والقلب والتخثر (كالتهاب الوريد)، وحالات الأنزفة النسائية غير المشخصة (غير معروفة السبب) وفي اضطرابات استقلاب الدهون، أو حين وجود قصة عقبول خلال الحمل، أو حكة أو تصلب أذن مَترَق، أو يرقان، وفي الإرضاع أيضاً. كما تلزم الرقابة الشديدة لدى استعمالها في حال وجود داء السكر، وفي حالات الضغط المرتفع،

وأعراض الدرق، والصرع والتصلب العديدي "M.S." والهورفيريا (اضطرابات استقلال الهورفيرين حيث يتظاهر بمظاهر عدة). كذلك لدى استعمالها لفترات طويلة يلزم المراقبة بفحوص دورية للثدي والحوض والضغط قبل وخلال استعمالها. ومن الآثار السيئة لها نذكر حدوث المشاكل الرحمية والطمثية، والهمود والدوار والصداع والوذمات والغثيان والإقياء وفرط التكلس وحدوث اندفاعات جلدية. وإن الجرعات المكثفة منها قد تتببه وتحفز الأورام. ويمنع استعمالها بعد سن اليأس حيث قد تسبب سرطان البطانة الرحمية "Endometrial Carcinoma".

ولا بد من ذكر مانعات الحمل الفموية "Oral Contraceptives" المكونة غالباً من هورموني الاستروجين والبروجسترون، فهي مضادات استطباب في العديد من الحالات أيضاً أهمها:

التشمع الكبدي الصفراوي، وقصورات الكبد الإفراغية والخلوية، واليرقان وعقبول الحمل المتكرر وسرطان الثدي وسرطانات الجهاز التنفسي والتهاب الوريد... ولها عوارض جانبية غير محمودة، فقد تؤهب للربو والسكري وبعض الاضطرابات الغدية والصرع وارتفاع الضغط والشقيقة. كما أن استخدامها عند المرضعات غير محمود. ولا بد أن نعلم أن استخدامها مع بعض الأدوية الأخرى كالمريديات "Antibiotics" والمهدئات ومضادات الصرع ومضادات الروماتيزم، يبطل من فعلها، مثلاً تزيد من فعالية الكورتيزونات والتيوفيلين، وتقلل من فعالية فيناتوين المضاد للصرع. وهناك أسباب ملحة لضرورة إيقاف تناولها وهي:

حدوث صداع أو شقيقة أو تشوشات الرؤية أو التهاب الوريد الخثري أو ارتفاع الضغط أو اليرقان أو حدوث حمل.

كما أن لاستعمالها آثاراً سيئة كالغثيان والصداع وزيادة الوزن، وألم الثدي وارتفاع الضغط وحبس السوائل ومشاكل المراهرة، وحب الشباب (العد) والخثرات والصمامات وأورام الكبد وأمراض القلب الوعائية ونقص اختبار تحمل السكر "Glucose Tolerance Test = GTT". هذه اللائحة المرعبة تؤكد على ضرورة التريث في استخدام مانعات الحمل الفموية، وعدم اللجوء لها إلا بعد استشارة الطبيب وتفهم الموضوع بوضوح. ومن خلال ممارستنا صادفتنا ثلاث حالات من فشل الكلية (قصور الكلية) تمت دراستها وتشخيصها في مشافٍ أكاديمية، و عزيت أسبابها إلى مانعات الحمل الفموية.

أما هرمونات قشر الكظر "Corticosteroids" والمعروفة بالاسم الشائع "Cortisone" فإن استعمالها طويل الأمد، وبخاصة الأنواع المديدة منه والفعالة، قد يؤدي بآلية مشابهة لما يحدث لدى تناول الهرمونات السابقة، إلى تثبيط "Inhibition" قشر الكظر عن الإفراز، ويسبب داء أديسون "Addison" الذي يؤدي بالمرضى إلى الإدمان حيث يتعذر حينئذ قطع العلاج.

وقد رأينا وما زلنا نرى على مستوى الممارسة الطبية، العديد من هذه الحالات التي كان أصحابها يتناولون الكورتيزونات لمعالجة أمراض مزمنة كالرثيات المفصلية "Articular Rheumatism" ولا بد أن نذكر أيضاً أن التوقف المفاجئ عن تناول الكورتيزون بعد استعمال طويل الأمد، قد يؤدي إلى أزمة كظرية "Adrenal Crisis" تعرف بالاسم الطبي (سؤرة - Crisis) تنهي

حياة المريض إذا ما تعرض لعمل جراحي بسيط كقلع سن أو فتح خراج أو لحالة نرفزة عصبية خفيفة. كذلك فالكورتيزون يُنبّه بؤر السل الهاجعة، إذا ما أعطي لمريض مصاب بالسل، كما أنه يؤهب للإصابة بداء السكر، وفي المنطقة التي ما زلت أمارس فيها منذ ما ينوف عن أربعين عاماً، هناك العديد من حوادث داء السكر تلت معالجات كورتيزونية للقوة في العصب الوجيهي، أو لالتهاب مفاصل رثوي مزمن.

ومن مضادات استطبابها نذكر: السل، الانتانات غير المسيطر عليها بالمرديات، القرحة الهضمية النشطة، حالات النفاس "Psychosis"، ترقق العظام، قصور الكلى، السكري الوخيم، زرق العين (Glaucoma) أي ارتفاع ضغط العين، ارتفاع الضغط، الوهن العضلي الوخيم "Myasthenia gravis"، تخثر الدم، قصور القلب، الحمل. ولا بد من إيقافها بالتدريج كما مر معنا.

وللسيتروئيدات القشرية هذه آثار سيئة أهمها: احتباس الصوديوم، الودمات، فرط الضغط، زيادة إفراغ البوتاسيوم، وجه القمر مع شعرانية وحب الشباب، وزيادة الشهية، ضعف عقلي، ترقق العظام، القرحة وسوء الهضم، السكري.

وأهم من هذا كله: تأخر نمو الأطفال، ضمور أو تثبيط قشر الكظر، تعطل جهاز المناعة، تأخر التئام الجروح، حدوث خثرات، تأخر شفاء الانتانات، التهاب البنكرياس، الزرق العيني "Glaucoma"، الساد "Cataract"، المشاكل العقلية، الصلع، العقم عند الرجال والنساء، سرطان الكبد، تمزق أربطة

المفاصل. وعلى هذا فلدی الاستعمال المدید للستيروئيدات القشرية يلزم إجراء الفحوص الدورية بالعامّة وللعين بالخاصّة.

كما ينبغي الحذر الشديد لدى استعمالها مع الأدوية التالية:

الجليكوزيدات القلبية، المدرات، مضادات السكري، كومارين، ريفامبيسين، فينيتوين، باربيتورات، (مضادات التهاب غير الستيروئيدية) NSAID's.

أما الستيروئيدات البناءة (المُعَمِّرة) Anabolic Agents والتي تُستخدم لزيادة القوة العضلية أو الطاقة البدنية عند الأصحاء - وهو خطأ فادح يحدث في نوادي الرياضة غالباً- فيجب اتخاذ الاحتياطات الكبيرة لدى إعطائها للأطفال بالخاصّة، حيث قد تسبب اضطرابات خطيرة في النمو، وبخاصّة النمو الجنسي والعظمي. وقد تسبب عند الذكور البالغين فرط علامات الذكورة والوذمات ونقص التكلس وفشل الكلية. كما يلزم منعها نهائياً عن المصابين بأمراض كبدية أو كلوية.

وأما المواد المذكورة "Androgens" كالتستوستيرون الذي مر ذكره، فلا تعطى للمصابين بسرطان البروستات، أو أمراض الكبد أو القلب. ولا تعطى أيضاً بقصد البناء العضلي ورفع الطاقة. كما أنها أيضاً قد تسبب ظهور علامات الذكورة عند النساء.

ومن آثارها الجانبية السيئة: اضطرابات الطمث وخشونة الصوت، وظهور حب الشباب، والشعرانية (ظهور الشعر في الوجه والمناطق غير المرغوبة) وضخامة البظر "Enlargement Of Clitoris"

والأسوأ من هذا أن هذه الأعراض لدى الاستعمال المديد تثبت ولا تتراجع أي أنها غير قابلة للشفاء "Irreversible" ويجب أيضاً قبل استعمالها التأكد من عدم وجود حمل عند النساء.

وفي مجال الأدوية، لا بد أن نذكر حوادث التحسس الدوائي أو ما يعرف بالآرَجِيَّة "Allergic" والصدمات الأرجية، حيث يجب على الطبيب أن يضع في حسابه دوماً إمكانية حدوث مثل هذه الحالات وأن يكون على أهبة الاستعداد الفني لإسعاف أي طارئ منها، وإلا فقدَ مريضته خلال دقائق.

ومن الأمور المفجعة التي حدثت معنا من خلال الممارسة في المشافي، حوادث صدمات مميتة نتجت عن حقن البنسلين ومشتقاته والتي حدث أغلبها في الستينات والسبعينات من القرن الفائت، بينما تناقصت في السنوات الأخيرة.

ومن الحوادث الغريبة وفاةً بصدمة تحسسية لمستحضر بينادريل "Benadryl"، ووفاة أخرى بحقنة وريدية من الكالسيوم والفيتامين C، التي كثيراً ما كنا نستعملها في ستينات القرن الفائت كعلاجات مضادة للحساسية. كذلك لا بد من ذكر حالة إدمان مريض مصاب بنوب متكررة من الربو القصبي كان يعالج بمستحضر "Gambaran" المضاد للحساسية والربو القصبي، وقصة نحال يتحسس من لدغات النحل، استشار صيدلانياً فوصف له أمبولة من مستحضر "Calcistine" حين اللزوم، ولكن لسوء حظ النحال أنه كان يتحسس بهذه المادة أيضاً ولدى تناول الحقنة الأولى منه فارق الحياة.

وفي الحقيقة إن النظريات التي تحاول تفسير آليات التحسس والصدمات التحسسية، نظريات عديدة حاولت وما زالت تحاول، سبر أعماق التكوين

الخلطي للدم والخلايا وغيرها..... ولكنها ما زالت قاصرة عن تفسير العديد من الحوادث التي يتعرض لها الطبيب الممارس في المناطق البعيدة، أكثر من غيره من الأطباء العاملين في المراكز المجهزة، فمضادات الهستامين "Anti histamines" تسبب النعاس لهذا ينصح المريض بعدم القيادة أو العمل أمام الآلات. ويزداد تأثيرها عند الكحوليين ومع أدوية أخرى كأدوية الكآبة ومثبطات الجهاز العصبي المركزي. لهذا يجب تنبيه المرضى. كما أن لهذه المواد آثاراً سيئة أخرى أهمها: النعاس، الدوار، جفاف الفم، عسر التبول، تشوش الرؤية، الصداع، اضطرابات هضمية، طنين الأذنين، هياج، أحلام مزعجة (كوابيس)، هبوط الضغط، ضعف عضلي، خدر الأطراف. وقد تسبب تنبهاً عجبياً عند بعض الناس.

ولا بد في نطاق الأدوية من التوقف عند استعمال المضادات "Antibiotics" بنوعها المبيد للجراثيم "Bacteriocide" والكابح لها "Bacteriostatic". فقد أخذ هذا الاستعمال منحى عشوائياً خلال النصف الثاني من القرن العشرين. وأقصد بكلمة عشوائي تناول الجرعات المفرطة أو الجرعات القليلة عن الحد اللازم فنياً، والاستطباب الخاطئ وإيقاف المعالجة قبل أوانها، والمشاركات غير المناسبة بين هذه المواد، وغير هذا....، حيث أن سوء التعامل هذا أدى إلى ظهور زمر جرثومية وفيروسية وفطرية... مقاومة ومعندة على المضادات، الأمر الذي دفع الدوائيين إلى التفتيش عن أجيال جديدة منها، تكون فعالة وناجعة، فقد أصبحنا أمام عالم مرعب من الأمراض: انفلونزا الطيور، إيدز، سارس، إيبولا، السل...

هذا وإن للصادات كغيرها من الأدوية، آثاراً جانبية تختلف بين صاِدٍ وآخر، فالبنسيلينات ذات آثار تأقية "Anaphylactic" أي تحسسية عاجلة، قد ينجم عن صدماتها الموت السريع، ولها أيضاً تأثيرات آجلة كداء المصل، والطفح الجلدي، وتأثر الجهاز العصبي والكلية، وظهور حالات من فقر الدم الانحلالي، وبعض المشاكل الهضمية و الإسهال الناجم عن قتل الزمر الجرثومية النافعة بالإضافة إلى الضارة منها والذي يعند على الأدوية المعروفة والمعيسة مثل ريبولاك "Ribolac" وهو عبارة عن مجموعة فيتامينات وكلسيوم مع العصيات اللبنية التي تتأثر بالصادات. وقد تبين لنا من الممارسة أن أفضل علاج لمثل هذه الحالات هو الحماية على مادة الكشك "Kishk" عدة أيام خلال أو بعد استعمال الصادات. ومادة الكشك هي مطحون البرغل المخمر مع اللبن والمجفف في الشمس وهي غنية بالفيتامينات والكلسيوم وعصيات اللبن. والسيفالوسبورينات "Cephalosporins" قد تسبب نقصاً في عدد الكريات الدموية البيضاء، وإذا ما أشركت مع جنتاميسين "Gentamycin" فقد تؤدي إلى سمية كلوية شديدة.

والصادات من زمرة أمينوغليكوزيد "Aminoglycosids" كالستربتومايسين "Streptomycin" وكاناميسين "Kanamycin" وجنتاميسين "Gentamycin" وتوبراميسين "Tobramycin" وأميكاسين "Amikacin" وغيرها ... جميعها سامة للكلية والأذن، وتسبب عتياً في الدهليز وفي العصب السمعي، وبخاصة إذا ما زادت مدة استعمالها عن أسبوعين. وفي المنطقة التي أمارس العمل فيها، والتي يتجاوز عدد سكانها خمسين ألف نسمة، أعرف ثلاثة حوادث صم نجمت عن إصابة العصب السمعي بسبب حقن مستحضر مؤلف

من البنسلين والستربتومايسين "Prevethenat" حقناً عضلياً لفترة لم تتجاوز الأسبوع الواحد.

وللسلفاميدات "Sulfamides" آثار جانبية هضمية وتحسسية، إضافة إلى تأثيراتها على الغدة الدرقية والكلى والكبد وداء السكر.

وللإريثرومايسين "Erythromycin" وكليندامايسين "Clindamycin" ولنكومايسين "Lincomycin" والتتراسيكلينات "Tetracyclines" تأثيرات هضمية كالغثيان والإقياء والإسهالات. إضافة إلى أن التتراسيكلينات تسبب نمواً غير سويّ في عظام الأطفال الذين لا يتجاوز عمرهم ثماني سنوات، وفي عظام الأجنة إذا ما تناولتها الأم الحامل، كما أنها تلون الأسنان، وتسبب التهاب الأوردة الخثري. ولنعلم أن استعمال التتراسيكلينات التي انتهى أجلها، يؤدي إلى مشاكل عديدة كاللتكس الكبدي الشحمي المميت، وهو تناذر تتشحم فيه خلايا الكبد، ويتعطل عملها وبخاصة أثناء الحمل، وإلى تناذر فانكوني "Fanconi Synd." الذي ينجم عن شواذات جنينية عديدة، ويتجلى بقصور الكلى وكسور عفوية قد لا تظهر في الطفولة، مع بيلة سكرية وبروتينية لامعالجة لها و إلى ظهور حساسيات مرعبة.

أما الكلورامفينيكول "Chloramphenicol" فيتدخل في استقلاب الحديد، ويسبب فقر الدم اللامنع "Aplastic Anemia" وقد يسبب استخدامه لفترة طويلة التهاب العصب البصري إضافة إلى أن له آثاراً هضمية.

ويسبب الريفامبيسين "Rifampicine" آثاراً هضمية كحس اللذع والغثيان والقىء والإسهال، و آثاراً عصبية كالصداع والنعاس والترنح والاختلاط

الذهني، إضافةً إلى الحساسيات، و إصابات الكلى و الكبد و الكريات البيضاء و الصفائح الدموية.

و يسبب المترونيدازول "Metronidazol" الغثيان و القيء و الصداع، و نوب الصرع و الإغماء. و قد ثبت تأثيره المسرطن عند الفئران، لهذا فقد وُضعت إشارة استفهام على استعماله للبشر ريثما يبت العلم بذلك.

و كلنا يعلم أن أدوية الصرع تسبب من خلال استعمالها الطويل الأمد فقر الدم و إشكالات دموية أخرى، لهذا يلزم المريض بإجراء فحوصات دموية من حين لآخر بغية المراقبة.

و لا بد أن نُذكر بالمرضى الذين يستعملون مميعات الدم المختلفة كالأسبيرين و الورفيرين "Warferin" و غيرها أو الأعشاب المميعة للدم كالهندقوق "Melilotus" والحلبة "Trigonella" وزهرة الربيع "Primula veris" لمعالجة بعض الحالات المرضية وبخاصة القلبية، فإذا ما اضطر هؤلاء إلى إجراء أي عمل جراحي مهما كان بسيطاً كقلع ضرس أو شق خراج مثلاً، لا بد لهم من الانقطاع عن تناول هذه المواد قبل يومين على الأقل من موعد العمل الجراحي. عدا أن الاستعمال المديد للوورفين يؤدي إلى وذمات خارج الخلايا (بروتينية) وتزيد الخطورة مع السلفاميدات.

كما أنه لا بد لنا من التنويه إلى ما تسببه الأدوية المسكنة والنفسية من مهدئات ومنشطات ومضادات للكآبة وغيرها ... من إشكالات نفسية مزاجية تختلف حسب المريض. ويكفي لتبيان هذه الإشكالات أن ننشر بتصرف

ما كتبه مجلة "Ladies's Home Journal" الأمريكية في ديسمبر (ك ١) ١٩٨٨، ونشرت بعضاً منه مجلة المختار في عددها ١٢٩/آب ١٩٨٩:

(اعتذرت دانا -٤٨ سنة- التي تعمل في مستشفى الدالاس بولاية تكساس، عن متابعة الحفلة، بسبب شعورها بالتعب والرغبة في النوم، فودعت زميلاتها وانطلقت بسيارتها، وفي لحظة غير واعية صدمت سيارة (فولكس فاكن) كانت متوقفة بشكل نظامي، ولم تُصب دانا بأذى، ولم تكتشف نفسها إلا في مركز الشرطة بتهمة التسبب بالحادث الذي تبين أنه لم يكن بسبب نوبة من نقص التروية القلبية كما توقعت دانا، بل بسبب تناول حبة من ديازيبام "Diazepam" (المشهور تجارياً بالفاليوم -Valium) المهدئ، والذي ازداد فعله بعد تناولها قليلاً من الكحول خلال الحفل ...)

أما الباربيوريات -Barbiturates، فهي مضادات استطباب في حالة البورفيريا الحادة المتقطعة، وعند المرضى المعرضين لسوء استعمال الدواء. ولا تستعمل عند الأطفال مفرطي الحركة ولا في الحمل أو الإرضاع. ويجب استعمالها بحذر لدى وجود إصابة كلوية أو كبدية أو عند كبار السن، المصابين بالهياج و العصبية و القلق، أو عند المصابين بالألم، وعند المصابين بقصورات التنفس، وعند الكحوليين، والذين يتناولون مضادات الكآبة والسيترويدات وخافضات سكر الدم ومضادات التخثر وكريزوفولفين "Griseofulvine". ومن آثارها السيئة: طفح جلدي تحسسي، حساسية ضوئية، رآرة (حركات بؤبؤ العين المتكررة - Nystagmus)، هزع "Ataxia" (حركات المشي المترنحة غير الثابتة)، التهاب الكبد ...، ولدى الاستعمال المديد تسبب نقصاً في حمض الفولي.

وحاصرات بيتا- **Beta Blockers**: يمنع إعطاؤها حال وجود قصور القلب غير المعاوَض، وحصار قلب، ولا يعطى مع المواد المخدرة المثبطة للقلب، ولا في حال وجود أمراض سادة لطرق التنفس كالتهاب القصبات المزمن. ويجب الحذر الشديد حين إعطائها للسكريين، وفي حال التعرض لتخدير جراحي، وحال وجود قصور كلية أو حمل أو إرضاع.....، ومن أثارها السيئة التي يلزم إيقافها حال ظهورها نذكر: جفاف العين، طفح جلدي، دوام "Dizziness"، تعب، مشاكل هضمية، برودة الأطراف والخدر، مشاكل دموية وعائية وقلبية، مغص عضلي، تشنج قصبي، مشاكل عصبية مركزية كالهوسات والهمود واضطراب النوم والرؤية.

وأدوية **Benzadiazepines**، تعتبر مضاد استطباب في قصورات الرئة، والوهن العضلي الخويم "Myasthenia gravis" وتعطى بحذر في قصورات الرئة المزمنة، الحمل، الإرضاع، أمراض الكلى والكبد. كذلك تعطي بحذر لدى تناول الكحول والأدوية الأخرى المثبطة للجهاز العصبي المركزي. وعند المتقدمين بالسن يخفض المقدار. يلزم تجنب الاستعمال المديد، ولا يقطع الاستعمال فوراً بل تدريجياً.

ولها آثار سيئة: نعاس، هزع، فقر دم، هبوط الضغط، مشاكل هضمية، انحباس البول، تبدلات الرغبة الجنسية، ونادراً مشاكل دموية ویرقان. قد يؤدي التوقف عنها إلى فرط نشاط عجيب.

وبكلمة عامة نقول:

إن جميع الأدوية قد أدينت كمسببات محتملة للحوادث، فمضادات الكآبة والانحطاط ودوار البحر، وأدوية الزكام والسعال قد تسبب النعاس، ويفقد المرء

بسببها ملكة التحكم والتميز بدقة، حيث تبطئ الانتباه و ردود الفعل. كما أن بعض مسكنات الألم قد تُشعر المرء بالنشوة والنشاط وتؤدي به إلى سلوك طائش كتجاهل حدود السرعة القانونية مثلاً وبعض خافضات الضغط ومرخيات العضلات تسبب الدوار والشعور بالخفة ... وإذا أضفنا إلى هذا عجزنا عن التكهن بالزمن الذي تبقى فيه هذه الأدوية في الجسم حتى يتمكن من طرحها، ونسيان الطبيب والصيدلي بأن يحذرا المريض من قيادة السيارة خلال فترة تعاطي الدواء، فإن استعمال هذه المواد قد يؤدي إلى الكوارث. وقد علم من الدراسات الإحصائية أن الفرد العادي الذي تجاوز الخامسة والستين في أمريكا، يتناول على الأقل ثلاثة من الأدوية الموصوفة، وعدداً من الأدوية الهامشية غير الموصوفة من قبل الطبيب. وإن نسيان الطبيب والصيدلي تحذير المرضى لا يُحمّلهما المسؤولية، فالمسؤولية تعود على عاتق المريض. ولا بد من أن نذكر أن لكل شخص كيمياء جسمية تختلف عن غيره، وبعض الأعراض الجانبية لا سبيل إلى تفاديها، إنما بالإمكان تفادي القيادة تحت تأثير الأدوية والكحول.

أما في مجال الاستعمال الخارجي للأدوية، فلا بد من التعرّيج عليها بذكر بعض الملاحظات، حيث يعتقد البعض أنها لا تنفذ عن طريق الجلد وعلى هذا فإنها غير ذات ضرر.

المستحضرات الأنفية: إن استعمال المستحضرات الأنفية الحاوية على أمينات مقلدة للودي لفترة طويلة، يؤدي إلى هجمة في الأعراض إذا ما توقف الاستعمال. كما يحذر أيضاً استعمالها مع مثبطات موناامين أوكسيداز. "Monamine-Oxidse"

مستحضرات العين الستيروئيدية: لا يجوز استعمالها (تعتبر مضاد استطباب) في الالتهابات الفيروسية و الفطرية و في السل، إلا إذا أشركت مع المعالجات الكيميائية اللازمة. كما أنها مضاد استطباب في الزرق العيني. وإن الاستعمال المديد لها قد يسبب زيادة في ضغط العين، لهذا يلزم المراقبة. لا تعطى في الحمل، ولا تستعمل لزمن طويل عند الأطفال.

مستحضرات الجلد الستيروئيدية: هي مضاد استطباب في التهاب الجلد حول الفم وفي الجرب وقرحات الساق والسل وآفات الجلد الناجمة عن الديدان الحلقيّة "Ring Worm" أو عن الحمات الراشحة أو الفطرية أو الجرثومية مالم تترافق بالمعالجة العامة. لا تستعمل بكميات كبيرة ولا لزمن طويل إذا كان هناك حمل. لا تستعمل بغاية الوقاية لزمن طويل. التوقف الفجائي لاستعمالها، يؤدي إلى عودة الأعراض بشدة، لهذا يلزم التوقف عنها تدريجياً. عند الأطفال يجب استخدام أقل التراكيز منها. في الاستعمال المديد والمركّز (الكثيف) منها تظهر آثارٌ جانبية سيئة: كتشققات الجلد وضموره، و التهاب الأجرية الشعرية، وفرط الأشعار، والتوسعات الوعائية، والتبدلات التصبغية، وفرط التحسس والضمور، والحروق، والحكة، والجفاف، والتهيج، والبثور، مع خطر حدوث تطور التهابي ثانوي.

مستحضرات الأذن الستيروئيدية: لا تستعمل إلا إذا غُطي التهاب بالمرديات، ويلزم الحذر من إعطاء المرديات في الأذن في حال وجود انتقاب في غشاء الطبل حيث تُعرض المريض للإنسمام. لا تعطى خلال الحمل، ولا تستعمل لفترات طويلة عند الأطفال.

لهذا ذكرت دراسة أجريت في مستشفى لندن ونشرتها مجلة الأطفال المتخصصة حول استعمال قطرة عشبية بديلة عن قطرات الأذن والأنف، تتألف من الخلاصة الطبيعية للبابونج "Chamomile" والخزامى "Lavender" والثوم "Allium". وعشبة القديس يوحنا "Hypericum" والأزريون "Calendula" وأذن الدب "Verbascum" وفيتامين E في زيت الزيتون.

واستكمالاً للموضوع لا بد من بحث تأثير الأدوية على الأم الحامل والجنين وعلى المرضع والطفل. وبصورة خاصة إشكالات إعطاء الدواء خلال فترة الحمل، الأمر الذي أصبح شائعاً في أيامنا هذه بدءاً من تناول الفيتامينات والحديد وغيرهما من المقويات (كما يُعرفها العامة) وانتهاء بالهرمونات وأدوية التخدير التي تعطى حين المخاض والولادة. ففي المؤتمر الطبي الذي عقد في شتوتغارت بألمانيا عام ١٩٦٣ م تبين أنه من وجهة النظر هذه، يختلف تأثير الأدوية المتناولة خلال فترة الحمل، اختلافاً كبيراً حسب ثلاثة عوامل هي:

- عمر الجنين.
- فعالية الدواء.
- العوامل الوراثية والعائلية.

أما بشأن العامل الأول، فقد ثبت علمياً أن الجنين في طور المضغ - أي منذ لحظة علوق النطفة بالبويضة حتى نهاية العشرين يوماً من الحياة، وحيث يكون آنئذٍ عبارة عن مجموعات من الخلايا المتكاثرة، دونما أي تَخَلُّق أو تمايز "Differentiation" - في هذه المرحلة يقاوم العوامل المشوّهة، والتي تعتبر

الأدوية عاملاً منها، أو يفقد الحياة بسببها، وبكلمة أخرى إن هذه العوامل إما أن تميت الجنين في طور المضغة- أو أنها لا تؤثر عليه ولا تسبب فيه أي تشوه.

أما في مرحلة العلقّة، وهي مرحلة تَخْلُق الأعضاء وتمايزها، وتمتد منذ اليوم العشرين حتّى نهاية الشهر الثاني، فهي المرحلة الهامة التي يتأثر فيها الجنين بالأدوية وبالعوامل الأخرى التي سوف نذكرها.

وفي المرحلة الثالثة التي تمتد منذ أول الشهر الثالث حتّى نهاية الحمل، فلا تسبب العوامل المختلفة أية تشوهات عند الأجنة، بل تنحصر تأثيراتها الجانبية بتأخير النمو والوظائف الحيوية عند الجنين، كالوظائف العصبية والجنسية، حيث إن بعض الأجزاء العصبية والجنسية يتأخر تمايزها حتّى نهاية الشهر الثالث.

وبشأن العامل الثاني، وهو فعالية الدواء، فإن هذه الفعالية تختلف اختلافاً كبيراً حسب نوع الدواء، وحسب مقادير الجرعات المتناولة. وحسب المواد الطعمية التي تؤخذ معها وليس لدينا حتّى اليوم جداول علمية دقيقة ومقنعة، يمكن الاعتماد عليها.

وأما العامل الثالث وهو العوامل الإرثية والعائلية، فإنه من الطبيعي أن يختلف تأثر الحوامل بالعوامل المؤذية للجنين، حسب التأهب الوراثي والعائلي، وحسب فصائل البشر المختلفة، وحسب غيرها من الأمور الفردية والشخصية، هذه الأمور التي ليس لدينا حتّى اليوم أيضاً جداول علمية دقيقة لضبطها وحصرها.

أما عن العوامل المؤدية إلى التشوهات الجنينية "Embriopathy" فهي عديدة وفي مقدمتها الأدوية، يليها الأشعة الملوثة الصناعية بشكل عام. وليس لدينا أي إحصاء أيضاً حول تأثيرات هذه العوامل. حتى أن الدول المتقدمة لم تتمكن من ذلك أيضاً، ومعظم المعلومات حولها مأخوذة من التجارب على الحيوان. والأدوية المؤدية للأجنة عديدة لا يمكن حصرها، ولكننا نكتفي بذكر أكثرها تداولاً:

فيتامين A، المواد الكيميائية، نقص حمض الفولي، مجموعات فيتامينات "Bc"، مضادات الأورام، موقفات النمو الخلوي "Cytostatics"، الصادات وبخاصة النتراسيكلين والسلفاميدات وستربتومايسين وجنتامايسين وكانامايسين وكلورمفينيكول (وأقل الصادات ضرراً بالأجنة هي أصناف البنسلين)، المنومات، المهدئات وبخاصة تاليدومايد "Talidomide" الدواء التاريخي الذي كان يعطى للمصابين بالوهن العصبي عامة والوهن العصبي الحاد خلال فترة الحمل خاصة. وقد وضع هذا الدواء على رأس قائمة الأدوية الكيماوية المشوهة للأجنة "Teratogenic Chemotherapy"، مضادات الاكتئاب، أدوية الصرع، شالات العقد العصبية، خافضات الضغط، خافضات السكر التي تعطى عن طريق الفم، المسكنات، مواد التخدير الولادي، وحتى مواد التخدير الموضعي فقد ثبت أنها تثبط الجملة العصبية المركزية عند الجنين وتبطئ القلب، مقبضات الرحم التي تعطى خلال المخاض (أوكسيتوسين) "Oxytoxin" فقد ثبت أنها تسبب نقص الأكسجة والاختناق، الحبوب المانعة للحمل فهي تحوي هورمونات أنثوية، وقد وجد أنها قد تؤدي إلى تعدد الأصابع "Polydactily" عند الجنين أو فحج القدم "Club Foot"، الهرمونات المذكورة

وتؤدي إلى نوع من الذكورة عند الجنين. ولا بد من التنويه إلى أنه يُمنع تلقیح الأم الحامل باللقاحات المحضرة من الفيروسات الحيّة (كلقاح الحصبة) بسبب خطرها على المشيمة والجنين. ولا بد من الإشارة إلى أن إصابة الأم ببعض الأمراض كالوردية الوافدة "Rubella" قد تسبب تشوهاً في الجنين وفي حال معالجتها منها يضيع علينا تشخيص سبب التشوه الجنيني.

أما الأشعة المؤثرة على الأجنة فأهمها أشعة X التي تتعرض لها الأم الحامل. ونظراً لأهمية هذه الأشعة وكثرة استخدامها في الطب، وعدم إمكانية الاستغناء عنها، فقد وُضعت توصيات عدة بضرورة اتخاذ بعض الاحتياطات للتوقي منها، والإقلال ما أمكن من الجرعات الإشعاعية التي يتعرض لها الجسم، حيث إن مقادير هذه الجرعات تتفاوت حسب عدة عوامل كالطاقة الإشعاعية، ونوعية المراشح (المصافي) الشعاعية، وسعة أنابيب الأجهزة، واستخدام الحاجز الواقى، وزمن التعرض وغيرها ... وعلى الرغم من جميع هذه الاحتياطات فإن هناك من الحوادث التي نعرفها تجعلنا في حذر وشك كبيرين منها.

هذه التوصيات عامة لجميع الناس، وخاصةً بالأم الحامل. ونذكر بعضاً منها على سبيل المثال ما ورد في كتاب (كُتِيب الطبيب Physician Handbook الصادر عن دار نشر "Lang Medical Publ." في كاليفورنيا)، كتوجيهات للطبيب:

- اختر الأجهزة ذات الطاقة والمراشح المثالية.
- استعن بالخبير، إذا وقعت في شك.

• اتخذ احتياطات أفضل لدى التعامل مع الأطفال والحوامل والذين تقل أعمارهم عن ٤٠ سنة.

• تجنب تعريض المناسل (المبايض والخصى) وتجنب تعريض مساحات واسعة من البدن للأشعة.

• أما التنظير الشعاعي فلا يُنصح به عند الحامل إلا إذا هُدِّت حياتها بالخطر، وكان لا بد من التنظير. والسبب كما نعلم هو أن التنظير يستلزم تعرض الأم مدة أطول بكثير من المدة التي تتعرض لها في التصوير.

أما الملوثات الصناعية فهي عديدة لا يمكن حصرها، وفي مقدمتها يأتي التدخين، حيث ثبت أن تدخين الأم الحامل يسبب الإسقاطات العفوية أو ولادة أجنة ميتة. ويلي التدخين المواد المختلفة التي تنبعث من المصانع التي تعمل فيها الحوامل، والمنظفات والمبيضات الكيماوية التي تتعامل معها النساء يومياً في المنازل وغير ذلك ...

ولابد من التنويه إلى التلوث الناجم عن استعمال الأدوات الطبية المستهلكة لعدة مرضى، والتي بدأ يحل محلها الأدوات التي تستعمل مرة واحدة ثم تتلف "Disposable".

وأخيراً نذكر أن نوعية التشوهات الجنينية التي تنجم عن العوامل السابقة، تختلف اختلافاً كبيراً، وأهمها التأخر العقلي الكامن (أي الخفي الذي لا يُشخص إلا متأخراً بعد الولادة بزمان)، وتأخر نمو الجنين ضمن الرحم، والحنك المشقوق، ونقص تصنيع الحنك (أي عدم تكامله) والتهام دروز الجمجمة المبكر، والقدم الدبوسية، وإصابات الأسنان، والتشوهات القلبية

والحشوية، وزوغانات الصبغيات ... هذه التشوهات أذكرها بتعابيرها الطبية الواضحة للأطباء وغير الأطباء، كما وردت في موسوعة "MERCK" الطبية المترجمة من قبل وزارة الصحة السورية. لهذا فعلى الطبيب ما أمكن، الإنقاص من وصف الأدوية للحوامل، وعلى الحامل الاستفسار عن كل دواء يوصف لها، استفساراً واضحاً.

أما حول إعطاء المرضعات، فقد ثبت علمياً أن جميع الأدوية تجتاز حليب الأم، ولكن درجة ذلك الاجتياز تختلف من دواء إلى آخر. ومن المؤسف القول بأن الدراسات البشرية -أي المطبقة على البشر- في هذا المجال قليلة جداً، وأغلب التجارب والدراسات تجري على الحيوان ولا تفيدنا إلا للاستئناس، ويبقى للزمن وحده وللتجارب الطويلة، الحكم الفصل. وريثما نصل إلى هذه الغاية، يمكننا كمبدأ عام وضع الأدوية خلال الإرضاع في زمرتين اثنتين هما:

- أدوية يُعتبر إعطاؤها خلال الإرضاع مضاد استطباب Contra-indication مطلق، أي لا يجوز استعمالها البتة، وتضم مضادات الأورام، الأدوية المشعة، الإرغوت ومشتقاته، ليثيوم، كلورمفينول، فنييل بوتازون، أتروبين، ثيوراسيل، يود، زئبق... هذه الأسماء العلمية أصبحت معروفة لدى أغلب الناس ذوي الثقافة الصحية المتوسطة.
- الأدوية الأخرى سليمة عندما تؤخذ خلال فترة قصيرة، وبجرعات علاجية لا تتجاوز الحد الأدنى.

• إلا أنه لابد من التنويه إلى بعض الأدوية التي تعطى للمرضع دون وصفة طبية، بغية معالجة حالة مرضية بسيطة يمكن أن تشفى عفواً لو تركت دون معالجة. من أمثلتها:

- المسكنات (أسبيرين، استامينوفين) يمكن الاستعاضة عنها بأعشاب أو مواد طبيعية معروفة منذ القدم بأمانها وفائدتها
- مضادات الهستامين: التي تدخل في تراكيب أدوية الرشح والجيوب والسعال، ومضادات الدوار وجالبات النوم.
- أدوية مقلدة للعصب الودي تستعمل لمنع الحمل، أو لإنقاص الشهية، أو لعلاج الربو، نذكر منها: إيبينفرين، فنيل أفرين، فنيل بروبانول أمين.....
- مضادات الحموضة، المسهلات، المليينات.
- المستحضرات الموضعية (أدوية جلدية، رحضات أي حقن شرجية، أدوية مهبلية) وهي تحوي كورتيزونات أو مخدرات موضعية أو قابضات كالزنك والبزموت ومضادات الهستامين.

وعلى الرغم من أن بعض الدراسات التي أجريت على الأمهات المرضعات أظهرت سلامة العديد من هذه الزمر الدوائية، على الأطفال المولودين من هؤلاء الأمهات، إلا أنه يوصى بعدم إعطائها إلا باستطباب هام، إضافة إلى ضرورة مراقبة الطفل، فقد ظهرت حوادث نزفية عند أطفال كانت أمهاتهم تستعمل الأسبيرينات ضمن الحدود الدنيا التي ذكرناها من حيث

الجرعة والفترة، وعزا البعض ذلك إلى إصابة الطفل بنقص بعض الخمائر. هذه الحالة تشبه حالة الفوال "Favism".

أما إعطاء الأدوية للأطفال بشكل عام، فإنه يتطلب تفهما واضحاً لتغيرات الدواء، واستقلابه وجرعاته عند الطفل، في هذه المرحلة الهامة التي هي مرحلة النمو والتطور. وحتى اليوم، لا توجد أنظمة كافية تحكم هذه الأمور، يعتمد الأطباء في تقدير الجرعات الدوائية المعطاة للطفل على صيغ عديدة ونظريات عديدة، نرى من المفيد ذكر بعضها، فمنهم من يعتبر الطفل إنساناً مصغراً، ويقدر جرعته بنسبة محددة من جرعة الإنسان البالغ، كما في صيغة يونغ "Young Rule" التي تعتمد العمر بالأشهر:

$$\text{جرعة الطفل} = \frac{\text{جرعة البالغ} \times \text{عمر الطفل بالسنين}}{\text{عمر الطفل} + 12}$$

وصيغة كلارك "Clark rule" التي تعتمد الوزن بالرطل الانكليزي "Pound" الذي يساوي ٤٥٣ غ.

$$\text{جرعة الطفل} = \frac{\text{جرعة البالغ} \times \text{وزن الطفل بالباوند}}{150}$$

ومنهم من يعتمد مساحة سطح الجسم "BSA = Body Surface Area"

$$\text{جرعة الطفل} = \frac{\text{جرعة البالغ} \times \text{BSA}}{1.7}$$

هذا وإن جميع هذه الطرق تفترض أن جرعة البالغ ثابتة ومحددة، ولكن هذا الأمر غير دقيق، بالإضافة إلى أن الطريقة الأخيرة لا يمكن تطبيقها على

الوليد الجديد ولا على الخديج (ناقص العمر والوزن)، حيث أن وظيفة الجهاز الهضمي والعضلي عندهما ما زالت قاصرة وضعيفة.

هذا غيض من فيض حول أخطاء الممارسة الطبية الناجمة عن تناول الدواء، و ما يهمنا أن هذه الأخطاء تتراوح بين الأخطاء البسيطة التي يمكن تدبيرها، وبين الأخطاء السيئة التي لا يمكن تراجعها أو شفاؤها كنوب الصرع، وأضرار العظام والأسنان، وفشل كلي، نخر أسنان، حساسيات، تساقط شعر، إسهالات، تشوش رؤية وسمع، التهاب معدة مزمن، سوء هضم، نقص تركيز ذهني، ضعف الخصوبة.

الأخطاء التّقنيّة:

تتجم هذه الأخطاء عن استعمال وسائل التشخيص والمعالجة، هذه الوسائل التي كانت بسيطة عند الإنسان البدائي، ثم تطورت وما زالت تتطور كما وكيفاً مع تطور الحضارة والتّقنية. وفي الحقيقة يعتبر التطور سنة كونية اتسم بها الإنسان منذ بدء الخلق، فهو دائماً يسعى لكشف المجهول والبحث عن الأفضل. لقد أفاد الإنسان الأول مما توفر حوله من معطيات بيئته، فاستخدم الحربات والرماح المصنعة من الخشب القاسي أو الصوان أو العظام أو قرون الحيوانات المؤنفة، استخدمها في إجراء عملياته الجراحية البسيطة كنزع السهام والأجسام الغريبة ومع التطور البسيط استطاع أن ينحت من تلك الأخشاب والعظام والحجارة شبه آلات جراحية، وأن يشكلها حسب غايته المرجوة، كإجراء الختان، واستئصال الأجسام الغريبة، أو الكي بالنار، أو إجراء حجارة، أو اقتلاع ضرس، أو ثقب جمجمة لنزع الشظايا منها، أو غير ذلك من

العمليات التي برع في إجرائها الإنسان القديم، مما دلّت عليه آثار جماجم وعظام يرجع تاريخها إلى العصر الحجري كما يذكر الأستاذ الدكتور شوكت الشطي رحمه الله في كتابه (تاريخ الطب البدائي) والذي يضيف أيضاً أن تاريخ أول وثيقة تُثبت تبديل السن الطبيعية بسن اصطناعية، يرجع إلى القرن الخامس ق.م، حيث وضع الرومان قانوناً حرموا بموجبه وجود الذهب في قبور الموتى، واستثنوا من ذلك خيوط الذهب التي تستعمل في ربط الأسنان بعضها ببعض، والأسنان الذهبية. كما يذكر أنه وُجد في أفواه المومياء المصرية أسنان وأضرار مصلحة بالذهب، وأضرار اصطناعية من العاج أو الخشب.

ثم تطورت هذه التقنيات ببطء أو بسرعة، وكان للمخترعات العظيمة كالكهرباء ووسائل الاتصال والطباعة والحاسوب وغيرها... الأثر الأكبر في تطور علم الطب وتقنياته بالخاصة، وفي تطور العلوم بالعامّة، فقد وصل الإنسان اليوم، وقبل اليوم، إلى حضارات مذهلة، وآلات معقدة تمكن بواسطتها من تشكيل المعادن، وغزو الفضاء، وسبر أعماق البحار والأرض... ولم يقنع بهذا فقط، بل أصر على سبر أغوار الخلية الحية، والتحكم بكيماؤها، كما أصر على أن يضبط ويقس كل ما يراه حوله. إنه سيد الكون لا محالة.

ويُعتبر عصرنا الحالي بحق عصر التفجر العلمي والتقني في جميع مناحي الحياة. وقد أوجد هذا التفجر من الآلات والأجهزة الطبية ما لا يُعدُّ ولا يُحصى. وبكلمة إنصاف وعدل يمكننا القول إن الفضل فيما نجده من تقدم طبي في أيامنا هذه، لا يعود إلى الأطباء فقط، بل يعود إلى التقنيين وغيرهم من ذوي الاختصاصات العلمية الأخرى كمهندسي الكمبيوتر والالكترون والكيمياء

والميكانيك والكهرباء، وعلماء الفيزياء والرياضيات وغيرها... فبالأمس القريب أي منذ أقل من نصف قرن، كانت عدة الطبيب الرئيسة هي المسمع وميزان ضغط الدم وسيرينغات الحقن (المحاقن) والقناطر و... أما اليوم فقد أصبحت المعدات الطبية ضرورية للطبيب، وأسلحة لا يمكن الاستغناء عنها. من هذه المعدات ما هو ضروري لتشخيص المرض كأجهزة التخطيط القلبي والدماغي والعضلي، وأجهزة التصوير والتنظير الشعاعي بأشعة X، وأجهزة التصوير الطبقي المحوري، وأجهزة التصوير بالأشعة فوق الصوت وغيرها... ومنها ما هو ضروري للمعالجات المختلفة، كأجهزة الصدمة الكهربائية التي تعيد قلب المريض إلى العمل بعد توقفه، وأجهزة المعالجات الشعاعية والمعالجات الفيزيائية وجهاز الكلية الصناعية وأجهزة الإنعاش والتنفس الصناعي والتخثير الكهربائي (المشرط الكهربائي) وأجهزة التخدير وغيرها... ومنها الأجهزة المخبرية المختلفة كالمجاهر بأنواعها والمُنقّلات والحمامات المائية ومقاييس الحموضة "P.H" وعدادة الكريات.

وفي أيامنا أصبح استخدام الالكترونيا في الطب (الالكترونيا الطبية) في طليعة التقنيات الطبية، حيث يمكنها تحويل الوحدات الحيوية إلى وحدات كهربائية مُضخمة ملايين المرات، مما نتمكن معه من قياسها وتسجيلها بالتحكم اليدوي والآلي. وأصبحنا نجد من المعدات الطبية الصغيرة الحجم السهلة الاستعمال، العديد يومياً.

وجميعنا نقدر أهمية الأشعة السينية (أشعة X) في التشخيص الطبي، فمنذ أن اكتشفها العالم رونتجن عام ١٨٩٥م وحتى اليوم أخضعت إلى تطورات

عديدة، وما زالت تستخدم على الرغم من أخطار التعرض لها. وكل يوم تقدم لنا الصناعة الطبية، الجديد المتطور من أجهزتها للإفادة منها في تصوير أنحاء الجسم المختلفة. وإنه لأمر ضروري أن يُستفاد من هذه الأشعة بأيدٍ خبيرة، وأن يكون المريض على علم ودراية وتفهم تام بأمور التحضير قبل إجراء التصوير بأشعة رونتجن. ففي تصوير الجهاز الهضمي العلوي مثلاً، يوصى المريض بالأكل يتناول أي مسهل عن طريق الفم، ولا أية حقنة شرجية (رحضة) قبل العمل بيوم واحد، وأن يتناول عشاءً خفيفاً، وأن ينقطع عن تناول أي طعام أو شراب بعد منتصف الليل، حتى ويمنع عن مضغ اللبان (العلكة) وألا يُدخن السكاير وغيرها حتى ينتهي من عملية التصوير. وأحياناً فقط يُنصح بتناول ملّين لطيف كالحليب أو المانيزا "Magnesium Sulfate" بعد الانتهاء من الفحص.

وفي حال تصوير الجهاز البولي، حيث نستعمل مادة يوديّة، يجب تذكير المريض فلعله متحسس لليود ومشتقاته. وفي حال استخدام مادة فينول سلفون فتالئين "P.S.P" لاختبار وظائف الكلى، يجب ألا نتوقع حدوث الإفراز الكلوي قبل مرور ساعتين على الأقل.

وفي حال تصوير الجهاز البولي بالطريق الراجع، فإن بعض الشعاعيين لا يوصون بأية إجراءات للتحضير، بينما يوصي البعض الآخر المريض بالأكل يتناول أي شيء عن طريق الفم بعد العشاء الخفيف، كما يوصيه برحضة شرجية منقطة في الصباح، وبالالتزام بالوقت المحدد لإجراء التنظير المثاني.

وفي تصوير المرارة بطريقة إعطاء المادة الظليلة بالفم، فإذا لم تشفَ المرارة، يلزم إعادة التصوير بعد إعطاء ضعف المقدار من المادة، أو اللجوء للتصوير بطريقة الحقن الوريدي. ويلزم الانتباه إلى أن المرارة لا تظهر في الصورة في الحالات التالية التي يعرفها الأطباء جيداً:

- في حال وجود إصابة كبدية صريحة.
- في حال وجود (مشعر يرقاني فوق ٢٠) أي يرقان صريح واضح.
- في حال وجود انسداد البواب.
- في حال وجود إسهال.

ففي حال وجود أية حالة من الحالات السابقة، يتم التصوير بحقن محلول وريدي يُودي، حقناً بطيئاً مع التأهب والاحتياط لإمكانية حدوث التحسس لمادة اليود.

ولا لزوم لرحضة شرجية أو تناول مسهل قبل التصوير. وينصح المريض بتناول عشاء خال من المواد الدهنية، كما يمنع عن تناول أي شيء عن طريق الفم بعد منتصف الليلة.

وعلى الرغم من أن الكميات الكبيرة من أشعة X، والتعرض الطويل الأمد لها، قد يؤديان إلى تبدلات جينية وراثية "Genetic" وإلى أضرار أخرى، فإن الكميات والطرق المستخدمة فيها حالياً والنظم والاحتياطات ظلت كافية لحماية الطبيب والمريض حتى نهاية الثمانينات من القرن ٢٠ تقريباً، أما اليوم فلم تعد كافية بسبب انتشارها الواسع وعدم وجود دقة في الحماية المختلفة لغرف الأشعة.

وأما أجهزة التصوير الطبقي المحوري "Tomography" فهي أجهزة متطورة من الأجهزة الإشعاعية السابقة. وتمتاز بأنه يمكننا الحصول منها على صورة لطبقة رقيقة من جسم المريض وذلك بفضل الحركة المتوافقة لكل من إشعاعات رونتجن، ومجموعات توليد الصورة. وقد طُورت هذه الأجهزة أيضاً، وبُرمجت مؤخراً باستخدام الحاسب الالكتروني.

كما أن أجهزة الرنين المغناطيسي "MRI" تعتمد على الاستفادة من طاقة الحقول المغناطيسية بتحويلها إلى وشائع يمر فيها تيار كهربائي، ترتبط قوته بناقلية النسيج الحية، وبشدة الحقل المغناطيسي، فتتحرك الأيونات الموجودة في مجال الخلية الحية. لهذا استفيد من هذه الأجهزة في مجال العلاج بالحرارة الناجمة عنها، وفي مجال التشخيص بأجهزة الرنين. ولا بد من القول بأن أي سوء في تحضير مادة التحميض يؤدي إلى صور غير واضحة وأخطاء فادحة في التشخيص.

وتختلف أجهزة الأمواج فوق الصوت "ECHO" أجهزة الصدى عن الأجهزة السابقة، فهي أجهزة تشخيص تعمل على مبدأ الصدى (أو النبض) حيث إن انتشار هذه الأمواج يختلف حسب كثافة الوسط الحيوي، وحسب تركيبه ولزوجته وتبدلاته المرضية، مما نتمكن معه من الحصول على صور للأجزاء الطرية التي تعجز أشعة X عن إظهارها بالوضوح المطلوب. وقد حضرت الصناعة نوعين من هذه الأجهزة: أجهزة الإيكو العادية (نموذج - A) وأجهزة الإيكو بالمقاطع (نموذج - B). وبشكل عام تفيد أجهزة الإيكو في مجالات تصوير القلب والعين والتصوير العصبي وتصوير الأجنة والحوامل

بالخاصة، حيث إن هذه الأجهزة تقدم صوراً واضحة ودقيقة على شاشات تلفزيونية، يتمكن الطبيب معها من تقدير عمر وحجم وجنس ووضع الجنين، والعديد من التشوهات إذا وجدت. وعلى الرغم من إجماع الرأي على أمان هذه الأمواج بالنسبة للأم والجنين معاً، وعلى الرغم من توصيات المعهد القومي الأمريكي للصحة بالإفادة من هذه الأجهزة واستخدامها في جميع المشافي والعيادات، فإنه أوصى أيضاً بأن يكون هذه الاستخدام رشيداً، وباستطباب مقبول، وألا يكون إرضاء لفضول الوالدين في معرفة جنس الجنين. والزمّن المستقبلي هو العامل الوحيد الذي يمكنه أن يؤكد إذا ما كان لهذه الأجهزة أية أضرار على المرضى. هذا مع التحفظ بتأثيراتها على عيون الطبيب. وقد حذرت دراسة طبية أجريت في السويد حديثاً، من أن فحص الأجنة بالموجات فوق الصوت بصورة متكررة، دون فارق بين فترات الفحص، قد يؤثر في أدمغتهم ويؤدي إلى إنجاب أطفال عسر. ووجد الباحثون في معهد كارولينسكا الطبي، بعد دراسة أكثر من ٨٠ ألف شاب، أن الرجال الذين ولدوا في السبعينات ممن تعرضت أمهاتهم للصدى خلال الحمل بهم، كانوا عسراً.

ولا بد من ذكر أجهزة التشخيص النووية " Nuclear Diagnosis

"Equipment" التي تعتمد على حقن نظائر مشعة في جسم الإنسان، ثم دراسة توزيعها لتشخيص وظيفة بعض الأعضاء كالغدة الدرقية والرئة والكبد والطحال والكلى والقلب والدورة الدموية، والتشخيص المخبري الطبي.

ويوصى دوماً بعدم اللجوء إلى التصوير بالمرنان المغناطيسي أو المعالجات بأجهزة الطاقة المغنطيسية ذات التردد العالي، عند المرضى

المصابين بالروماتيزم والتهابات الجلد والأمراض النسائية المستعصية، والمرضى الذين يستخدمون ناظم الخطى القلبي "Pacemaker" أو لديهم أعضاء صناعية داخلية (في الفخذ مثلاً) من الأجهزة التي تُستخدم فيها الترددات المنخفضة للحقول المغناطيسية.

وفي مجال التخطيط الكهربائي، أي تخطيط كهربائية الجسم الحي، فقد اخترعت أجهزة التخطيط القلبي "Electric Cardio-Graphy"، هذه الأجهزة تسجل تسجيلًا بيانيًا فولتاج الكهربائية الناجمة عن عضلة القلب خلال النبض، وليس لها علاقة بالحركة الآلية للقلب، لهذا فهي تستخدم كتقنية مكملة للدراسة القلبية مع غيرها من الفحوص المكملة. ولا يمكن الاعتماد عليها كوسيلة كافية بيد الطبيب، إلا في حالات معدودة ومحدودة نذكر أهمها:

- بعض حالات عدم انتظام ضربات القلب وسوء النقل.
- احتشاء العضلة القلبية مع الأعراض السريرية الواضحة.
- ضخامة البطينات مع مرض قلب ولادي.
- تأثيرات الأدوية على القلب وبخاصة الديجيتال والكينيدين.
- إصابات القلب الناجمة عن أمراض عامة كالحمى الرثوية (الروماتيزم) والدفترية (الخانوق).
- نقص البوتاس الدموي أو زيادته.

أما أجهزة تخطيط الدماغ الكهربائي "Electric Encephalography" فهي تعمل على تسجيل الفعالية الكهربائية الدماغية بعد تضخيمها، حيث إن هذه

الفعالية ضعيفة جداً، وبخاصة عند الأطفال ثم تزداد مع تقدم في العمر، لهذا فإن مخططات دماغ الأطفال غالباً لا تؤخذ بعين الاعتبار .

وتُعتبر مخططات الدماغ (كمخططات القلب) ذات قيمة مكملّة للفحوص الأخرى، يستأنس بها الطبيب في سبيل وضع التشخيص، ولا يمكن الاعتماد عليها اعتماداً كاملاً (عكس ما يتوهمه العديد من المرضى)، فكثيراً ما تبدي حالات الرضوض الدماغية وأمراض الأوعية والحالات الالتهابية والتشنّجات "Neoplasms"، تبدلات متشابهة في مخططات الدماغ، كما أن مخطط الدماغ قد يبدو طبيعياً على الرغم من وجود مظاهر سريرية مرضية واضحة، إضافة إلى أن متابعة تقنية التخطيط لزمان يتجاوز الساعة، قد يؤدي إلى مخطط دماغي ذي موجات متماثلة لا يمكن اعتمادها، قد توقع في الخطأ.

وأكثر ما يفيد الطبيب من مخططات الدماغ، يكون حين وجود آفة عضوية (كالأورام والخراجات والأنزفة الرضية...) أو في حالات الصرع، فهي تمكن الجراح من تحديد مكان الشق الجراحي، وتمكن الطبيب المعالج من تحديد نوع المعالجة المعتادة للاختلاج. ولا بد من التنويه إلى أن ١٥% من المرضى المصابين بالصرع الكبير، لا يبدو في مخططات دماغهم أي تبديلات غير طبيعية، كذلك فقد تشاهد مخططات غير طبيعية عند المصابين بالتهابات السحايا والتهاب الدماغ والشذات الوعائية والحصبة والنكاف وإنتان وحيدات النوى ومرض الدماغ التنكسي.

وبصورة عامة يجب أن يتولى قراءة مخططات الدماغ الطبيب الخبير، حيث أنها تختلف كثيراً باختلاف عوامل عدة منها مهارة التقني، ومواصفات الجهاز ومدة التسجيل وعدد ومكان الأقطاب وفطنة الطبيب ودرايته. وإن ما ينطبق على تقنيات التخطيط القلبي والدماغي، ينطبق أيضاً على التخطيط العضلي والعصبي وغيرهما...

وفي مجال البصريات "Optics" اخترع المجهر والمكبرات الأخرى لتكبير الأشياء ورؤية دقائقها التي لا تستطيع العين المجردة رؤيتها. وطُوِّرت المجاهر وتنوعت حتى وصلت قوة التكبير فيها إلى حدود ٢٠٠٠ مرة. واخترع المجهر الالكتروني الذي يعتمد على إطلاق شعاع الكتروني خلال صفيحة معدنية، في مسار يمكن لدى انبثاقه منه أن يُكَبَّر بواسطة مغناطيس كهربائي، أي أنه يختلف عن المجهر العادي باستخدامه الشعاع الالكتروني بدلا عن الشعاع الضوئي في المجهر العادي. وقد وصل التكبير فيه إلى ١٢ ألف مرة ثم ٣٠ ألف مرة ثم ١٠٠ ألف مرة.

من حالات الخطأ التقني أيضاً الأخطاء الناجمة عن استخدام عدسة لاصقة، فقد أصبحت العدسات اللاصقة تستعمل بشكل واسع في أيامنا كتقنية حديثة في إصلاح عيوب القرنية العينية. وقد ذكر أحد التقارير الصادر عن الاتحاد الألماني لمراقبة صحة المشافي أن أغلب المحاليل المنظفة والمعقمة التي يستخدمها المرضى لتعقيم العدسات يوميا، غير خاضعة لرقابة صحية غالبا، وغير مطابقة للمواصفات العالمية. هذا عدا أنها قد تكون بيئة صالحة لنمو بعض أنواع من الجراثيم والطفيليات. "Acanthamoeba" والفتور

"Fusariums" مما يسبب التهاب القرنية "Keratitis" أو تحسسها أو التهاب الملتحمة العينية وتقرحها أيضاً بهذه الأحياء الدقيقة، وبالتالي تفرح القرنية. فإذا أضفنا إلى هذا الاستعمال الخاطئ (عدم إغلاق العبوة جيداً، وطول مدة الاستخدام، وإعادة جزء من المحلول إلى القارورة وعدم غسل الأيدي ومراعاة النظافة التامة....) والطقس الحار، وتأثير الغبار والسباحة والكلور المضاف لماء الحمام، وظروف العمل الملوثة ومشابهاها....، لوجدنا أن استخدام النظارة أفضل بكثير من هذه العدسات. وعلى هذا سحبت أغلب هذه المحاليل من أسواق هونغ كونغ وسنغافورة وألمانيا.

واخترت أدوات التنظير "Endoscopes" التي تستخدم في الطب لإلقاء نظرة مباشرة على الأجزاء الداخلية المختلفة من الجسم بغية استقصائها في الحالات الطبيعية والمرضية ويتم إدخال أدوات التنظير إما من خلال الفتحات الطبيعية كالقناة والشرج والمهبل والأنف والأذن ... أو من خلال شق جراحي في المنطقة المراد استقصاؤها كالصدر والبطن. وتفيد عمليات التنظير هذه لإدخال القناطر وأنابيب الفحص والغسل، كتتنظير المثانة الذي يتمكن الطبيب معه من غسل المثانة، كما تفيد لأخذ الخزعات اللازمة، ولإيقاف الأنزفة الداخلية أحياناً. وقد يُستطاع بها إجراء عمليات جراحية كاستئصال المرارة بالتنظير الجراحي، لهذا فقد تطورت هذه الأجهزة البسيطة المضاءة كمنظار الأنف والأذن ومنظار المستقيم والمهبل وغيرها ... إلى المناظير المجهزة بتجهيزات إضافية تحقق الغايات المذكورة. وأصبح تحت تصرف الأطباء اليوم مناظير قاسية كمنظار المستقيم (الشرج) غير القابل للانحناء أو الطبي، ومناظير

مرنة ذات ألياف زجاجية تسمح للمنظار بالتكيف مع العضو المنظّر، وتزوّد هذه المناظير بمجموعات من العدسات، وبمجموعات للإضاءة، وبكاميرات للتصوير، وغير ذلك...

وفي مجال التشخيص المخبري، اخترعت الأجهزة والمعدات والآلات الدقيقة اللازمة للتشخيص المخبري الخلوي أي لأخذ الخزعات وعمل اللطاخات وغيرها... وللتشخيص المخبري الكيماوي كأجهزة فحص السكر والبولية "Reflumat" وأجهزة الفحوص الدموية الأخرى التي لا يمكن حصر عددها فكلّ يوم تطلع علينا الصناعة الطبية بالأنواع المتطورة منها، وللتشخيص المخبري الجرثومي كعلب الزرع الجرثومي ومعدات اختبارات التحسس والفحوص الجرثومية المختلفة، ولسير الفتحات اخترعت القناطر البولية والنسائية والمعدية وقناطر النواسير، والقناطر القلبية وغيرها... واستخدمت جميعها في التشخيص والعلاج.

ليس هذا فقط فقد استخدم العديد من المعادن والمواد الأخرى، بعد تشكيلها، في الطب وفي المعالجات الطبية: كالبراغي والصفائح والجبائر والمواد البلاستيكية وغيرها...

ولئن حاولنا استعراض ما أنتجته الحضارة التقنية الصناعية وقدمته للأطباء، لم نستطع في هذه العجالة حصره، وما يهمني في هذا الصدد أن جميع هذه المنتجات التقنية على الرغم من فوائدها التي لا تقدر، فإن لها مشاكلها وأخطارها، فاستخدام القناطر والمسابر البولية والنسائية، والمناظير المختلفة، قد يؤدي على الرغم من قناعة الطبيب بوسائل التعقيم التي اتخذها، إلى إنتانات

عسيرة المعالجة. وإذا ما تكرر هذا الاستخدام فسوف يؤدي حتماً إلى تلك الإنتانات أو إزمانها.

ومثل هذا يحدث لدى حقن الأدوية ضمن المفاصل أو لدى إجراء بزل المفاصل ومن المفيد هنا أن نذكر أن التقارير العلمية تؤكد أن امتصاص الدواء المحقون عن طريق المفصل، يعدل تماماً امتصاصه إذا حقن عن طريق العضل، ونوصي بعدم اللجوء إلى الحقن المفصليّة. وإن هذه الأفكار التي تبدو لأول وهلة بسيطة وساذجة، تضعنا أمام حقيقة علمية هي أن وسائل التعقيم الحالية -على تطورها وتقدمها وجودتها- ما زالت غير كافية. أو أن زمر الأحياء الدقيقة المكتشفة حتى يومنا هذا من جراثيم وطفيليات وفيروسات وفطور وأشنيات وبريونات وغيرها..... ليست هي كل ما في هذا الوجود من أحياء دقيقة ممرضة، والمستقبل وحده هو الذي يكشف الحقيقة.

وقد يؤدي البزل القطني الفني أي الذي أجري حسب النظم العلمية الصحيحة، قد يؤدي إلى صداع يستمر عدة ساعات. أما البزل القطني السريع فقد يسبب الموت المفاجئ بسبب انهيار خيمة المخ. وما أجمل تلك اللوحة المضادة التي علّقت على باب وحدة البزل القطني في أحد المشافي الأوربية، وقد كتب عليها:

أيها الزميل الطبيب:

(إذا هممت بإجراء البزل القطني لمريضك، فاحذر فعل مريضك أن يكون مصاباً بفرط التوتر ضمن القحف، وبخاصة إذا كان هذا التوتر المفرط ناجماً عن ورم يقع أنسي الخيمة "Infra-Tentorial Tumor"، فقد يحدث خطر ضغط القاع "Medulla"

وإصابة المراكز الحيوية بأضرار فادحة. لهذا فقبل إجراء البزل إفحص قعر العين، وفتش عن وذمة في حليلة العصب البصري).

إن وذمة الحليلة تدل على فرط التوتر ضمن القحف، ولئن كانت هذه التعابير الطبية لاتهم الكثير من الناس، فقد أوردتها فقط للاستئناس.

وقد يؤدي تخطيط القلب الجهدي "EFFORT EKG" أو تصوير القلب والأوعية أو قنطرة القلب أو إجراء خزعة كبدية أو كلوية ... إلى موت محقق. كما قد يؤدي استخدام ملقط الجنين إلى تمزقات غير مرغوبة في السبل النسائية تصل السبل النسائي بالشرج وتبقي علة مزمنة إذا لم يتدخل الطبيب بإجراء خزع جانبي يجنب المريضة ذلك. وقد يؤدي التفريغ السريع لكيسة مائية في الكبد، إلى صدمة مميتة. وقد يحدث انتقاب الرحم لدى تثبيت لولب نسائي لمنع الحمل، كما أن نزع لولب مُنعَضّ ضمن الرحم قد يسبب تمزقاً وأنزفة حادة، لهذا تُنصح النساء دوماً بمراقبة اللولب، وبعد تركه ضمن الرحم أكثر من خمس سنوات. ويجب أن يضع الطبيب في حسابه دوماً أن أبسط الآلات والأدوات الطبية، قد يؤدي إلى أخطر المشاكل فاستعمال رأس إبرة واحدة لحقن عدة أشخاص يكون سبباً في نقل العديد من الأمراض وعلى رأسها الإيدز "Aids" والتهاب الكبد الالتهابي B.

وليُعلم أن البلاستيك (اللدائن) نفسه والذي أصبح يدخل في تصنيع أكثر من ٨٠% من الآلات والأدوات الطبية، بأنواعه المختلفة (PVC، بولي إيثيلين ...) إن هذه المادة أي البلاستيك، أصبحت موقع شك وخوف وحيرة، فمنها تصنع الحقن الطبية، والقناطر المختلفة، وفيها تحفظ المصول والأدوية والدم

والبلازما وغيرها ... ولا توجد حتى اليوم مصادر علمية موثوقة، لديها دراسات حول البلاستيك وآثاره السئية في هذه المصنعات. إلا أن بعض الحوادث الغربية أصبحت تواجهنا بضرورة إعادة النظر في استخدام هذه المادة. من هذه الحوادث ما ذكرته مجلة الفيصل في عددها ٢٣٣ مارس/ إبريل ١٩٩٦ أنقله حرفياً:

(في عيادة أحد الأطباء الأمريكيين، تبين أن رجلاً من أوهايو، يبلغ من العمر ستاً وأربعين سنة، يعاني من خدر في أصابعه وراحة يده، وربما من ضعف عقلي، نتيجة لإصابته بتسمم رصاصي. ولم يكن بالوسع اكتشاف المصادر الاعتيادية للتسمم الرصاصي عند ذلك الرجل. وحلّ اللغز عندما كشف المريض الذي يعمل كهربائياً، بأنه اعتاد أن يمضغ قطعاً من البلاستيك كان يحررها من أطراف الأسلاك الكهربائية. وتم فحص طبقة الدهان التي تطلّى بها الأسلاك، فوجد أنها تحتوي على مستويات من الرصاص تتراوح ما بين معتدلة إلى عالية).

وأكثر من هذا فإن بعض الخبراء في اليابان وأمريكا كما أوردت الفيصل في عددها ١٣٢ شباط/ ك ١٩٨٨، يتوقعون بأن وحدات المعالجة المصغرة "Micro-Processors" التي أصبحت اليوم تقوم بمراقبة عمل الآلات والسيارات وأنظمة الأمن الصناعي والمنازل، هذه الوحدات لن تبقى للإنسان الكثير من الأعمال التي يتعين عليه أدائها. فإن هذا الأمر إذا ما دخل المجال الطبي، أصبح المريض عندئذ عبارة عن حالة أو رقم معين يخضع إلى الفحوص التقنية العامة، دونما حاجة إلى الطبيب. أو على الأقل يصبح دور الطبيب هو الإطلاع على هذه الفحوص، وإبداء الرأي، وتتفني بهذا المرحلة السريرية التي هي الأساس في العلاقة بين المريض وطيبه، وهي الأساس في

الوصول إلى التشخيص والمعالجة الصحيحين، فكل ما عداها من مخترعات وأجهزة تقدم للطبيب فحوصاً إضافية توجه الفحص السريري وتعينه على وضع التشخيص الصحيح، هذه الفحوص كانت تدعى وما تزال، بالفحوص المكملّة "Complementary Exams."

وأخيراً فكثيراً ما تخطئ الآلة وتعطي نتائج رقمية مشوشة تضلل الطبيب. وأسباب هذا الخطأ عديدة نذكر منها عدم ثبات شدة التيار الكهربائي وتقطعها، ووجود ساحات كهرومغناطيسية حول مكان الفحص (سواء كان عيادة أو مشفى أو غير ذلك ...) الأمر الذي يعتبره علماء البيئة أحد عوامل التلوث، واستخدام الآلة بيد ناقصة الخبرة، والعوامل الجوية المختلفة وغيرها.... هذه الأمور التي لا يؤبه لها في البلاد المتقدمة، أما في البلاد النامية والفقيرة، فلا بد من وضعها في الحساب.

ولابد أخيراً من ذكر أضرار التقنيات غير الطبية على العيون والدماغ، كأشعة التلفاز والهواتف النقالة على الأذن (أورام ونقص سمع) وبعض الأقلام ولعب الأطفال التي تعطي إشعاعات مختلفة مُحِبَّةً للصغار وتأثيرات الساحات الكهربائية تحت الأسلاك أو في المنازل والموبايل وغيرها....

الأخطاء السلوكية:

يشبه موقف الطبيب أمام مريضه، موقف الكاهن أمام المصلين، فالمرضى يُحصي عليه سكناته وحركاته، ويُفسر تعابيره ونظراته. وهذه السكنات والحركات والتعابير والنظرات تختلف اختلافاً كبيراً حسب عدة عوامل منها:

معرفة التشخيص أو غموضه، ونوع المرض، ومدى فاعلية الدواء الموصوف وآثاره الجانبية وغيرها... وإذا ما أضفنا إلى هذه العوامل القناعات العلمية وخبرة الطبيب ومستوى الوعي الصحي عند المريض، فكثيراً ما ينجم عن هذه التصرفات مشاكل عديدة عند المرضى، هذه المشاكل تعتبر من أخطاء الممارسة. فكم من إيماء مبهمة ظهرت على وجه طبيب أشكل عليه تشخيص المرض، أوحى للمريض أن مرضه غير قابل للشفاء، وزجته في حالة نفسية يائسة، زادت من سوء حالته الجسدية. وكم من مريض أصابه البرد الشديد فشكا من تشنجات عضلية مؤلمة أو من زكام وسعال أو من حرقة في مسالك البول السفلى وراجع طبيبه خائفاً ينشد عنده الاطمئنان والراحة فأوهمه الطبيب -بقصد أو بغير قصد- بأن مرضه عضال صعب المعالجة، فانقلب بعدها من مريض عادي يمكن شفاؤه بأبسط الوسائل الطبيعية كالمغاطس القديمة الحارة والتدبير الدافئ وتناول بضعة أكواب حارة من منقوع البابونج أو الزعر البري أو من مغلي ثمار الشعير أو ثمار الشوفان، إلى مريض نفسي بمرض الخوف من السرطان "Cancero-Phobia". وإن تصرفاً انفعالياً أو مستهتراً من قبل الطبيب، قد يسبب مشكلة فادحة له ولمريضه معاً، كان بالإمكان تلافيها لو عدّ الطبيب إلى العشرة -كما يقال- أي لو تروى وملك هدوءه واتزان.



الفصل الثالث

الطب البديل وممارساته

كتاب الخطأ في الطب والطب البديل

الطب البديل وممارساته

ما هو الطب البديل؟

ليس موضوع الطب البديل، موضوعاً حديث العهد، بل إن تبدل النظريات الطبية خلال العصور، منذ الشامانية البدائية "Shamanism" القديمة، حتى يومنا هذا، لَيَدُلُّ على أن هناك طبّاً آخر غير الطب التقليدي الذي كان مُتَّبِعاً في حينه. وهو طبٌّ نجمَ عن تطوّر التقنيّات، وتبدل المعارف العلمية من زمنٍ لآخر، وهذه هي سُنّة التطور في جميع العلوم.

وقد عملت وسائل الإعلام - بعد التطور المذهل في الاتصالات- على نقل ما يدور حول (الطب البديل) والطب الأكاديمي، بأمانة ووضوح، وأدلى كل ذي معرفة بمعارفه عن طريقها، والهدف عند الجميع، هو الحرص على صحة الإنسان، وتأمين راحته، ومكافحة المرض.

لندخل معاً صلب الموضوع الذي هو اليوم كما قيل: (ماليء الدنيا وشاغل الناس). فمصطلح (الطب البديل) هو مصطلح حديث، وترجمة للكلمة الغربية "Alternative Medicine" وهذه الترجمة طبعاً غيرُ صحيحة، فهي تُوحي بأننا نستبدل بطبنا المعاصر الحضاري التقني، طبّاً متوارثاً قديماً بدائياً. بينما ترجمة المصطلح الصحيحة هي (الطب المتبادل) وهي تعني تبادل المنفعة للمريض بين وسائل الطب الأكاديمي الحالي - وبخاصة الدواء الذي هو أكثر الوسائل العلاجية التي يتعامل معها الأطباء - وبين ما ثبت وعُرف منذ القديم،

وَجُرِبَ على ضوء التقنيات المتوفرة في حينه، من فعالية وأمان وتوفر. ولهذا كثيراً ما نرى أن بعض الكتب والمصادر، تعدل إلى تسميته بالطب الموازي "Parallel Medicine" أو الطب المكمل "Complementary Medicine" أو الطب الشمولي "Holistic Medicine" حيث يُعالج البدن والروح معاً، أو غير هذا من الأسماء العديدة التي قاربت عشرين إسماءً، مما يوضح الفكرة.

وإننا في كتابنا هذا سنحتفظ بمصطلح (الطب البديل) الذي أصبح مُتداولاً وغالباً، في جميع المراجع العربية.

لا يوجد اليوم في بلاد العالم تخصص باسم (الطب البديل) بل هناك تخصصات بديلة، حيث إنه ما زال عبارة عن ممارسات تُدرّس ويُتدَرَّبُ عليها من خلال دورات "Courses" ولم يتخذ أغلبها الصيغة الأكاديمية المعتمدة من قبل المؤسسات المعنية كمنظمة الصحة العالمية "W.H.O"، وقد بلغت هذه الممارسات، أكثر من تسعين ممارسة أو طريقة، وهي في ازدياد يوماً بعد يوم، أذكر منها على سبيل المثال:

- طب الأعشاب "Herbal Medicine".
- طب الطاقة "Reki".
- الطب المثلي أو التّجانسي "Homeopathic Medicine".
- المعالجة بالزيوت الثابتة والعطرية. "Aromo Therapy".
- طب المنعكسات "Reflexology".
- المعالجة بالماء "Hydrotherapy".
- المعالجة بالموسيقى "Music therapy".

- الوخز بالإبر الصينية "Acupuncture".
 - المعالجة حسب نظام "Macrobiotic".
 - المعالجة باستقطاب الطاقة "Polarity".
 - المعالجة بالطعام الحيّ (الغَضّ) د.آن ويغموور حائزة على جائزة نوبل.
 - العلاج بالتدليك "Massage".
 - العلاج باليوغا "Yuga".
 - العلاج باللون والضوء "Photo –Therapy".
 - العلاج بالإيمان الروحي.
 - العلاج باللمس ونقل الطاقة.
 - المعالجة بالزهور د.باخ.
- ولكل مدرسة منها، رائدها من الأطباء.

ولئن افتتحت بعض الكليات أو المعاهد في الغرب تحت اسم (الطب البديل) فإنما هي تُعنى بالبحث والتدريس والتأهيل في صنف أو صنفين أو أثر من فروع الطب البديل هذه.

وقد كثرت هذه المدارس في بلاد الشرق والغرب، وتمارس عملها من خلال عيادات أو مراكز استشفاء أو غيرها ... ويزداد نشاطها وعددها يوماً بعد يوم، وقد منحها دولٌ عديدة تراخيص قانونية، حيث إنها جميعها، تدعم عمل الطب الأكاديمي ولا تنفيه، وتقف بوسائلها الطبيعية في وجه الأدوية الكيميائية، التي لم يعد هناك شك بضرر أغلبها. ومن الخطأ الفادح أن نضعها جميعاً، في مصاف الشعوذة والدجل، ونحرم المواطن منها.

وكلمة حق تُقال، أننا ونحن نقف في مطالع القرن الحادي والعشرين للميلاد، وقد تشعبت العلوم واتسعت آفاقها، وأصبحنا نجد أنفسنا كنقطة في بحرهما، فسبرنا أغوار الخلايا، وتحكنا بالوظائف الفيزيولوجية، وحركنا عظيمات السمع، واخترعنا أدق الآلات والمناظير والكاميرات، وبها اطلعنا على بواطن الأحشاء، فأصبحت مبسطة أمامنا ككتاب مصور بدقة ما بعدها دقة..... ومع ذلك فإننا نقف بعجز وفشل أمام أبسط الحالات المرضية.

تقدمنا في الجراحة، ولكن هذا التقدم غطاء العديد من الأخطاء الطبية التي نسمع عنها كل يوم في وسائل الإعلام، والتي تُعتبر بحق وصمة عار في جبين الممارسة الطبية الحضارية.

وتقدمنا في التحاليل المخبرية، لكن هيهات هيهات، ففي كل يوم خطأ فادح يُبنى عليه أخطاء في المعالجة والتشخيص، ويعزوه كل متخصص إلى آخر، هرباً من المسؤولية، وقد يقع أخيراً على الشركة المصنعة لاختبار التحاليل "Test" أو يضيع ضمن ملفات المؤسسات القانونية.

أصبح الدواء بالخاصة، وتصنيعه وتجارته - كما يصفه البعض - مافيا تُصنف مع مافيا السلاح والمخدرات. وأصبحت الشركات الدوائية تتلاعب بأبداننا وأمزجتنا، كما يتلاعب الإعلام بعقولنا. وأصبح السؤال الملح: أين نحن من حضارتنا المرعبة؟ وأين نقف بأقدامنا المترجرجة؟
تُمارس الممارسات البديلة غالباً من قبل ثلاثة:

١- طبيب ممارس للطب العام أو الطب الداخلي (الباطني) أو أحد فروع الاختصاص الطبي الأكاديمي الأخرى، بعد أن اتبع دورة أو دون أن يتبع

دورة في أحد فروع الطب البديل سابقة الذكر. ويمارس هذا الطبيب عمله بعد إطلاع المريض أو ذويه على نوعية العلاج البديل وآثاره الجانبية إن وجدت، ومدى فاعليته وفائدته. وعلى هذا تتم موافقة المريض ورغبته الكاملة، وبخاصة بعد أن يَسَ وأحبط مما أوصلته إليه المداواة الكيميائية الطويلة، من مشاكل جانبية، وأمراض مزمنة مستعصية نجمت عن التسممات الدوائية. مَثَلُ هذا كالعديد من الأطباء الذين يستعينون في ممارستهم بالمعالجة بالطاقة أو المعالجات المثلية أو الأعشاب... وشأن هذه الممارسات، شأن الجراح خريج الستينات من القرن الفائت، الذي يُطور معارفه باتباع دورة في التنظير الجراحي، وشأن الطبيب العام الذي اتبع دورة في تثبيت اللولب المانع للحمل.

٢- غير طبيب، وهذا بالطبع مرفوض من قبل الأنظمة الطبية، والقوانين الوضعية، ومثله مثل العطار الذي اتخذ من التطبيب مهنة متوارثة عن آبائه.

٣- إنسان هاو أو مشعوذ، لا يمت للطب بصلة، وهذا مرفوض أيضاً من جميع الجهات المهنية والقانونية والشرعية.

لا بدّ من القول أولاً بأن المشكلة ليست مشكلتنا وحدنا في القطر السوري بالخاصة، أو في العالم العربي بالعامّة. بل هي مشكلة عالمية، يمكن إيجاز دوافعها في سببين رئيسيين هما:

أولاً: أخطاء الممارسة الطبية "Iatrogenic Disorders" الناجمة عن وسائل التشخيص والعلاج والتقنيات الطبية الحديثة، وبخاصة الدواء كما أسلفنا. وعن سلوكيات الممارسة عند بعض ذوي المهنة الطبية أيضاً.

ثانياً: عجز الطب الأكاديمي الحالي عن شفاء ٨٠% من الأمراض حسب آخر إحصاء رسمي، يكفي أن نعد منها الأمراض والتناذرات التالية:

- التهاب الكبد الفيروسي "Infectious Hepatitis".
- الزُّلاق وسوء الامتصاص "Coeliac and Malabsorption".
- فشل الكلى "Renal Failure". والنفروز "Nephrosis".
- رثيَّات المفاصل المختلفة "Articular Rheumatic Disorders" ونظائرها "Rhematoid Arth".
- أمراض سوء الاستقلاب "Metabolic Disorder" كالسكري "Diabetes" والنقرس "Gout" وفرط شحوم الدم "Hyperlipedemia".
- وغيرها ...

- الأمراض النفسية جميعها والأمراض العقلية.
- السرطانات.
- الأرجيَّات المختلفة.
- مشاكل عمل الغدد الصماء بالعامَّة سواء بالإفراط أو القصور.
- حالات عديدة من العقم.
- التهابات الكولون القرحية وأشكالها المختلفة.
- التكتسات المختلفة "Degenerations" وأخصها تكتسات الشيخوخة وعلى رأسها إلزهايمر "Elzheimer" أو الخرف.
- انتانات طرق التنفس العليا التحسسية.

عُقد في سان باولو (البرازيل) عام ١٩٨٥ م، مؤتمر للطب البديل، أُعلن فيه أن الطب البديل غير مرتبط بالسحر والشعوذة أو السرية، لكنه مجموعة من الطرق وُضعت لإنقاذ الإنسان. وأنه هو الحليف الأمين للطب المعاصر، وليس كما يعتقد البعض بأنه سيحتل مكانه.

في المملكة المتحدة (بريطانيا) تم إنشاء مركز دراسات الصحة المتمم "Complementary Health Studies Center" في جامعة Exeter عام ١٩٨٧م، وإنشاء كرسي جامعي في نفس المجال عام ١٩٩٣م، وهو الأول من نوعه في بريطانيا. ثم تبعه منح درجة تخصص يحصل عليها الطبيب بعد اجتيازه عدة مراحل "Courses" بالمقررات التي تشمل الطب البديل في عدة جامعات أخرى.

أما المرضى الراغبون في الخضوع لمثل هذه المعالجات، فقد اشترط عليهم أن يتم تحويلهم من قبل طبيبهم العام، مما أعطى دفعا لهذا النوع من المعالجات، كالمعالجة بالأعشاب "Herbal Therapy" والمعالجة بالعطور أي بالزيوت العطرية "Aromotherapy" والطب المثلي أو التجانسي "Homeopathy" وعلاجات باخ "Bach Remedies" (بالزهور) وغيرها... مما أصبح متوفرا الآن عن طريق المستشفيات.

وفي عام ٢٠٠٢ قُدر عدد الأخصائيين في العلاج البديل الذي لا تُستخدم فيه العقاقير أو الجراحة، في بريطانيا، بحوالي ٤٠٠٠ أخصائي أي ما يزيد بحوالي ٣٠٠٠ طبيباً على عدد الأطباء الممارسين آنذاك. ولم تعد تلك الممارسات موضع استهجان أو سخرية أو شك من قبل الأوساط الطبية

الأكاديمية، بل إن الواقع يشير إلى أن كل طبيب ممارس في بريطانيا تلقى على الأقل دورة واحدة في العلاج الطبي البديل، خلال فترة ممارسته. وأن الذين يمارسون العلاج الطبيعي باتوا يتصرفون بيقظة كبيرة، ويشاركون في عشرات المؤتمرات التي تُعقد سنوياً في بريطانيا وخارجها.

وأشارت الإحصاءات إلى أن أربعة من كل عشرة أطباء (٤٠%) يصفون لمرضاهم العلاج البديل إلى جانب الأدوية.

وفي دراسة أجرتها الهيئة الطبية البريطانية، ورد أن ٩٥% من الأطباء الممارسين ، يقولون إن المرضى يسألونهم بشكل منتظم عن بدائل علاجية للأدوية المعروفة.

وورد أيضاً أن بريطانيا أنفقت عام ٢٠٠١م، ما يزيد على ٩٠ مليون جنيه إسترليني على العلاج البديل وبخاصة الأعشاب. وقد نشرت فضائية الجزيرة المشهورة مؤخراً، وفي أخبار الساعة السادسة مساء ٢٠٠٦/٣/١م الخبر التالي:

- (دُقت نواقيس الخطر في المشافي البريطانية، لوجود جراثيم معدة على جميع مضادات الالتهاب "Antibiotic"، أدت إلى خمسة آلاف وفاة سنوياً نتيجة الإهمال.
- وبعد دراسات طويلة، قُرّر الحل وهو:
 - التشديد على النظافة في المشافي.
 - دعم المناعة للمرضى بدواء يجعل الجسم يقاوم تلك الزمر المعدّة).

كما عقد أول مؤتمر دولي آخر للطب البديل عام ١٩٩١م في "Beijing" بالصين، وخلص بنتائج مشابهة .

وعقد مؤتمر دولي آخر للطب البديل في الإمارات العربية المتحدة، بين ١١-١٣ تشرين أول عام ٢٠٠٣م، شارك فيه أكثر من ٧٠٠ عالم متخصص وطبيب وصيدلي، أوجز ما جاء فيه من توصيات:

- أثبتت الإحصاءات في الولايات المتحدة الأمريكية، أن الأدوية الكيميائية، تعتبر السبب الرابع للوفيات بعد أمراض القلب والسرطان وأخطاء الطب.
- هناك ٤٢% من سكان الولايات المتحدة، تعتمد حالياً على استخدام وسائل الطب البديل. ويدفع هؤلاء المرضى من جيوبهم نحو ٢٧ مليار دولار سنوياً، للحصول على العلاجات البديلة، بسبب أن الطب البديل لا يشمل التأمين الصحي (الضمان).

- الطب الإسلامي مصدر رئيس من مصادر الطب البديل، إلى جانب: طب الأعشاب، الطاقة، الغذاء، المثلي، الأوزون

- عقد أول مؤتمر دولي عربي للطب البديل في ١٨ سبتمبر عام ٢٠٠٢م في الإمارات العربية المتحدة.

- في نيسان ٢٠٠٢، عقد المؤتمر السنوي للجمعيات العلمية والطبية والبيولوجية، في سان فرانسيسكو من الولايات المتحدة الأمريكية، حضره أكثر من ١٣ ألف عالم وطبيب من أنحاء العالم، وتم تداول أكثر من ٧ آلاف ورقة عمل وبحث على مدى ٥ أيام، وأكد على ما يلي:

- إن الطب الحديث لم يستطع رغم إمكاناته العملاقة، ولا الطب البديل، رغم قدم التعامل معه، وخبرة الشعوب الطويلة به، شفاء الأمراض بغالبيتها، ولهذا طرح د. نوري الوائلي (عراقي من بغداد، طبيب نساء وكلى، و د. طب بديل حالياً) ما سمّاه بـ (طب الميزان) يدعو للتوازن بين

الإنسان والبيئة. وقد قبل هذا الطرح، ونشرته مجلة "Faseb Journal" العلمية الفيدرالية الأمريكية عام ٢٠٠٣.

- إضافة إلى هذا لا بد أن نذكر أنه قد أنشأ في بوسطن من الولايات المتحدة الأمريكية، وبالشراكة مع كلية طب هارفارد، مركز للطب البديل، إضافة إلى ٣٨ ولاية أمريكية يُمارس فيها الطب البديل بشكل رسمي. ومؤخراً تم تخصيص و إنشاء إحدى الكليات بجامعة المنيا في مصر لدراسة الطب البديل بدءاً من الأعشاب الطبية.

بدأت الدول منذ منتصف الخمسينات (١٩٥٠) العودة إلى تراثها وتجاربها، تستنبط منها ما يفيدها على ضوء تقدم المخابر والتقنيات الطبية الأخرى، وكان هناك القبول، وهناك الرفض. وللرافضين دفاع قوي، أنه على الأطباء الالتزام بالنظم الطبية الحالية، وبمراجعتها الأكاديمية والقانونية. كما أن لغيرهم رأي آخر، هو أن ما أفرزته الحضارة من دواء وتقنيات... وما تظهره استطلاعات الرأي في جميع أنحاء العالم، يؤكد أن طبنا الحالي قد خلق من المشاكل المرضية، ما هو أسوأ من المرض نفسه، وعلى هذا فهل هناك ما يمنع من تجربة الوسائل التي مرت عليها السفن، وأغلبها مدروس ومعروف؟ وبخاصة بعد إلحاح المراجعين من المرضى الذين أحبطوا بسبب كثرة ما استعملوه من الكيمياء، وما أخضعوا له من تقنيات تشخيصية وعلاجية؟

وإنني أرى من خلال الممارسة الطويلة، وإحصاءات دقيقة ومحفوظة لدي خلال ما ينوف عن أربعين عاماً، أن نسبة الشفاء في الأمراض الباطنية،

لدى المعالجة بالوسائل البديلة، تفوق نسبتها لدى المعالجة بالأدوية الكيميائية، وليس هذا دفاعاً عن الطب البديل، ولا شجَباً له، بل انطلاقاً من الواقع العالمي والمحلي للهدف المطلوب، وهو حماية أرواح الناس وأجسادهم من الشعوذة والدجل، وتأمين معالجتهم بوسائل طبيعية أكثر أماناً وفاعلية وتوفراً وأقل كلفة.

ومن خلال هذا أرى أن هناك خطوات علمية وعملية، ذات جدوى، يلزم أن تتبناها جهة رسمية ما في أي بلد عربي، أسوة بما يجري في أغلب بلدان العالم. هذه الخطوات أوجزها بما يلي:

١-الاتصال بالمنظمة العالمية "W.H.O" للاستئناس بما يجري في بلاد العالم حول الطب البديل.

٢-دعوة أهل العلم والخبرة والممارسة -لا أهل الوظائف السياسية والإدارية الذين ليس لهم دراية في المجال ولكن بيدهم القانون يتصرفون به حسب رأيهم- من الأطباء وغير الأطباء وهذه الدعوة يلزم أن تكون عن طريق نقاباتهم، وأؤكد على هذا الأمر، حيث إن ما يُعقد من ندوات إعلامية وغيرها... لا يعلم بها الأطباء المعنيون إلا بعد انقضائه، عدا أن التوجّه الإعلامي فيه غير موضوعي وموجّه. يُدعى هؤلاء للإدلاء بمعرفتهم وتجاربهم وممارساتهم في الموضوع، بشكل ندوات أو محاضرات علمية نزيهة، بعيدة عن الادعاء والسلطوية، مما يمكن بعدها اعتماد ضوابط لهذه الممارسات، ومما يشبه مثلاً اعتماد وزارة الصحة في بعض البلدان كسوريا للمرجع الأمريكي في الطب النباتي "Physician Reference Desk – P.D.R" والمراجع الأميركي للأدوية

النباتية والطبيعية "Natural Medicines – N.M" ومرجع علم العقاقير
لـ تريز وايفانز "Pharmacognosy – Trease & Evans" التي نظمت
أمور التطبيب الطبيعي بالعامّة، والعشبي بالخاصّة، على الرغم من وجود
بعض الفجوات في هذه المراجع والتي تتوافق مع بلاد الأمازون لا مع البلاد
العربية.

٣- افتتاح مراكز صحية رسمية، لاستقطاب الأطباء المهتمين والممارسين
لأحد فروع الطب البديل - وأؤكد على الأطباء- أسوة بما فعلته بلاد الشرق
الأقصى والفلبين وبعض الدول الغربية. يتم في هذه المراكز استقبال
المرضى الراغبين بالخضوع للطب الطبيعي، وتتم معالجتهم بالأدوية
الطبيعية والوسائل البديلة التي اعتمدت، مع توثيق ذلك، بغية الحصول خلال
خمس سنوات مثلاً على نتائج ودراسات علمية، تكون الأولى من نوعها على
مستوى الوطن العربي، ويكون فضل السبق والأجر فيها لمن بدأ. وهناك مثل
حيّ على هذا، هو اعتماد دول جنوب شرق آسيا، لمراكز صحية للمعالجات
العشبية، حيث وضعت حدود ٥٠ نباتاً طبياً مدروساً، تحت تصرف
الأطباء المعالجين، للاستخدام في علاج أولئك المرضى، وأصدرت كتاب
التعليمات الخاصة، تحت توجيه ورقابة المنظمة العالمية للصحة
"W.H.O" واعتبر هذا الكتاب المرجع المبدئي والموجه للطب العشبي:

"The use of traditional Medicine In Primary Health care"

٤- أما العطارون وغيرهم من غير الأطباء، فيمكن إخضاعهم لدورة تدريبية
تحت إشراف لجنة من هؤلاء الأطباء، ثم منحهم ترخيصاً محدوداً للعمل
تحت إشراف الأطباء الخبراء، بما يشبه الترخيص الذي منحه وزارة الصحة

السورية منذ حوالي ثلاثين عاماً، للقابلات البلديات بعد اتباعهن دورة مبسطة في التوليد الطبيعي، وذلك للإفادة من خبراتهن الطويلة في القرى، ولتعويض نقص القابلات المجازات آنئذ، ولتعريفهن بأساليب التعقيم الفنية. هذه اقتراحات عملية، قد يكون فيها حل للموضوع.

نظريات الطب البديل في التشخيص والعلاج:

تعتمد أغلب نظريات الطب البديل - إن لم نقل جميعها- على مبادئ ثلاثة هي:

١- يحمل الجسم البشري في طبيّاته وخلاياه جميعها، وفي آن واحد، عناصر المرض وعناصر الشفاء. وهناك توازن دائم ودقيق للطاقة الحيوية السويّة عند الإنسان، مدعومة بجهاز مناعة ذاتي دقيق الصنع ومحكم العمل. ويمكن قسمة هذه الطاقة إلى:

- طاقة روحية (عبادة ، ثقافة ، فكر ...).
- طاقة انفعالية (عصبية، غضب، انفعال، تبدلات نفسية..).
- طاقة جسدية (حاجات يومية من غذاء وتنفس وجنس).

وتُقدر نسبة كل منها بـ ٣٣% من الطاقة الكلية. فإذا طغت إحداها على الاثنتين الباقيتين، حصل المرض. وهذا ما قد تفسره حضارتنا الحالية اليوم، فالإنسان المعاصر، لا يستغل إلا قدرًا ضئيلاً لا يتجاوز ٣% من الطاقة الروحية، وأقل من ٦% من الانفعالية. بينما يستغل أكثر من ٩٢% من الطاقة الجسدية في الطعام والشراب والرغبة الجنسية وغيرها من الرغبات المادية... ولهذا فإن هذا التوازن قد اختلّ وهو ما أدى إلى المرض. يقول

البروفسور ديريايين الكسندر (روسي): (إن الشخص الهرم يمرض ويموت ليس بسبب دخول جرثوم خطر إلى بدنه، فالجراثيم تعيش معنا بالبلايين، لكن السبب أن الجسم فقد السيطرة والقدرة على صدّ العدوان الجرثومي ومجابهته.) وبكلمة أخرى: (سببُ المرض ليس العوامل الخارجية، بل العوامل الداخلية المتعلّقة بالمقاومة والمناعة، والتي هي أساس الصحة الجسدية والنفسية). وبالتالي فالمرض لا يمكن علاجه بالأدوية الكيميائية ذات الآثار الضارة، بل بتعديل هذا التوازن وإعادته إلى مساره الصحيح من خلال الوسائل البديلة المختلفة. ومهمة الطب البديل، هي إعادة التوازن بتقويم الطاقة، وبعثها من جديد. وعلى هذا فإن أغلب نظريات الطب البديل، تتضمن فلسفات ونظماً دينية مقدسة، استقّتها من تراث الشعوب وحكمتها. ويعتقد الممارسون لها، اعتقاداً جازماً، أنها أفضل من طبنا الحالي الذي أصبح نظماً وتحاليل ودراسات ورقية وحاسوبية، لا يقيم لنفس المريض وعواطفه وتأثيراتها المختلفة أيّ وزن. كما يعتقدون أن الإنسان لا يتأثر ببيئته ووراثته فقط، بل أيضاً يتأثر بالبيئة الكبرى وهي تبدل الفصول وأبراج القمر والأفلاك ... حيث إنه على صغر حجمه أمام هذه الكائنات التي تتحرك بنظامٍ معجزٍ ودقيق ومتوازن، إلا أنه واحد منها، يتفاعل معها في الصحة والمرض. ولعل هذا ما يشبه قول الشاعر:

أتزعم أنك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالمُ الأكبر

٢- الإنسان وحدة متكاملة (مبدأ الكلية أو الشمولية "Holism" مؤلفة من جسد وروح، متوازنين متأثرين متشاركين بالفعل. وإن أي اختلال في هذا التوازن يؤثر في الجسد والروح معاً. كما أن أي اختلال في أحدهما، يؤثر في الآخر،

فأي خلل جسدي يسبب خللاً في التوازن النفسي، والعكس أيضاً صحيح. وهذا ما أكدّه الطب الأكاديمي أيضاً، تحت عنوان (المرض النفسي الجسدي أو النفسجدي "Psycho- Somatic Disorder") والذي تبين أن تفاعلاته المؤثرة في الإنسان، هي تفاعلات كيميائية، تنجم عن الغدد الصماء والجهاز العصبي الودي ونظير الودي، وغيرهما وعلى هذا فإن الطب الشمولي، يرفض معالجة المريض على أنه أعضاء وأجهزة تشريحية شبه مستقلة كما يفعل الطب الحاضر - بل يؤكد على أن المرض يصيب عموم البدن والنفس معاً، ولكنه تجلّى في العضو الضعيف. وبذا يلزم معالجته كعضوية "Organism" أو كوحدة كاملة جسدية نفسية.

ولهذا المفهوم العام في الطب البديل، تفسيرات وتوضيحات خاصة في كل وسيلة بديلة. ففي الطب الصيني والذي تعود جذوره التراثية إلى ٥٠٠٠ سنة ق.م، يعتقد أن هناك توازناً صحيحاً دائماً للطاقة الحيوية (تشّي) بين عنصرين متلازمين هما السالب (ين) والموجب (يانغ) فإذا اختل هذا التوازن حدث المرض. ومهمة العلاج إعادة هذا التوازن. وأهم فروعه حالياً الطب العشبي والوخز بالإبر "Acupuncture" وقد بدأ ينتشر في الغرب منذ عقود من الزمن، على الرغم من الشروط العسيرة التي وضعتها بعض الدول لممارسته.

وفي الطب الآسيوي الشعبي "Traditional" هناك أنواع من الممارسة تميز منها:

- الطب الايورفيدي "Ayurvedic" نسبة إلى الايورفيدا التي سنأتي على ذكرها. وهو طب هندي الأصل، يؤكد على المزاج "Temperament"

وسوائل البدن والأخلاق الأربعة - شأنه شأن النوع الثاني اليوناني - إلا أنه ظل محافظاً على هويته، ولم يتأثر بالأنظمة الطبية الأخرى. ويسمى الطبيب فيه فيد "Vid".

• الطب اليوناني "Unani" وهو مزيج من الطب الهندوسي والطب الإسلامي - الذي ظهر مع انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية - ويمارس في الهند والباكستان، وبخاصة في المجتمعات الريفية. ويدعى الطبيب فيه حكيم "Hakim".

• طب التيبب الشعبي "Tibetan" وهو يشبه الأيورفيدي مع بعض التعديلات التي ظهرت بحكم البيئة التيببئية. وتتأثر هذه النظم مع بعضها غالباً.

كذلك في إفريقيا، هناك نظم عديدة للممارسة الطبية، القليل منها موثوق ومعتمد، ولكن أغلبها ممارسات شعبية غير موثوقة ولا مراقبة "Uncontrolled" ومختلطة بالسحر والكهانة، لكنها جميعاً تعمل على رفع الطاقة المعنوية للمريض وتحسين نفسيته قبل اللجوء إلى العلاج البدني بالأعشاب أو غيرها من مواد الطبيعة.

٣- إن للعوامل الوراثية، وللبيئة المحيطة بالإنسان، من غذاء وهواء وممارسات اجتماعية للحياة اليومية، وملوثات عديدة، وتراكمات نفسية وبدنية وغيرها ... تأثيرات عميقة تسبب اختلال التوازن السوي السابق، لهذا فإن الطبيب البديل، يقوم بدراسة شاملة للمريض وبيئته وأنظمة غذائه وتنفسه وعاداته وجميع خصوصياته، ثم يعمد لاستقصاء ما تركته تلك التراكمات من تبدلات على خلايا الجسم وأنسجته، وذلك من خلال بوابات التشخيص

المختلفة التي سنمر على ذكرها لاحقاً، وأهمها وأكثرها حساسية واستخداماً في وضع التشخيص هو قزحية العين "Iris"، حتى أصبح مفهوم الطب الشمولي عند البعض، مرتبطاً تقريباً بالتشخيص عن طريق القزحية ودُعي بعلم القزحية "Iridiology" إذ لوحظ أنها هي أكثر الأعضاء حساسية وتأثراً بتغير الحالات النفسية والعاطفية والجسدية عند الإنسان.

ومن الأعضاء الأخرى ذات الفائدة في وضع التشخيص المناسب لكل مريض بمفرده "Tailored Diagnosis" نذكر البشرة وصيوان الأذن وأخمص القدم وراحة اليد والشعر والأظافر واللسان ونظرة العين.

وقد وضع الأطباء الممارسون المَعْنِيُون، للقزحية والصيوان والأخمص والراحة... خرائط ومصورات، تحدد النقاط التي تنعكس عليها حالة الأحشاء الداخلية، في حالات اختلال السواء الصحي.

ومن خلال هذه الممارسات، تبين أنه إذا كانت الحالة المرضية خفيفة أو في بدئها، فقد لا تبدي تلك الأعضاء وبخاصة القزحية، أية تبدلات واضحة، يمكن للطبيب الشمولي اعتمادها لوضع التشخيص. حينئذ يلجأ إلى بعض الفحوص المخبرية، مع النظر إليها على أنها ليست أساسية، بل هي فحوص مكملّة ومساعدة ولا يجوز الاعتماد عليها كلياً، كما يحدث اليوم في طبنا المعاصر.

أما نظريات المعالجة وخطتها في الطب البديل، فتهدف إلى هدفين رئيسيين هما:

١-تنقية البدن (الجسم) من السموم التي تراكمت وأدت إلى إضعاف مناعته. وبالتالي إلى حدوث المرض. ودعيت هذه السموم بالجذور الحرة

أو المؤكسدة "Oxidant or Free Radicals" حيث إنها تسبب أكسدة الخلايا وتخریبها مع الزمن. وقد بحثنا فيها مفصلاً في كتابنا السابق (أمراض العصر) وهذه التنقية تتطلب عناية فائقة، ومعالجة رشيدة لأجهزة الإفراغ (الجلد، الرئة، الكبد، الكولون، الكلى) بالوسائل الطبيعية البسيطة، كاستخدام الأعشاب الطبية والرياضة والوخز بالإبر والعلاج المغنطيسي والعلاج المائي وغسيل الكولون بالماء "Colon Hydrotherapy" وغيرها من الوسائل التي سوف نمر عليها.

٢- دعم العمليات الحيوية و الطاقة الجسدية و النفسية و أجهزة المناعة عند المريض، و ذلك بوضعه على حمية غذائية مناسبة، أو إخضاعه إلى بعض طرق العلاج الطبيعي: كاليوغا و التدليك و الزيوت و غيرها... و بهذا سوف تُحرّضُ الطاقة الحيوية "Vital Force" عنده، و يعود إلى حالة التوازن الصحي. ويتخلص من أعراض التلوث المزمن، كالتعب العام والقهم (نقص الشهية للطعام) والصداع وآلام المفاصل والأرق والضرر والإمساك وعسر الهضم والحساسيات وضعف الذاكرة.... وغيرها من لوحة الأعراض السريرية التي تشير إلى بدء تلوث الدم.

من هذا المنطلق تعددت الوسائل البديلة للتشخيص و العلاج، و أعطيت أسماء مختلفة حسب رُؤاها من الأطباء و الخبراء الذين يمارسونها، أو حسب الوسائل المعتمدة فيها، أو حسب البلاد و تراثها، كالطب المثلي أو التجانسي، و طب الأعشاب، و طب المنعكسات، و طب الطاقة، و طب الزيوت.... و هكذا.

و قد ورد في المرجع المعتمد (علم العقاقير) لتيريز و إيفانز- و هو أحد مصادرنا في هذا الكتاب- في الصفحة (٨٥٤) أن أكثر نظم الطب البديل المنتشرة عالمياً هي:

- الطب المثلي (التجانسي) "Homeopathic".
- المعالجة بالزيوت العطرية "Aromotherapy".
- الطب الآسيوي التقليدي: الأيورفيدي و اليوناني و التيببتي.

كما ورد في المصدر نفسه، أن حوالي ٨٠% من سكان العالم، يعتمدون على العلاجات العشبية. لهذا فإن منظمة الصحة العالمية "W.H.O" ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية "UNIDO" "United Nations Industrial Dependent Orgamyalos" عمدتا إلى دعم هذه المعالجات البديلة، وتحضير لوازمها الطبيعية. وتوجد الآن مؤسسات بحث حديثة في عدد من البلدان كالهند والصين وباكستان والسعودية واليابان وجنوب أمريكا، عملها الرئيس، هو تقويم فعالية وأمان العديد من العلاجات البديلة التي تمارس محلياً (الطب الشعبي) حسب المعايير العلمية المرعية حالياً.

ورد في المرجع نفسه أيضاً، أنه إذا استثنينا العقاقير الآسيوية والصينية الموثقة جيداً، فإن من يود العمل ضمن هذه الأبحاث، لابد وأن يمتلك مهارات خاصة في معرفة اللغة المحلية، والعادات، والممارسات الشعبية. ولابد أن يكون طبيباً أو باحثاً يستطيع توثيق ما يهدف إليه، وإحصاءه حسب نظم الإحصاء المعروفة.

ذكرنا سابقاً أن عدد مدارس الطب البديل، بلغ أكثر من تسعين مدرسة حتى الآن، لكل منها ممارسوها ومؤيدوها ومشجعوها، وأغلبها ما زال في أول الطريق، يحتاج معه إلى بحث وممارسات ودراسات على ضوء التقنيات الحديثة، والنظم العلمية المتعارف عليها حالياً. وسوف أمر على البعض منها ولكن بإيجاز شديد لسببين:

- أولهما أن أغلبها لم يأخذ الصفة الأكاديمية بعد.
- وثانيهما أنني لا أمارس منها إلا الطب العشبي، مما اضطرني للاعتماد على العديد من المصادر العربية والغربية والآسيوية والاتصال بالعديد من الزملاء الممارسين داخل القطر وخارجه. ولهذا ألتمس العذر من القارئ الكريم لكثرة النقل في الكتاب. وقد أشرت إلى المصادر والمراجع النظرية التي أخذت منها في آخر الكتاب.

أهم البدائل التشخيصية:

أهم بوابات التشخيص في الطب البديل والتي يعتمدها الأطباء الممارسون ستة هي:

قُرْحِيَّة العَيْن، البشرة الجلدية (الجلد)، الشعر، الأظافر، تجويف الفم، النظرة.

I- قُرْحِيَّة العَيْن *Occular Iris*:

يُعتبر استقراء القرحية العينية، وسيلة مثلى من وسائل التشخيص، تفضلُ بكثير الفحوصات المخبرية والوسائل التشخيصية الأخرى، المعروفة في طبنا

الحالي، والتي غالباً ما تكون مكلفة مادياً، وغير كافية للتوصل إلى تشخيص دقيق. إضافة إلى أنها غالباً ما تقع في الخطأ فَتَضِلُّ وتُضِلُّ الطبيب.

والتشخيص عن طريق القزحية (التشخيص الحدقي) وسيلة بسيطة وسهلة ودقيقة وغير مزعجة للمريض.

يُعتبر الدكتور المَجْرِي فون بيسزلي (١٨٦١) رائد هذا العلم التشخيصي، فقد لاحظ أن هناك صلة وثيقة بين خطوط القزحية، وألوانها وبريقها، وبين حالات الأمراض البدنية المزمنة. وطرح رأيه، لكنه عارض من قبل زملائه الأطباء، وأتهم بالدجل والشعوذة بسبب مخالفته لنظم الطب الإخلافي "Allopathy" - وهو الطب التقليدي الايبقراطي النظامي، آنئذ، والذي اقتفى أثره الطب الغربي الحالي - مما دفعه إلى دخول كلية الطب في فيينا، والحصول على دكتوراه في الطب الآلوبياتي عام (١٨٦٧) وكان آنئذ في سن الحادية والأربعين. عندها تراجع زملاؤه الذين اتهموه، وانتشر هذا العلم إلى جميع أنحاء العالم فيما بعد.

تبين من التشریح والفحوص الأكيدة المعترف بها عالمياً، أن قزحية العين مشعر حساس ودقيق وأكيد، لأي تبدلٍ مهما كان طفيفاً، في البدن. وهي في الحقيقة منعكس "Reflex" ملموس (ماديّ) تتعكس عليه حالة الصحة والمرض بشكل أمين ودقيق، يمكن الاستفادة منه. وقد وضع الطبيب الألماني تيودور كريج، أخصائي التشخيص بالقزحية، والذي يُعتبر مرجعاً في هذا العلم أيضاً، خرائط ومصورات للقزحية وانعكاسات الأمراض عليها. وتطور هذا العلم التشخيصي البديل على يد العديد من الأطباء، حتى يومنا هذا، حيث أصبحت

القزحية خارطة للجسم البشري، تتبدل ألوانها وخطوطها الشعاعية وبريقها، لدى ظهور أي مرض أو عرض "Symptome" كما ذكرنا.

وقد كُشف علمياً أن القزحية واسمة لصاحبها، فهي تستقر بعد عام واحد من الولادة، وتبقى ثابتة طيلة العمر، مما يستحيل معه تزويرها أو تبديلها، وبدقة تفوق دقة بصمة الإبهام والأصابع، لهذا أصبحت تستخدم في المطارات وغيرها، للغايات الأمنية.

مازال علم التشخيص من القزحية، في أوله، ولعل المستقبل القريب أن يكشف لنا من خباياه، ما يتلج صدور الأطباء كبديل لوسائل التشخيص أو داعم لها، مع ملاحظة أمرين:

الأمر الأول: أن هذا التشخيص يعكس وضع الأنسجة البدنية وخلاياها، وتبدلاتها، لهذا فهو وسيلة وقائية تشخيصية وليست علاجية ويعتمد فيه على تبدل لون القزحية وكثافة نسجها.

الأمر الثاني: أن هناك حالات لا يمكن فيها الاستفادة من هذه الطريقة، كحالة مريض مخدر، حيث إن التخدير يُعطّل الاتصالات العصبية، ولا بد لحصول الفائدة، من فحص القزحية قبل إخضاع المريض للتخدير. ومثل هذا حالة العضو المستأصل. وما زالت حالة الحمل غير مؤكدة.

أخيراً يؤكد ممارسو التشخيص من قزحية العين، أن هذا المشعر الحساس، مرآة صادقة لأي تبدل مرضي أو وراثي يحدث في البدن اعتباراً من سن السادسة.

II- الجلد Skin:

الجلد أكبر عضو في الجسم وزناً ومساحةً، يمثل حوالي ١٦% من الوزن. وهو أوسع نافذة ومرآة تُطل منها عوامل المرض بمظاهر عديدة كالجفاف والتشقق والبثور والتجاعيد وتبدلات اللون ... وعلى هذا يؤكد ممارسو الطب الشمولي، أن جميع أمراض الجلد، إنْ هي إلا انعكاس للأمراض الحشوية الداخلية.

للجلد طبقتان كما نعلم:

البشرة: وهي تتكون من مجموعة طبقات خلوية خارجية متجددة.
الأدمة: وتحوي الأوعية الدموية، والبلغمية، والنهايات العصبية، وغدد العرق والدهن، وحوصلات الشعر.

يقوم الجلد بوظائف عدة أهمها:

١- حماية البدن من عوامل البيئة.

٢- فيه يتكون الفيتامين د "D".

٣- هو صلة الوصل بين الداخل (الأحشاء) والخارج (البيئة).

٤- يحوي صباغ ميلادينين "Meladenine" الذي يحمينا من الأشعة فوق البنفسجية.

٥- زينة للإنسان يعطي شكله ولونه وتفصيلاته.

٦- يتأثر الجلد بعوامل عديدة: الحرارة، الغذاء، الحالة النفسية، الهرمونات، الضوء، البرودة، الملوثات المختلفة، وبخاصة الأدوية الكورتيزونية، والمنظفات المنزلية.

٧- تتواجد على الجلد نقاط الطاقة التي مر ذكرها معنا.

III- الشعر Hair:

يبلغ عدد بصيلات الشعر عند البالغ، خمسة ملايين، منها مليون شعرة في الرأس. وتقدر كثافة شعر الذقن بـ ٨٠٠ شعرة/سم^٢. أما في الساقين والفخذ، فتبلغ ٥٠ شعرة/سم^٢. ويبلغ متوسط نمو الشعر عند الرجال، حوالي ٠,٥ ملم يومياً في فروة الرأس، و ٠,٤ ملم يومياً في الصدر، و ٠,٢٧ ملم يومياً في الذقن. أما عند النساء، فيبلغ متوسط نمو شعر الرأس ٤٥ ملم يومياً. ويفقد شعر الرأس يومياً ٥٠ - ١٠٠ شعرة.

الشعرة مادة كيراتينية. وقد أجريت حولها أبحاث كثيرة منذ الستينات من القرن الفائت، بلغت أكثر من ٤٠,٠٠٠ بحث طبي، كشفت أموراً مذهلة، جعلت من الشعرة وتحليلها أحد الفحوص المعتمدة في تقويم صحة البدن، وكشف العديد من الأمراض الخطرة التي يصعب كشفها عن طريق التحاليل الطبية المعروفة.

كشفت هذه الأبحاث وجود العناصر القليلة السامة "Oligoelements" في الشعرة كالرصاص والحديد والألمنيوم والكاديوم والنحاس والزنك والزنابق، وبخاصة المغنيزيوم والمغنيز اللذين لهما علاقة بتوليد الطاقة البشرية. كما كشفت تبدلات الشعرة لدى حدوث تبدلات في نشاط الغدد الصماء، وتوازن الخلايا والأنسجة والخمائر، وتراكيز العناصر الغذائية (الطاقة الداخلية). وتبين أيضاً أن شعر المصابات بسرطان الثدي، يعطي صوراً شعاعية خاصة، عند جميع المصابات، حتى ولو تعرضن للعلاج الشعاعي أو الكيميائي، أو حتى اللواتي في عائلاتهن إصابات بسرطان الثدي.

وتبين أن الشعر كاشف حساس للإدمان (المورفين، الماريغوانا، الخمر، الكوكائين.....) حتى لو كان الإدمان قبل أشهر (عكس تحليل البول الذي يكون إيجابياً خلال ٧٢ ساعة فقط من تناول المخدر)، حيث إن الشعرة تعتبر مُدخراً رئيساً للأدوية بالعامّة، وللمواد المخدرة بالخاصة، يمكن بواسطتها كشف الإدمان بعد أشهر وسنوات. ومثل هذا أيضاً يُكشف عند الرياضيين الذين استعملوا الهرمونات المذكورة "Testosterone" كمنشط.

لهذا أصبح الشعر يستخدم لتتبع سير الأدوية في الجسم، والتعرض للتسمم بالمعادن الثقيلة والمبيدات الحشرية والسموم وإدمان التدخين وغيرها..... وعند العاملين في المصانع الكيميائية وبخاصة عند الحوامل والأطفال.

ويستخدم الشعر اليوم، لمعرفة الحالة المزاجية للإنسان عن طريق تحليل مادة (تابرومين) التي تبدل من عيارات الدوبامين.

هذا غيض من فيض، يمكن القول معه أن الشعر أصبح بعد تطور التقنيات الطبية، وسيلة قيمة للتشخيص، يُعتمد عليها في الطب الأكاديمي حالياً، ويُعتمد عليها أيضاً منذ زمن بعيد في الممارسة الطبية البديلة.

برع العربُ بالتعرف على الشعر قبل غيرهم، من خلال علم الفراسة الذي نُسب إليهم، وهو كما عرّفه الشطي في كتابه (تاريخ الطب وآدابه وأعلامه) الاستدلال بهيئة الإنسان وأعضائه وأشكاله وألوانه وأقواله، على أخلاقه وفضائله ورذائله وأمراضه، حيث ورد فيه أن خشونة الشعر دليل الشجاعة والإقدام.

وفي آخر الأبحاث المتعلقة بالشعر، نُبيِّنُ كمثالٍ ظهور الشعر الزائد (غير المرغوب) عند النساء أو ما دُعي (الشعرانية - Hirsutism)، وهو عبارة عن تبدل الشعر الرقيق القصير فاتح اللون (شعر الزغب) الذي يغطي عادة جسم الأطفال والنساء إلى شعر كثيف داكن اللون سميك، ويعتبر مشكلة جمالية عند النساء في أيامنا.

وقد عزيت أسبابه إلى ستة أسباب أغلبها ناجمة عن التأثيرات الدوائية، وهي:

١- عامل وراثي.

٢- عامل هورموني: كسل الغدة الدرقية، مانعات الحمل الفموية، أورام الكظر التي تسبب أيضاً حب الشباب وضمور الثدي واضطرابات الطمث، إعطاء تستوستيرون للإناث لوقف ثَرُّ الحليب.

٣- أورام المبيض.

٤- الأدوية: تستوستيرون، بنسلين، مينوكتسيديل (للصلع)، فيناتيون (للصرع)، الأدوية خافضة الضغط جميعها.

٥- أسباب عائلية أو عرقية.

٦- الأدوية الموضعية: كالكورتيزون في الاستعمال المديد، والسولارين (للتهاق).

وهناك انطباع طبي عند الممارسين بأن سبب الشعرانية الإفراط في تناول لحم الدجاج، وتناول الوجبات السريعة التي تعتمد على هذا النوع من اللحوم، وبخاصة إذا غذيت بالهورمونات.

IV-الأظافر Nails:

في الستينات من القرن الفائت، تعلمنا من خلال دراستنا الطبية أن الأظافر الهيبوقراطية، التي تتصف بالتَّقَبُّبِ و الازرقاق واللون القاتم، تدل على قصور التنفس والقلب، حيث تنقص التروية الأوكسجينية. وأن تكسّر الأظافر وتشققها، يدلان على نقص فيتامين "B₂" المدعو بالريبوفلافين، أو على نقص عام في مجموعة الفيتامينات "B". وأن تشوه الأظافر وتمعّجها، يدل غالباً على آفة فطرية. وأن هناك متلازمة دعيت بمتلازمة (الظفر الأصفر) حيث يبطؤ فيها نمو الأظافر، وتتحنى انحناء زائداً، ويصفر لونها، وجميع ذلك يترافق غالباً مع قصورات الرئة والقصبات.

أما اليوم فقد أكد أخصائيو الأمراض الجلدية في مستشفى جامعة كليفلاند من الولايات المتحدة الأمريكية، أن أية تبدلات ظفرية مهما قلّ شأنها، يلزم أن تُدرس بشكل دقيق، فإنما هي دلالة على خلل مرضي يحدث في البدن. وأوردوا أمثلةً عديدة تشير إلى ضرورة مراجعة الطبيب. فتبدل لون الأظافر إلى لون شاحب، أو أزرق، وبخاصة عند الهلال الظفري، قد يُنبّه إلى بدء حدوث فقر دم، أو سوء في الدوران الدموي. و ظهور بعض البقع عليها، قد يشير إلى نقص في مجموعة فيتامينات "B"، أو نقص في عنصر الزنك. وأن ظهور هذه العلامات على ظفر أو ظفرين فقط، يدل على آفة رضّية. وإن تأخر نمو الأظافر، يدل على خلل في إفراز الغدة الدرقية. كما أن تقبّبها وانحناءها إلى الأسفل كالمعلقة، يؤكد على حدوث أمراض قلبية أو رئوية مزمنة، كانتفاخ الرئة "Emphysema" وبخاصة إذا كان المريض مدخناً.

و قد يكون انفصال الأظافر عن فراشها (الأظافر الملعقة)، علامة أخرى لفقر الدم أو أمراض الغدة الدرقية، أو تكون الفجوات و الندبات فيها دلالة على تساقط الشعر أو داء الصدف "Psoriasis".

ويعلم جميعنا أن ظهور خطوط على سطح الأظافر، أمر وارد في مرحلة الشيخوخة، و لا يدل على حالة مرضية.

هذا وإن إدمان استخدام الطلاءات الظفرية المعروفة تجملياً، و مساحيق التنظيف و غيرها من الكيماويات، قد يسبب مع الزمن تكسر الأظافر، أو ما يُعرف بالأظافر الزجاجية "Glass nails" مما يُخفي معه فرص التشخيص.

V- تجويف الفم Mouth Cavity :

يُدرّسُ تجويف الفم في الطب الأكاديمي بشكل واسع، و هو يشمل: باطن الخد و اللهاة و شراع الحنك و السُّوِّقات اللوزية و اللوزتين و قاع البلعوم. هذه الأعضاء عُرْضةٌ لتبدلات مرضية عديدة و هامة، و بخاصة عند الأطفال. و قد تكون تبدلاتها الطفيفة نذيراً لمرض هام يمكن تلافيه في البدء إذا شُخص. و مع الأسف، إذا استثنينا اختصاصيي الأنف و الأذن من الأطباء، فنادرأ ما يلجأ طبيب ممارس إلى الاهتمام بهذا الفحص القيم اهتماماً يستحق الذكر، إلا في الحالات الحادة كالتهاب اللوزات القيحي.

اهتم ممارسو الطب البديل بهذا الفحص، اهتماماً كبيراً كوسيلة تشخيصية رئيسة، يُعتمد عليها أكثر مما يُعتمد على الفحوص الأخرى المرافقة أحياناً،

و بخاصة أن ما يظهر في البلعوم من تقرحات و أغشية و طلائات و خراجات و غيرها ... قد يؤثر على السمع و الصوت مسبباً طنين الأذنين و نقص السمع و الشخير و أعراضاً أخرى مزعجة كالحمى و الألم و عسر البلع...

و نحن نعلم أن ما يظهر على باطن الخد من قروح و بثور، يدل على حالة التهابية حادة جرثومية أو فطرية أو فيروسية. كما أن التصبغات المختلفة فيه، غالباً ما تنبئ عن مرض أديسون "Addisson". و ظهور البقع البيضاء المزرقة التي دعت بعلامة كوبليك "Koplic Taches" إثباتاً لتشخيص مرض الحصبة "Measles" كما يعلم الأطباء. و يتظاهر إدمان التدخين بصفائح صدفية صفراء و رائحة غير مرغوبة.

أما اللثة، ففيها تتظاهر جميع الانسمامات و الالتهابات، بشكل تقرحات و نتحات ملونة مميزة. ففي الانسمام بالزرنيخ، يظهر الخط الأزرق المميز عند ارتكاز الأسنان. و في الالتهابات الحادة تحمر اللثة و تتوذم.

و في داء الحفر "Scorbut" الناجم عن (نقص و عوز فيتامين C)، يظهر التهاب اللثة النازف. كما يُعتبر ظهور التقحيع السني السنخي "Alveolar dental pyorrhea" علامة مميزة لداء السكر. كما أن اللثة قد تُصاب بأورام سليمة أو خبيثة.

وللأسنان أيضاً أهمية كبرى، فتأخر نَبْثها يدل على قصور النمو والضعف العام والكساح (الخرع = نقص فيتامين D) "Rickets". وقد يدل تسحجها و تشققها على الكساح أيضاً أو الإفرنجي "Syphilis" أو أسوء الهضم. و قد مر معنا من خلال دراساتنا الطبية الجامعية، أن أسنان هوتشنسون

"Hutchinson" المثلمة و غير متساوية الحجم، علامة مميزة للإفرنجي الوراثي. و أن النخر المبكر و القلح "Caries" و تسوس الأسنان، تتجم عن الاضطرابات الهضمية و التخمة، و العكس أيضاً صحيح، أي أن أسوء الهضم تسبب النخر و القلح و تسوس السن. كذلك فإن سقوط الأسنان المبكر، ينجم غالباً عن الاضطرابات الاغذائية، أو عن التابس "Tabes" و هو مرض التهاب القرون و الحبال الشوكية الخلفية الإفرنجي.

أما اللسان فله تبدلات مرضية عديدة، فهناك ما يدعى طبيباً باللسان المتسخ ذي الطلاء الأبيض المصفر، الناجم عن الإمساك و التخمة. وهناك اللسان الجاف مع طلاءات سوداء تتجم عن الحميات الحادة، والانتانات الهضمية والانسمام بالبولية الدموية "Uremia". واللسان الأملس ذو الحليمات الضامرة، وهو علامة لفقر دم خبيث أو نقص في الحديد أو مرض البيلاغرا "Pellagra". و اللسان الأبيض في وسطه، الأحمر في حوافه، و هو علامة للحمى التيفية "Typhoid Fever". و اللسان الأحمر المقشر ذو الحليمات «لسان كالتوت الإفرنجي» و اللسان المتصبغ مع تصبغات الفم الأخرى، يدل على داء أديسون الذي مرّ ذكره، أو على الداء الإفرنجي. و كثيراً ما تكون تقرحات اللسان المشتركة مع آفات الأسنان و الفم، علامات منذرة للانتانات و الانسمامات و الأمراض الخطرة كالسل و السرطان و الإفرنجي.

و من الأمراض التي تظهر بشكل خاص على اللسان نذكر السُّلاق "Muget" الذي يبدو بشكل طلاء أبيض قشري، و القُلاع "Aphte" الذي يتظاهر أيضاً بحويصلات متعممة على الفم. إضافة إلى هذه الحالات اللسانية،

نذكر أن رجفان اللسان يظهر عند العصبيين و المدمنين للكحول و المخدرات و في الشلل العام.

أما تبدلات اللعاب فهي وسيلة تشخيصية هامة أصبحت تستخدم حالياً في الطب البديل و الطب الحالي بشكل واسع، حيث إن تركيب اللعاب الكيميائي، يتبدل في جميع حالات التسممات، و الالتهابات الحادة، و بخاصة التهابات اللثة و التهاب الفم القرصي المدعو بالتهاب فنان "Vincent".

أما الشفاه، فتصاب بالجفاف في الإنتانات الوخيمة، و بالرجفان في الأمراض العصبية كالشلل العام، و بالعقوب الشفوي "Labial Herpes" في الحميات الحادة كذات الرئة و الملاريا و القلاع، و في بعض الحالات الفيزيولوجية كالطمث. و يتبدل لون الشفاه إلى الأزرق في أمراض القلب، و إلى الشحوب في حالات النزوف و فقر الدم. كذلك فإن تشقق الصوارين «ملتقى الشفتين الجانبيين» غالباً ما يشير إلى عوز فيتامين B2.

VI-النظرة أو لَمَحَّة العين Glance:

عُرف مؤخراً أن نظرة العين -شأنها شأن البصمة والقزحية- تسم كل فرد بشكل مميز، لا يشبهه غيره من مليارات البشر. وبتقدم هذه الأبحاث أصبحت النظرة من الوسائل التشخيصية الهامة للتعرف على الأفراد في المعامل والمطارات والوظائف. وكان للعرب باع طويل في تحديد أنواع النظرة من خلال الفراسة التي برعوا فيها. وما زال هذا العلم البديل في أوله بانتظار المستقبل.

VII- معايرة مضادات التأكسد في الدم:

ثبت مؤخراً أن الإنسان يعيش بتوازن دائم بين الجذور الحرة (الجذور المؤكسدة) "Free Radicals Or Oxidant Rad." و بين كابحات التأكسد أو مضادات التأكسد "Antioxidants" التي خلقها الله تعالى في بدن كل كائن حي، كي تخلصه من أضرار تلك الجذور التي تتراكم خلال مراحل الحياة بالأسباب العديدة الناجمة عن التلوث و الكروب و غيرهما.. و تؤدي إلى العديد من الأمراض و المتلازمات المرضية مما ذكرناه سابقاً، حيث تثبط عمل الخلايا البلغمية المسؤولة عن المناعة.

من هنا تظهر أهمية مضادات التأكسد، و أهمية معرفة تراكيزها في الدم، و أهمية المحافظة عليها في مجالات الوقاية و العلاج.

أهم هذه المضادات و أغلبها متواجد في المواد الطبيعية الغضة كزيت الزيتون و بذور و عصير العنب و البهارات العشبية و بخاصة الكركم "Turmeric" و العسل و نبات الجنكة "Ginkgo-bilopa" و حبوب السمسم، و الحبوب المستتبنة بأنواعها (القمح، الشعير، الحمص، العدس...) و بذور القرع "Pumpkin" و جميع الخضار الطازجة غير المطبوخة، و بخاصة ذات اللون الأخضر الداكن و جميع نباتات الفصيلة الصليبية "Cruciferrae" و الملفوف و البروكلي و الخس و الشاي الأخضر، و ثمار الحمضيات و الجزر و طلع النحل و طلع النخيل...

و قد عُلِمَ أيضاً أن طرق الطهي و الحرارة العالية و استخدام المواد الحافظة و غيرها من العوامل العديدة، تعمل على تدمير هذه المضادات.

إن أهم مُضادَات التأكسد التي كشفت حتى اليوم الحمض الاسكوريبي "Ascorbic Acid" أو الفيتامين C الطبيعي، و توكوفيرولات "Tocopherol" و بيتا كاريتينويدات "Betacarotenoids= Vit.A" و العديد من الخمائر "Enzymes" و الشوارد المعدنية كالسيلينيوم و الزنك و النحاس.. و العديد من الحموض الأمينية كالغلوتاتيون "Gluthation" لهذا و منذ مطلع التسعينات من القرن الفائت، بدأ الاهتمام بمعايرة مضادات التأكسد مخبرياً، و العمل على تعديلها، للمحافظة على الصحة السوية وقايةً، أو لترميم ما دُمَّرته المؤكسدات من الخلايا، معالجةً و شفاءً.

أهم البدائل العلاجية:

I-المعالجة بالمواد الطبيعية:

المعالجة بمنتجات خلية النحل Bee Hive Product:

ما زالت منتجات خلية النحل، تستخدم في العلاج الطبي، منذ أقدم العصور، و عند جميع الأقوام تقريباً: الفراعنة المصريين، اليونانيين، الرومان و بلاد الشرق الأوسط. و قد ورد ذكر البعض منها كالعسل في جميع الكتب المقدسة. و قد عاد العلماء حديثاً منذ أوائل القرن الفائت و كثرت الدراسات التي تنصب على منتجات الخلية، للاستعمال الغذائي و الصحي و التجميلي، و في كل يوم يكشف استخدام جديد لها، مما دفع الأطباء المهتمين للإفادة منها و الاعتماد عليها، و وصفها للمرضى كبدائل قيّمة، ذات صفة مقدسة و صفة صحية طبية.

أهم هذه المنتجات المعروفة حتى اليوم، ستة هي: العسل، الطلع، العكبر، الغذاء الملكي، سم النحل، الشمع.

و سوف نمر عليها بإيجاز يتناسب مع الكتاب، و من أراد التوسع و الإطلاع فهناك من المراجع العربية و العالمية، ما لا يعد و لا يحصى.

و تكاد تكون منتجات النحل غذاء متكاملأ و شفاء للعديد من الأمراض: فمن العسل نحصل على الطاقة، و من الطلع نحصل على البروتينات، و من الغذاء الملكي و العسل و الطلع، نحصل على الفيتامينات و الخمائر و المعادن، و أما العكبر فهو مضاد حيوي واسع الطيف. كما أنه كُشفت حديثاً، الفوائد العظيمة لسم النحل في شفاء الأمراض العصبية، و لشمع النحل في معالجة الحروق و التقرحات.

و من هنا نشأ ما أصبح يدعى بعلم المعالجة بالنحل: "Apitherapy"

١ - العلاج بالعسل النحلي *Bee-Honey Therapy*:

- عسل النحل أشهرُ مادة حيوية من مواد خلية النحل، و هو أشهر من أن يُعرّف، حيث إنه مازال يستعمل منذ بدء الخليقة كغذاء و علاج.
- يختلف تركيب العسل باختلاف الرحيق النباتي الذي تجمعه النحلة من الأزهار المختلفة، و باختلاف العوامل الجوية و البيئية، و لكن يمكن القول إنه يتكون وسطياً من المكونات التالية:

١-١٧% - ٢٠% ماء.

٢-٤٠% (سكر فواكه) فركتوز.

٣-١،١% دكسترين (سكر الشعير).

٤-١,٠% أحماض أمينية عديدة منها أساسية لا يستطيع الجسم البشري تكوينها.

٥-٣٠% سكر العنب (غلوكوز).

٦-٤٠% سكر القصب (سكاروز).

٧-١,٧% معادن.

٨-٥% مواد شفائية لم تكشفها المخابر: خمائر، فيتامينات، أملاح معدنية، هورمونات، مواد مضادة للجراثيم، مواد صبغية.

• العسل سائل لزج في الحالة الطبيعية لدى قطافه، لكنه قد يجمد بعد فترة لدى انخفاض الحرارة، و يتبلور و تظهر البلورات على سطح الوعاء. هذا التبلور لا يدل أبداً على غش العسل كما يظن البعض بل هو أمر طبيعي. و لهذا يعمد البعض إلى تسخينه حتى درجة ٤٥-٥٥°م لإبقائه سائلاً بغية تسهيل استعماله و الخلاص من الشك بغشه. بادعاء أن هذا التسخين لا يؤذيه، لكن الحقيقة أنه يفقد بذلك الكثير من خواصه الشفائية. تُعرف هذه العملية عند النحالين بعملية "البسترة".

• العسل مصدر جيد للطاقة الحيوية بفضل غناه بالسكريات البسيطة سهلة الامتصاص.

• و هو ذو تأثير جيد منشط لعمليات الأيض بفضل غناه بالخمائر و المعادن و الفيتامينات و غيرها من العناصر الأيضية.

• العسل وسط حافظ جيد للعناصر الغذائية.

• العسل لا يؤذي الأطفال حسب ما ورد في بعض التقارير، حيث تبين أن سبب أذى الأطفال دون السنة بتناولهم العسل، ناجم عن عدم نقاوته و تلوثه بجراثيم الوشيق "Botulism".

• العسل مضاد للعفونة و قاتل للجراثيم العديدة و الفطور، و يعتبر مادة حافظة ممتازة.

• العسل بما يحويه من خمائر و فيتامينات و عصارات. وسيلة ممتازة لتنشيط عمل الجهاز الهضمي و حفز افرازات الهضم.

• لبعض أنواع الأعسال كعسل البرتقال و الزيزفون و الخزامى و اللزاب و اكليل الجبل و الزعرور... ميزات علاجية هامة.

• إن تناول العسل مع الغذاء اليومي بقي من أمراض عديدة أهمها:

١- السرطانات: فقد وجد فورستر أن الإصابة بالسرطانات ينذر وجودها عند النحالين، و علّل ذلك بلِسْع النحل لهم أو بما يحويه العسل من معدن الراديوم المشع المضاد للأورام الخبيثة. و قد أكدت دراسة حديثة صدرت عن د.سهير علي أستاذة الكيمياء العلاجية في المركز القومي للبحوث في القاهرة، أن لعسل النحل القدرة على مقاومة السرطان و القضاء على البروتين المسبب له، و تنشيط بروتين "B53" المثبط للسرطان. و عُرِي هذا التأثير إلى القوة المضادة للأكسدة التي تتصف بها مركبات العسل التي كُشف منها حتى الآن (١٨١) مركباً، دون إمكانية التعرف على المركب الفعال منها، مما يحتمل معه أن فعالية العسل هذه تعود إلى التأثير المشترك للتناغمي المضاد للأكسدة لهذه المركبات جميعها، و إلى عمل بروتينات العسل العديدة لتخليص الجسم من الخلايا التالفة و السرطانية،

و هو عمل محكم و دقيق يتداخل في برنامج موت الخلايا الذي أودعه الخالق في البدن البشري.

٢- رثيات المفاصل بأنواعها.

٣- النزوف المختلفة: بفضل ما يحويه العسل من الفيتامينات و بخاصة C وC₂ (روتين) وK.

٤- في داء السكر: تؤكد الدراسات الطبية الروسية و البريطانية و الأميركية مؤخراً، على أن تناول العسل الطبيعي النقي (غير المغشوش) من قبل مرضى السكر، بمقادير تتراوح بين ١٠٠-٣٠٠ غ يومياً مجزءاً، لا يؤدي إلى ارتفاع نسبة الغلوكوز في الدم، و يقي من الاختلاطات المعروفة كالتخلون و السبات و التهاب الأعصاب السكري، و يزيل عنهم حالات التعب و الإمساك.

٥- أثبتت الدراسات أن الأطفال الرضع الذين يتناولون الحليب محلى بالسكر العادي، لا بد أن يصابوا بنخر الأسنان و التخمرات المعوية و نقص Ca و Mg، الأمر الذي يعرضهم إلى عطب الأسنان و كسور العظام، لهذا يفضل الإقلاع عن السكر في التحلية، و استبداله بالعسل.

٦- استعمل العسل في ضمادات الجروح و الحروق و قروح الاضطجاع في الحروب و في المشافي المعنية بالحروق و كضماد في العمليات الواسعة كالعمليات النسائية و التجميلية و بتور الأطراف، حيث تبين أنه يتميز بميزات عظيمة فهو: مرمم يسرع الالتئام، و يسكن الألم بسرعة، و لا يترك أثراً للندب، إضافة إلى أنه ذو فعل قاتل للجراثيم مضاد للعفونة حافظ لعمل الخلايا المناعية و البلغمية و الملتزمة أو البالعة

"Macrophage" و ما زلنا نستعمل ضمادات العسل في عياداتنا منذ أربعين عاماً لمعالجة الحروق فتبين أن لها ميزات تفوق أي مادة أخرى.

٧-العسل يعيد اتزان الحالة النفسية و الذهنية و يرمم البدن في العديد من الأمراض كالكتابة و الزهايمر و التكتسات المختلفة.

٨-استعمل العسل موضعياً في قروح القرنية العينية و التراخوم و التهاب حواف الأجفان و الملتحمة، و كانت النتائج ممتازة.

هذا غيض من فيض حول فوائد العسل الطبية كعلاج بديل.

٢ - العلاج بطلع النحل *Bee Pollen* :

هو المنتج الثاني من حيث الأهمية بعد العسل. تجمع النحلة من طلع الأزهار المختلفة، و قد كسب أهميته العلاجية و الغذائية، بفضل غناه بالبروتينات و غيرها من المواد المغذية، حيث لا يعدله في ذلك أي غذاء طبيعي أو علاج صناعي. فهو يحوي ٢٢ حمضاً أمينياً ٢٠% منها حموض أساسية يعجز البدن عن صنعها، كما يحوي غلوسيدات (سكريات) ٣٦%- و نسبة من الدهون (الليبيدات ٥%) و حوالي ٥٠٠٠ خميرة و ٢٧ ملحاً معدنياً (١%-٥%) و العديد من الفيتامينات و الخمائر و الماء ١١%.

و لهذا فهو يدخل في جميع العمليات الحيوية الخلوية (الأيض)، و يدعم مناعة البدن، و يخلصه من السموم و الرواسب المختلفة، و يعتبر غذاءً كاملاً، يعوض للجسم ما يحتاجه (مكمل غذائي طبيعي) في حالات النفاقة و العوز الغذائي و غيرها من الحالات المرضية.

• أهم استطبائاته:

- ١-واقٍ من تصلب الشرايين.
- ٢-منشط للدوران الدموي و لتكوين عناصر الدم.
- ٣-داعم مناعة.
- ٤-مضاد حساسيات (علماً أن الطلع الزهري "Amenophiles" قد يحسس، و بينما تقل نسبة حدوث التحسس في الطلع النحلي "Entamophiles" بفضل ما يُضيفهُ النحل إليه من خمائر و مفرزات أخرى.
- ٥-منظم لعمل الغدد الصماء.
- ٦-يساعد عمليات الهضم.
- ٧-يقلل من النرفزة "Stress" و يُنظم الحالة النفسية في حالات نفسية عدة كالكتابة و الهمود و ضعف الذاكرة و الإحباط و الهوس و غيرها..
- ٨-يحافظ على اللياقة البدنية و تنشيط عمليات الأيض..
- ٩-أفضل علاج في حالات النحول و الدنف و العوز الغذائي و النفاهة و الشيخوخة و ما شابهها من الأمراض المنهكة.
- ١٠-واقٍ من الإصابة بالسرطانات المختلفة و مخفف من تأثيرات الأشعة بأنواعها، لهذا ينصح به عند المصابين بهذه الأمراض و عند المعالجين بالأشعة أو بالكيمياء عقب استئصال الأورام (ورم الثدي و الرحم و البروستات و غيرها...).
- ١١-مضاد التهاب و بخاصة ضد السالمونيلا.
- ١٢-موقف لنمو الأورام.

١٣- منشط للتنفس في الربو و غيره.

١٤- منشط جنسي للرجال و النساء.

١٥- مضاد رثوي.

• مضادات الاستطباب:

١- النقرس: بسبب غناه بالبروتينات و حكمه هنا كاللحوم.

٢- الحساسيات: يفضل البدء بالقليل من حبيباته لكشف حدوث الحساسية.

٣- الجرعة الوسطية: ٢٥ غ للكهل (ملعقة كبيرة) ١٠-٥ غ للطفل حسب العمر (ملعقة صغيرة).

٣- العلاج بشمع النحل *Bee-Wax Therapy*:

يعتبر شمع النحل الطبيعي، من أفضل الشموع للاستعمال الطبي، و يفرز من غدد خاصة توجد في بطون الشغالات، حيث يحتوي على عناصر نباتية عديدة تأخذها النحلة من النباتات المختلفة، يزيد عددها عن ١٥ مادة طبيعية، أهمها الأحماض الدهنية الحرة و المتحدة، و المواد الملونة و العطرية، و مائيات الفحم الطبيعية، و فيتامين A و مواد مضادة للالتهاب. أهم استطبابات شمع النحل:

الاستطبابات الخارجية: يدخل في تركيب العديد من مواد التجميل كالكريمات و المنظفات و أقنعة الوجه، و مطريات البشرة و غيرها...

كما يستعمل مضغاً في احتقانات الأغشية المخاطية التنفسية كالزكام و التهابات البلعوم و الجيوب و الحساسيات المختلفة، و في الحروق و الجروح. و يمزج مع الثوم لعلاج الثعلبة.

الاستطبابات الداخلية: (عن طريق الفم) الشمع النحلي ملين و واق من المخثرشات المعوية، لهذا يستعمل في معالجة القرحات الهضمية. ليس لشمع النحل الطبيعي أي أثر سيء ضار.

يعتبر شمع النحل مع المصطكي (المسكة أو MasticTree و صمغها المعروف باللبان أو البخور أو الكندر أو المصطكي "Bowswellia carterii" Olibanum مع العكبر من أفضل علاجات تقرحات الجهاز الهضمي (المري، المعدة، الاثنى عشر، الكولونات).

٤- العلاج بالغذاء الملكي Bee-Royal Gel Therapy: (لبن النحل)

- الغذاء الملكي سائل شبه أبيض، تفرزه الشغالات لتطعم به الملكة و اليرقات. وهو ذو طعم حار حمضي و حلو قليلاً (P.H=3.8) و تختلف مكوناته حسب المناطق الجغرافية و حسب عوامل الطقس. و بشكلٍ وسطي يتكون من :

الماء ٦٠-٧٠% و البروتينات (جميع الأحماض الأمينية) ١٢-١٥% و الدسم ٣-٦% و السكريات البسيطة ١٠-١٦% و المعادن و الفيتامينات و مواد علاجية مازالت تحير العلماء، و تَعَجُّزُ المخابر عن اكتشافها. يعتبر الغذاء الملكي بغناه هذا، مادة حيوية رافعة للمناعة و الطاقة، حاتة على النمو و الإخصاب، منشطة للأبيض، مضادة لتصلب الشرايين.

- يستخرج الغذاء الملكي من الخلية بطرق خاصة، لضمان تأثيره و فعاليته و يحفظ في زجاجات صغيرة و معقمة في الثلاجة، أو يمزج مع العسل فور استخراجه لحفظه، أو يجفف بالتبريد.

• أهم استطبائاته:

١- داخلياً:

- أسواء النمو و الهزال و النقاهاة و الضعف العام و الشيخوخة.
- العقم بأسواء تشكل النطاف و ضعف السائل المنوي عند الذكور، و ضعف إخصاب المبيضين عند الإناث.
- الحالات العصبية النفسية المختلفة كالنرفزة و ضعف الذاكرة و نقص الشهية للطعام و الجنس و العانة "Impotence".
- الاضطرابات الغدية (النخامية و الكبدية و ...) (بالعامة).
- الحساسيات و بخاصة الربو.
- القرحات الهضمية.
- أظهرت الدراسات الحيوانية مؤخراً، فعله المضاد للأورام و لتصلب الشرايين و عوارض الشيخوخة.

٢- خارجياً:

- يحسن حالة البشرة و يعيد إليها نضارتها.
- يُعمل منه مراهم للجروح الواهنة و جروح السكريين و تقرحاتهم.
- ليس للغذاء الملكي أية أضرار سوى أنه قد يحسس الجلد أحياناً أو يؤدي لحساسيات شديدة إذا أخذ عن طريق الفم عند الضعفاء و المصابين بالربو و المنهكين... و لهذا يفضل البدء بجرعات قليلة. مازلنا بحاجة لدراسات على البشر أوسع.
- الجرعة اليومية للكبار ٥٠-١٠٠ ملغ يومياً.

- يفضل عدم مزجه مع غبار الطلع ولا مع سمّ النحل، خوفاً من الحساسية، و حيث لا توجد دراسات كافية.

٥- المعالجة بعكبر النحل (صمغ النحل) *Propolis*:

- يتكون عكبر النحل من مواد صمغية راتنجية، يجمعها النحل من لحاء الأشجار و براعم بعض النباتات (كالهور) كي يرمم بها الخلية في حال تشققها، و يسد بها المنافذ في الشتاء، و يُبيد بها الحشرات التي تدخل الخلية كالحسالي و الفئران و الضفادع، حيث يقتلها و يُحنطها بالعكبر حتى لا تُفسد جو الخلية.

- و هو مركب من العديد من الصموغ ٥٥% و الراتنجيات و البلاسم و الزيوت الطيارة ١٠% و الأساسية، و حبوب اللقاح (الطلع) ٥% و الحموض الأمينية و مضادات الأكسدة (فلافونيات، بوليفينولات، تريينات...)

- استخدم العكبر منذ آلاف السنين، عند الفراعنة كوسيلة للمحافظة على جمال الإنسان و صحة البدن، و قد كشفت تأثيراته مؤخراً بفضل الخبراء من العلماء الأطباء الباحثين المهتمين و نوجزها فيما يلي:

- ١-قاتل للجراثيم أو موقف لنموها.و قاتل لبعض أنواع الفطور و وحيدات الخلية، والرواشح "viruses" و ليس له آثار جانبية ضارة فهو غير سام و لا يخرب الفلورا المعوية. و يزيد من فعل المرديات الكيميائية.
- ٢-مرمم و داعم للمناعة يسرع ترميم النسيج في الجروح و التقرحات الهضمية، و تآكلات الغضاريف المفصلية، و النسيج اللثوية المهترئة

و الملتهبة. فقد أكدت نتائج أحدث الأبحاث في قسم الهرمونات البشرية في المركز القومي المصري للبحوث، على الدور الفعال للعكبر، في إعادة ترميم و التئام النسيج الغضروفية المهترئة و ذلك بفضل غناه بحمض أرجنين "Argenine" و حمض برولين "Proline" اللذين يعملان على بناء مادتي الكولاجين و الإيلاستين المكونتين الرئيسيتين للنسيج الضامة.

٣- يخفف من التأثيرات الجانبية للأدوية الكيميائية كالكورتيزون و المواد الهرمونية و مضادات الالتهاب.

• أهم استطبائاته:

- ١- الانتانات الجرثومية المعقدة و بخاصة انتانات الفم و البلعوم حيث يستعمل مضغاً موضعياً بالفم، و عن طريق الداخل.
- ٢- يقلل من مخاطر السكري و البدانة.
- ٣- يحمي الكبد و العظام و غيرها من أنسجة الجسم، فيقي من الأورام و من أكسدة الخلايا. حيث ينشط و ينظم عمليات الأيض و عمل الغدد الصماء و بخاصة الدرقية.
- ٤- يقي و يخفف من أعراض الشيخوخة و السرطانات.
- ٥- يساعد عمليات الهضم.
- ٦- يعالج حب الشباب و البثور.

٦ - العلاج بِسَمِّ النحل (ذيفان النحل) *Bee-Toxin Therapy*:

- سم النحل هو السائل الشفاف الذي تفرزه النحلة دفاعاً لتلدغ به الفريسة، بواسطة آلة اللسع المجهزة بها. و هو سريع الجفاف، ذو رائحة عطرية،

و طعم حمضي لاذع مرّ. تبين أنه يتكون من سلاسل بروتينية عديدة أيضاً تعمل جميعها على رفع طاقة جهاز المناعة و بلغ عددها أكثر من خمس و خمسين خميرة منها خمائر الفسفوليبيد "Phospholipid"، و هيالورونيداز "Hyaluronidase" و غيرهما...

(هيالورونيداز: خميرة تعمل على استقلاب حمض الهيالورونيك و هو ملاط النسيج "cement" الذي يربطها و يلصقها مع بعضها. يوجد في ذيفانات العلق و العناكب و الأفاعي، و في الخصى "Testes" و النسيج الخبيثة، و يُنتج من عديد من الجراثيم المُمرضة). و يدعى أيضاً عامل دوران رينالز "Duran-Reynals" "factor" أو "Spreading factor". العامل المبعثر. استُحصل صناعياً من خصى الثدييات و يستعمل في حفز امتصاص و بَعَثَرَة المحاليل بحقنه تحت الجلد.

• و سم النحل مادة محسّسة بشدة لبعض الناس، قد يؤدي إلى أعراض تسم خطيرة كضيق النفس و الزرقة و تسرع القلب و ارتفاع الحرارة و أغراض عصبية و شلّ و صداع و إقياء و إسهال.. و غيرها من أعراض الصدمات الأرجية التي قد تكون مميتة.

• استطبابات العلاج بسم النحل:

حققت المعالجة بسم النحل منذ التسعينات من القرن الفائت نتائج مذهلة في الشفاء من أمراض نقص المناعة الذاتية، فقد تبينت فعاليتها في حفز قدرات الجهاز المناعي، إضافة إلى قدرتها العظيمة على تسكين الآلام بما يعدل مائة ضعف عن قدرة السيترُونيدات القشرية (الكورتيزونات) و أهم الحالات التي تعتبر المعالجة بسم النحل ناجعةً بها حتى اليوم هي:

- التهاب الكبد الانتاني بالفيروس C و B.

- الأورام السرطانية بالعامه.
- الأمراض الرئوية بالعامه (التهابات المفاصل الرئوية و الرئانيه أو نظيره الرئيه).
- التصلب المبعثر "M.S" أو العديد.
- الصدف "Psoriasis" و الاكزيما "Eczema".
- أمراض الفيروسات بالعامه.
- الآلام بالعامه.
- تحسين الدورة الدموية (في الدوالي و التهاب الوريد الخثري) و توسيع الشرايين و تعديل ارتفاع ضغط الدم.
- التهاب الجيوب المزمن.
- مضادات استطباب العلاج بسم النحل:
- السل و داء السكر و أمراض القلب الولاديه و الزهري و الأمراض المنهكه بشكل عام "Exhausting".
- الحساسيات الشديده.
- طرق الاستعمال:
- الوخز بالنحلة مباشرة حيث تُمسك النحلة من جَنَاحَيْهَا بملقط، و توضع على الموضع المطلوب، بعد تنظيفه بالماء و الصابون (دون الكحول)، و تستمر عدة دقائق لتفرغ السم. تعاد العملية في اليوم التالي حيث تستخدم نحلّتان ثم ثلاث.... و هكذا خلال أسبوع يرتاح بعدها المريض ٥-٧ أيام و تعاد الكرة بدءاً من ٣ لدغات.
- الحقن بمستحضرات معقمة من سم النحل تحت الجلد.

- إعطاء السم بواسطة تيار كهربائي عن طريق التشريد.
- بمص أقراص سكرية مشبعة بالسم.
- بالحقن القليل حيث تنزع آلة اللسع من النحلة بملقط رفيع، و تستعمل آلة وخز واحدة تلامس جسم المريض عدة مرات في الموضع المطلوب. تشبه هذه الطريقة طريقة الوخز بالإبر الصينية لهذا دعيّت المعالجة بلسع النحل "Acupunctural Apitherapy".

• مازال هذا الفرع من الطب البديل في خطواته الأولى، و مازالت فرق البحث العديدة في دول العالم و أهمها مصر تتابع هذه الطريقة لاستخلاص علاج ناجع لمرضى الإيدز بالخاصة و لغيره من الأمراض المزمنة و المستعصية. و لبعض الأطباء و الممارسين تجارب تستحق الاحترام و بخاصة في علاج التهاب الكبد الالتهابي و تصلب العديد.

المعالجة بالأوزون Ozon Therapy:

ما هو الأوزون؟

هو O_3 و دعي بالأكسجين الفائق أو النشط أو المركز حيث إن ذرته تتألف من ٣ جواهر أكسجين O_2 بدلاً من جوهريّن في الأكسجين الذي نتنفسه. و هو يتكون في الطبيعة من مصدرين:

الأول بتأثير الأشعة فوق البنفسجية الصادرة عن الشمس، على الأكسجين.
الثاني بتأثير أمواج البحر على الشاطئ.

و يعمل الأوزون في الجو على حمايتنا من التأثيرات الضارة للأشعة فوق بنفسجية، كما أنه يتحد مع المواد الضارة من الفحوم الهيدروجينية محولاً إياها إلى مواد غير ضارة (H_2O و CO_2).
آلية عمل الأوزون في الطب:

بما أن الأوزون يعمل على مستوى الخلايا عامةً، فإن هامش استخدامه في الطب هامش واسع يشمل حالات مرضية عديدة، و يستخدم وحده أو مشتركاً مع المعالجات الأكاديمية المختلفة فهو:

١- ينشط عمل الفيروسات، و يقتل الجراثيم و الفطور و الطفيليات، و الخلايا السرطانية و ذلك بأكسدتها و تثبيط عملها.

٢- ينشط أجهزة المناعة بتزويدها بنسبة عالية من الأوكسجين.

٣- يرفع الروح المعنوية للمريض "Well being Sense" فيزيل الاكتئاب.

٤- مسكن و مهدئ.

٥- محفز لإفراز العديد من الخمائر.

بدأ استخدام الأوزون في المعالجة منذ عام ١٨٧٠ على يد العالم ليندر في ألمانيا، ثم نال العالم الألماني أوتو فاربورغ جائزة نوبل في الطب مرتين عام ١٩٣١، و عام ١٩٩٤ عن أبحاثه في استخدام الأوزون لعلاج الأورام الخبيثة. و تم الاعتراف بالأوزون و إقراره كوسيلة علاجية في حوالي ٢٥ دولة منها انكلترا و فرنسا و روسيا و رومانيا و ألمانيا و و بولونيا و و التشيك و بلغاريا و اليابان و كوبا و المكسيك و سنغافورة إضافة إلى ٢٥ ولاية أميركية. و هناك حالياً اتجاه واسع للإفادة من الأوزون طبياً كأحد وسائل الطب البديل،

و بخاصة بعد أن أثبتت الأبحاث العلمية فعاليتها و أمانه مقارنةً بالوسائل الطبية المعروفة، و حتى بالوسائل البديلة حيث يعتبر من أكثرها أماناً.
استطابات المعالجة بالأوزون:

١- الأمراض الفيروسية و بخاصة التهاب الكبد الفيروسي حيث يزيد الأوزون من إفراز المواد المناعية (انترفيرون و انترلوكين) كما يعمل على أكسدة النتوءات الخارجية للفيروس فيسهل عمل المُبلِّعات الخلوية "Macrophages".

٢- أمراض نقص المناعة الذاتية: روماتيزم، روماتويد.....

٣- أمراض الاستقلاب كالبدانة و التصلب الشرياني و ما ينجم عنها من نقص التروية القلبية و المحيطية (كالشرث).

٤- أمراض الأرجية المختلفة كالربو والأكزما...

٥- الأورام الخبيثة كأورام الدم و المبيض.

٦- القروح و الجروح الواهنة و المتهتكة، و أخصها القدم السكرية فعلاجها بالأوزون قد يخلص من عملية البتر المعروفة.

٧- بعض أمراض الطفيليات كالمalaria و الاسكاريس.

٨- يُستخدم الأوزون في العلاج بعدة طرق أهمها:

• سحب ١٠٠-١٥٠سم^٣ من دم المريض، ثم إعادتها إليه بعد إضافة

الأوزون إليها، عدة جلسات حسب حالة المرض.

• عن طريق الجلد بتعريض بدن المريض (دون رأسه) إلى بخار ماء

مشبع أو زيت زيتون مشبع بالأوزون أو كيس مملوء بالأوزون يدخله

المريض بحيث يبقى رأسه خارج الكيس (كيس ساونا)، أو بغرفة مخصصة تشبه غرفة الساونا و تدعى بغرفة الأوزون.

• طرق أخرى كشرب الماء المشبع بالأوزون. أو تشريب الأنسجة بالأوزون عن طريق الفتحات الطبيعية كالشرج أو الأذن أو المهبل أو الاحليل.

محاذيره:

لا يستعمل الأوزون استنشاقاً حيث يسبب تهيجاً في القصبات و لا عن طريق الحقن المباشر بالوريد خوفاً من حدوث صمامات غازية. و لا في فرط إفراز الدرقية و لا في فقر الدم الناجم عن التفويل "Favisum".

يستخدم الأوزون في الصناعة في معالجة مياه الصرف الصحي و غيرها، بتركيز عالية ١٠%-٢٥%. أما طبياً فلا يعطى الأوزون بتركيز أعلى من ١٠% حيث إن التركيزات العالية تضعف مناعة الجسم و تعطي مفعولاً عكسياً. و الأوزون المستعمل طبياً يتكون من خليط يشمل الأوزون بنسبة ٥,٥-٥ مع نسبة ٩٩,٥-٩٥ من الأكسجين.

و لا يتم العلاج بالأوزون إلا بإشراف طبيب خبير يحدد المقادير و النسب بدقة و إلا تعرض المريض لأخطار عدة.

المعالجة بالزيوت العطرية AromoTherapy:

هي زيوت معقدة التركيب الكيماوي، تفرز من خلايا بعض النباتات أو من قنبوات شعرية أو من غدد خاصة بها، و يعتقد أنها ناجمة عن عمليات الأيض

النباتي (الاستقلاب) و غالباً ما تتواجد بشكل زيوت أو صموغ أو راتنجيات عطرية.

تستعمل عادة للتكتيه "Flavory" كزيت الليمون، أو في صناعة العطور كزيت الورد، أو لتخليق مركبات أخرى كزيت التربنتين "Turpentine"

تبين مؤخراً أن لهذه الزيوت تأثيرات علاجية هامة وهي زيوت تتبخر بحرارة الغرفة، وذات رائحة عطرية، وقد دعيّت بالزيوت الأثيرية لأنها تتحل بالأثير أو الكحول. وتتكون من مزيج من مائيات الفحم ذات السلسلة الدائرية "Cyclic" المشبعة أو غير المشبعة، واثيرات وكحوليات واستيرات وكيونات وهي ذات تركيب معقد جداً، ولا تستعمل داخلياً بسبب سميّتها، إلا في حالات نادرة وبإشراف طبيب خبير.

يعود التأثير السمي للزيوت الطيارة على الأغلب إلى المواد الأقل تطايراً التي تبقى بعد تبخرها، حيث إنها مواد بطيئة الامتصاص جداً وتشبه بسميتها وفعلها ما يتبقى بعد الكيوسين. وهي تهيج جميع النسيج وتخترسها مسببة فيها احتقانات شديدة ووذمات وتبدلات استحالية. وبسبب سميّتها الشديدة وضعت التعليمات لحفظها وتخزينها بعيداً عن الضوء والحرارة وأوصت بوضع بطاقة تعريف على كل زجاجة، يكتب عليها اسم الزيت بلغات عدة، والجزء النباتي المستخلص منه، وعبارة (للاستعمال الخارجي فقط Ext.Us) وتاريخ التحضير والصلاحية وغير ذلك.....، وأوصي المتعاملون معها بوضع قناع يحمي طرق التنفس من تأثيرها.

تفرز الزيوت العطرية من خلايا النبات أو من قنويات شعرية أو من غدد خاصة بها، ويتبدل تركيبها حسب الجزء النباتي وحسب البيئة، ويعتقد أنها ناجمة عن عمليات الاستقلاب (الأيض - Metabolism) النباتي، وهي غالباً ما تتواجد مع مواد أخرى كالصمغ والراتنجيات.

تستعمل الزيوت الطيارة لغايات عديدة أولها للتكيّة "Flavoring" كزيت الليمون أو في صناعة العطور، كزيت الورد ولهذا دعيّت بالزيوت العطرية، وكما دة أولية لتخليق مركبات أخرى كزيت التربينتين "Turpentine". وقد تبين مؤخراً أن لها تأثيرات علاجية هامة كاستعمال زيت الأوكالبتوس نشوقاً عن طريق الأنف، واستعمال زيت النعنع الفلفلي ومُستخلصه التيمول غرغرة للفم، وزيت الخزامى وإكليل الجبل والبيرغاموت عن طريق الأدمة "Trans-dermally". ولبعض الزيوت تأثيرات مطهرة "Antiseptic" بفضل غناها بالفينول "Phenol" كزيت القرنفل والصّعتر. ومنها طارد للريح وحال للتشنج "Antispasmodic" كزيت الحلبة وإكليل الجبل والنعنع والبابونج والشمرة والكرويا والنارنج.....، وهناك العديد من الزيوت الأخرى المضادة للروماتيزم والمقوية والمضادة للوذمة والاحتقان.

بفضل هذه الخواص للزيوت العطرية نشأ فرع المعالجة بالعطور "Aromotherapy" كأحد فروع الطب البديل. والمبدأ فيه تحريض حاسة الشم بهذه الزيوت العطرية النفاذة، ولكن بعد تخفيفها وتمديدتها بزيوت حاملة ثقيلة تساعد على الاحتفاظ بخواصها.

وقد ذكر البعض أن لعملية التدليك بهذه الزيوت أيضاً فائدة طبية مساعدة، حيث يعمل التدليك على حفز عمليات الشفاء داخل البدن، بتحسين التروية الموضعية، وتنشيط الرائحة العطرية للمراكز المحيطة الطرفية "Limbic System". ويمكن القول حديثاً أن أول من ابتكر اسم المعالجة بالاعطور هو الصيدلي رينيه موريس غاتفوس "Gattefosse" عام ١٩٢٨م الذي كان يعمل في منشأة لصناعة العطور تملكها عائلته، حيث حرق يده فجأة فما وجد بجانبه سوى إناء مليء بزيت الخزامى فغطس يده في الزيت وشفي الحرق بسرعة دون أن يترك سوى ندبة خفيفة، ومن هنا استنتج أن الزيت له تأثير أكيد مطهر وشفاف، وتابع أبحاثه. ثم جاء فالنت "Valnet" فطور تلك الأبحاث وأكد أن للزيوت العطرية خواص ذات أهمية علاجية، فهي مضادة للإنبتان ومرممة، وجربها في جروح الجنود في الحرب العالمية الثانية، ونشر أعماله عام ١٩٦٤م في كتابه (المعالجة العطرية - Aromotherapie) ويعود الفضل فيما بعد إلى موراي "Maury" التي أكدت في كتابها (سر الشباب والحياة - The secret of life and youth) على أهمية التطبيق الموضعي للأرواح العطرية "Essences" في تعزيز الصحة والجمال والحيوية.

وجميعنا نعلم أن المعالجة بالزيوت والراتنجيات استخدمت عند الفراعنة القدامى في التحنيط، وعند الهنود والصينيين القدامى، وتذكر التوراة أن النبي موسى عليه السلام استعمل زيت المر "Myrrh" وزيت القرفة، وقد قدم للمسيح عليه السلام عند مولده اللبان والمر، وقد وصف هيبقراط وديمقراط التأثيرات العلاجية للزيوت، ويقال إن كليوبترة أغرت أنطونيوس بسبب أنها كانت تتضمخ

بزيت الياسمين. والجميع يعلم أن الجزيرة العربية حوالي عام ١٥٥٥م كانت المركز العالمي لتجارة العطور بين مصر والصين والشام. ويقول الرسول العربي محمد (ص): (كلوا الزيت وادهنوا به). وفي أيامنا هناك دراسات عديدة عالمية تذكر منها دراسة أجريت في جامعة (ماي شيب) في اليابان على ١١٢ حالة لأشخاص مصابين بانهيار عصبي عولجوا بالزيوت، خلال فترة معالجة لم تتجاوز أربعة أشهر فاستغنى أغلبهم عن أدوية الكيمياء، وقلت حاجة البعض الآخر لها.

وأكد العلماء في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي أن العطور التي استخدمها الفراعنة لم تقتصر على مجال التجميل، بل كان لها دور فعال في معالجة بعض الأمراض وبخاصة أمراض الشيخوخة.

غالباً لا تستعمل الزيوت العطرية عن الطريق الداخلي بل بالطريق الخارجي (الجلد والفتحات) وفي الصناعات التجميلية. ولا تستعمل مركزة بل يجب أن تخفف بالعسل أو بزيوت حاملة لا تحجب الروائح العطرية للزيت الأساس كزيت الزيتون والأفوكادو وعباد الشمس وزهرة الربيع والذرة واللوز "Almond" والصويا والجوجوبا ورشيم القمح ونوى المشمش والدراق. وقد يكون لهذه الزيوت الحاملة فوائد داعمة للعلاج بسبب غناها بفيتامين E,A المعروفين بفائدتهما في ترطيب الجلد وترميم التشققات. أما نسبة التمديد الوسطية فتقدر بـ ١/٢٠ تقريباً أي (٥ نقط من الزيت العطري المعالج + ملقة كبيرة من الزيت الحامل تقريباً).

أهم الطرق التي تستخدم فيها الزيوت النباتية للعلاج هي مع ماء الحمام، وفي التدليك العضلي (مستاج) ورذاً في الغرف لتجديد الهواء وإنعاشه، وبهذا تفيد لدعم المعالجة في أمراض الجهاز الحركي (العضلي العظمي) والجهاز العصبي، وجهاز الدوران الدموي والبلغمي، وجهاز الهضم، وجهاز التنفس، والجهاز البولي التناسلي، والجهاز الغدي، وفي إعادة التوازن النفسي للمرضى النفسيين.

قد تسبب الزيوت الأساسية هذه تخريشاً أو حساسية في حال إساءة استعمالها كاستعمالها مركزة أو لفترات طويلة. كما أننا ننصح الحوامل والمرضعات والنساء خلال فترة الطمث، والأطفال دون السنتين حين الرغبة باستعمال هذه الزيوت باستشارة الطبيب المعالج.

المعالجة بالماء - Hydrotherapy:

جعل الله تعالى من الماء كل شيء حي، و الماء هو عنصر الحياة الرئيس، به تحيا جميع المخلوقات منذ أن خلقها الله تعالى على وجه البسيطة و حتى يوم الدين، فالماء يشكل حوالي ٦٠-٧٠% من وزن الإنسان.

و قد استعمل الماء في العلاج الداخلي و الخارجي منذ أقدم الأزمان، و مازال يستخدم حتى اليوم، و كل يوم يكتشف الجديد من استطبائاته. فهناك الأنهار المقدسة عند الرومان و الهنود (نهر الغانج) التي يستشفون بها من الأدران الجسدية و النفسية، و هناك الحمامات الكبريتية في تركيا و سوريا و غيرها... و الحمامات العامة للتدليك و الاستشفاء في أوروبا و غيرها...

و الحمامات الساخنة و الباردة و حمامات الأعشاب و حمامات البخار (ساونا)
و حمامات الرذ المائي و الحمامات المعدنية، و هناك الاستطببات العديدة
للمعالجة بالماء عن طريق الفم. يمكننا إيجاز استطببات المعالجة بالماء بما
يلي:

الاستطببات الداخلية: حيث يستعمل الماء القراح عن طريق الفم، أو تستعمل
مناقيع الأعشاب على الريق، في الإمساك المزمن و تنقية الدم و تنقية مسالك
البول من الرمال و الحصى و الحكات الناجمة عن أمراض عديدة كالنقرس
و السكري و اليرقان و فرط شحوم الدم و السرطانات و الأكزما و الصدفية
و الدامل و البثور و حب الشباب و رثيات المفاصل، و حالات التجفاف
"Dehydroatation" المختلفة و البدانة... و في الحميات حيث يُحْمَلُ الماء
بالشوارد المعدنية كالكلسيوم، و يتناول المريض منه شرباً على الريق
١-٢ لتر بغية تخفيف الوزن (ماء الرشاقة أو الماء المنحف).

الاستطببات الخارجية:

- حمام الماء البارد الجاري و الرذاذ (حرارته ١٥-٣٠م): يستطب في
حالات ارتفاع الحمى و آلام عرق الأنسر و الدوالي و التهاب الوريد الخثري
و الأرق و عند العصبيين، و في الاحتقانات الموضعية عقب التدليك
و المشي الطويل... و غيرها....
- التداوي بالجليد: الذي يوضع في كيس مطاطي أو في لفات من القماش
و يطبق على البطن في حالات البطن الحادة، و التهابات الملحقات النسائية،
و على الصدر في التهاب الشغاف "Endocarditis" و التهاب التأمور
"Pericarditis".

- حمام الماء الساخن (حرارته ٣٥م ووسطياً): حيث يستعمل الماء وحده أو مع مناقيع الأعشاب أو المعادن، في البواسير و التهابات الأذن الوسطى و الزكام.
- الحمام متزايد الحرارة: الذي تُرفع حرارته مائه حتى تصل إلى ٤٠-٤٥م، و الغاية منه توسيع الأوعية السطحية و تنشيط دورة الدم في خناق الصدر و حصى جهاز البول و حصى المرارة و البدانة و الرئيات و النقرس..
- الحمامات المتناوبة من ماء حار لدرجة (٤٠م) ثم ماء بارد، في حالات الشرث (عضة البرد أو التلج) و داء رينو و الغاية منه تقوية جدر الأوعية و تنشيط الدورة الدموية.
- حمام البخار (ساونا): بالبخار الساخن أو بمناقيع الأعشاب الساخنة، في التهابات طرق التنفس العليا (الجيوب، الحنجرة، القصبات، الأنف..) و في أمراض الجلد الإنتانية و التحسسية كالدمامل و القوباء "Impetigo" و الجرب و الأكزما... و في التهابات الأذن الوسطى و أكزما صيوان الأذن، و آلام المفاصل الرثوانية و النقرسية، و أثنان و قروح القدم و البواسير و آلام الظهر..
- المياه المعدنية: كالمياه الكبريتية المتواجدة في شتى أنحاء العالم، و التي يقصدها الناس في حالات الرئيات العضلية و المفصلية المختلفة، و في السمنة المفرطة و عسرات الهضم و الوهن العام.
- الكمادات أو اللبخات المائية: المحضرة من مناقيع الأعشاب حسب الحرارة المطلوبة، حيث تطبق على المفاصل و الأعضاء المختلفة لتسكين

الآلام بالعامه، أو تطبق على جميع أنحاء البدن عدا الوجه (التدثير) لإثارة التعرق في حالات الحميات و في حالات الوثي المفصلي و تمزقات العضلات و لدغات الحشرات و الرضوض الموضعية و الرثيات و الكولنجات الكلوية..

• التبخيرات المختلفة بالمناقيع العشبية في الأمراض العديدة من أمراض جهاز التنفس كالزكام و التهاب الجيوب و غيرها...

• إعادة تأهيل الجهاز الحركي (المفاصل و الأربطة المفصالية و العضلات و الأوتار...) و معالجتها بالماء، و هي طريقة قديمة حديثة تعالج بها حالات الوثي التي تنجم غالباً عن الإصابات الرياضية، كما تعالج بها آلام المفاصل الناجمة عن خلل كيميائي في الإشارات العصبية الدماغية و هي ما يدعوه الأطباء بآلام العضلات و الألياف "Fibromyalgia" و غالباً ما تشترك هذه الآلام مع الأرق و خلل النوم و وهن العضلات و غيرها من الحالات المماثلة... كإعادة التأهيل بعد العمليات الجراحية و الرضوض الأخرى و الصداع المزمن و التصلب المتعدد و إصابات العمود الفقري بالعامه و شلل الأطفال و الضمورات العضلية و داء باكنسون غيرها... و تتم هذه المعالجة باستخدام الماء الدافئ و التدليك و تحريك المفاصل و العضلات ضمن الماء حيث تبين أنه عندما يُغمر الجسم في الماء، ينخفض مستوى الجاذبية، و ينخفض الضغط على العمود الفقري و المفاصل، و يسترخي البدن جميعه في هذا الوسط من انعدام الوزن، بحيث يُصبح الطبيب قادراً على إعادة تأهيل المريض بلطف و دون أي ألم، و بهذا تختلف هذه الطريقة عن طرق المعالجات الفيزيائية خارج الماء و التي تسبب آلاماً شديدة.

ليس لطرق المعالجة بالماء محاذير سوى التوقي من لفحات البرد بعد الحمام، و أن يكون الماء نظيفاً خالياً من الفطور و الملوثات الأخرى.

هذا موجز بسيط عن استخدام الماء في المعالجات الطبية كطريقة بديلة معروفة لدى الجميع. لكن نقطة الهدف هي ما كشف مؤخراً على يد العالم الياباني "ماسارو ايموتو" ونُشر على موقعه على الانترنت (www.masaru-emoto.net) حول تفاعل ذرات الماء مع أفكار البشر و مشاعرهم و أقوالهم، و تبدل ذبذباتها لدى نزول شخص فيها (بكليته أو بجزء من بدنه كيديه مثلاً) حسب حالته النفسية: مكتئب، حزين، مرح، سعيد... و ما أدهش العالم المذكور أيضاً هو اختلاف تشكل بلورات الماء أيضاً في كل من تلك الحالات حيث استطاع تصويرها بألة تصور (كاميرا) فائقة السرعة فحصل على ما يدهش العقول:

فالماء المجمد يظهر على شكل ندفٍ ثلجية ملونة و زاهية الألوان كالوردة، عندما يتم الهمس في الماء بكلمات محببة، أما إذا كان الماء عكراً أو بُثت فيه أفكار سلبية، فيُظهر أشكالاً غير كاملة و غير متناسقة و ذات ألوان باهتة. كما أن الموسيقى و الصور و الكلمات المكتوبة على ورق، لها رد فعل و استجابة بشكلٍ ما من الماء.

و قد خلاص "ايموتو" إلى أنه يمكن استغلال هذه التفاعلات في علاج الإنسان و في علاج البيئة المحيطة به أيضاً، و ذلك ببث المشاعر الإيجابية و كلمات الحب و العطف و النوايا الحسنة و الأدعية في الماء.

أعجب العديد به و بأبحاثه هذه، لكن المعارضين كانوا أكثر، حتى أنه عجز عن إقناع أية دار نشر يابانية بنشر كتبه، فلجأ إلى نشرها بنفسه و على نفقته في موقعه على الإنترنت و هاجمه الكثيرون و اتهموه بالخرف و الاحتيال و اعتبروا أن ما يتكلم عنه ليس إلا من صور الخيال العلمي، على الرغم من عرضه صور الندف الثلجية المختلفة التي أعجب الجميع بجمالها.

لكن البعض القليل أكد على أن معظم المخترعين و المستكشفين تعرضوا في زمانهم لما تعرض إليه ايموتو من التكذيب و الاستهانة و السخرية.

إن تسارع المعلومات و اكتشافها بفضل التقنيات الحديثة، أصبح حجة داعمة ضد الإنكار و التخلف الثقافي و الحضاري. و إن الكتب الطبية القديمة من عربية و يونانية و صينية و هندية، مليئة بأدعية و علاجات للأمراض النفسية و المجهولة من وهم و عشق و سحر و مس من الجان و غيرها مما أنكره الطبيعويون سابقاً، و لكنهم فيما بعد و بخاصة في أيامنا رضخوا للقبول به بعد أن كشفته تلك التقنيات جلياً و واضحاً. و مازالت في كل يوم تكشف الجديد بالحجة الداعمة، التي أصبح لا بدّ معها من إعادة النظر في أسس تلك العلوم و نظرياتها بشكل يتفق مع الوقائع التي لم تستطع علومنا الحالية تفسير ظواهرها.

و قد انبرى بعض العلماء المسلمين مؤخراً لدراسة مثل هذه الظواهر على ضوء القرآن و الحديث و ما أتى به الإسلام الخالص، لا ما أتى به المشعوذون و المنحرفون و المتمزمتون مما يخالف أصول الدين الحق، فاستتبطوا الرقى الشرعية لعلاج السحر و العين و مس الجان، و استتبطوا قيمة الدعاء و التذلل

لله تعالى، و استخدموا الماء في العلاج بعد بث الرقى الشرعية والآيات القرآنية فيه.

المعالجة بأشعة الشمس :Helio Therapy

(لقد أودع الله تعالى في الشمس قدرة بعث الحياة من جديد، بعد جمود الليل الحالكة) قولٌ ذكر منذ زمن بعيد ليدل على قيمة الأشعة الشمسية بضيائها و حرارتها، فهي تبعث في النفس التفاؤل و البهجة و الإيجابية، و تحسن عمل الخلايا و ترويتها الدموية، و بهذا تعمل على تحسين العمليات الحيوية عامةً.

تستطب حمامات الشمس في العديد من الأمراض كالآلام الرثوية و النقرس و عرق الأنسر و الكساح "Rickets" و السل و النقاهاة من الأمراض و الجروح الواهنة و غيرها..

و لإجراء حمامات الشمس نصائح عامة، حيث يفضل إجراؤها في الربيع عند الشاطئ في السهول و الجبال، عند الصباح و المساء (حيث تكون الحرارة معتدلة و الجو نقياً) علماً أنه يمكن إجراؤها في جميع الفصول. يُغطى الرأس و العيون و الرقبة و الصدر بما يناسب، و يبدأ بعشر دقائق تزداد تدريجياً كل يوم حتى ساعة تقريباً ثم تنقص بالتدريج. و لابد من استشارة الطبيب فهو الوحيد الذي يستطيع تقدير الزمن و الكيفية المناسبة للمريض، حيث إن لأشعة الشمس أيضاً أضراراً منها الحروق و الحساسية الضوئية و إصابة العين بالساد "Cataract" و الظفرة و سرطان الجلد... و قد عُلم مؤخراً أن التعرض المفرط لأشعة الشمس قد يؤدي إلى نقص في عد الخلايا الطبيعية المبلعمة "Macrophages" و بالتالي إلى تعطل الجهاز المناعي في البدن.

و قد جرت العادة أن يُدهن الجسم ببعض المواد الواقية كأكسيد الزنك و ثاني أكسيد التيتانيوم و حمض بارا أمينوبنزويك "P.A.B." حيث إن هذه المواد تمتص القسم الأكبر من أشعة الشمس فتعمل على حماية البشرة.

كما أن هناك بعض المواد الغذائية التي تحوي عناصر كيميائية تسبب تحسساً لأشعة الشمس، كالجزر و الليمون و البقدونس و البرسيم و نباتات الفصيلة الصليبية "Cruciferae". كذلك فإن بعض الأدوية أيضاً تسبب حساسية لدى التعرض للشمس كالمسكنات و المنومات و مضادات الحيوية و موانع الحمل الفموية، و المطهرات الهالوجينية التي تدخل في تركيب بعض أنواع الصابون و العطور، و الكميات المفرطة من فيتامين B₂.

المعالجة بالهواء Aereo Therapy أو Pneuno Therapy:

يُمارس الحمام الهوائي ليلاً أو نهاراً. بغاية التهدئة العصبية النفسية، و تختلف مدته حسب رغبة المريض و حالته العصبية النفسية. و قد ثبت أن الهواء المتجدد و النقي، ينعش البدن و يهبه الطاقة الحيوية، و يساعد الخلايا على التجدد و الدفاع الذاتي.

يفضل أن يُجرى الحمام الهوائي، في مكان مكشوف كالبساتين أو على الشرفة أو في الغرف الواسعة بعد فتح نوافذها. و يُطبق و الجسم عارٍ من الملابس، و أفضل وقت له هو وقت الصباح بعد الاستيقاظ، حيث الهدوء و نقاء الجو. و لا يجوز إجراؤه حال وجود تيارات هوائية مزعجة أو حرارة جوية عالية، أو برودة قارسة.

يستطب الحمام الهوائي في الزكام و الحالات العصبية النفسية حيث يعمل على تهدئة الأعصاب و دعم المناعة بتنشيط الاستقلاب الخلوي، و الدورة الدموية، و حفز التعرق الذي يخلص الجسم من السموم و يساعد في التئام الجروح و القروح، و تنشيط عملية التنفس و الهضم.

يعتبر الحمام الهوائي، البارد أو الحار، مضاد استطباب عند الشيوخ و المَدنفين و المصابين بالربو و المقلوبين، و في حالات التعرق الغزير، و في الطقس البارد جداً.

أفضل المناطق لإجراء حمام الهواء، هي السهول.

المعالجة بالطين Mud Therapy:

انتشرت المعالجة بالطين أو التراب محلياً في بعض البلدان لشفاء عدد من الأمراض. ففي اليابان يعتمد المصابون ببعض الأمراض كالآلام الرثوية و الآلام النسائية الحوضية، و بعض أنواع الأكزيما الجلدية إلى دهن أجسادهم من القدمين حتى الذقن في تربة بعض المناطق التي يعتقدون أنها شافية بآلية امتصاص الجلد لبعض المواد كالكبريت والسيليس.

هذه العملية تشبه الاستحمام بالمياه الكبريتية أو حمامات الشمس. و بالطبع يعتمد هؤلاء المدفونون أحياء، لوقاية رؤوسهم و أعينهم من الشمس، و يستمتعون زمناً بدفء أو ببرودة ذلك الطين. و في سورية تستعمل بعض أنواع الأتربة الرملية السيليسية في منطقة القلمون، وقاية و علاجاً من المذح (التصميت) لدى الأطفال، وذلك بتسخين حفنة من التراب الذي يسمى محلياً

بالتراب الأحمر، بين طيات قطعة قماشية، و وضعها بين فخذي الرضيع. و لعل آلية الشفاء فيها بامتصاص الرطوبة أو بالمواد الماصة و الحافظة للبشرة أو بوجود المواد المعدنية الموجودة في تلك الرمال. و قد جربناها مع بعض مساحيق الأعشاب الطبية كالبابونج، فكانت النتائج باهرة وبخاصة في حالات عديدة فشلت فيها المراهم والمحاليل المعروفة التي لا يخلو أغلبها من مركبات الكورتيزون.

كما تستعمل في قرى حلب قطع من تراب غضاري شائع الاستعمال تحت اسم (بيلون) أو (التربة الحلبية) و هو ذو رائحة زكية تستعمل بديلاً عن الصابون في الحمام لمعالجة النخالية (قشرة الرأس) و تطرية البشرة، و معالجة الأكزيما.

و في مصر هناك طين الإبلير الذي ذكر في كتاب (المعتمد في الأدوية المفردة) للتركمانى، و هو ينفع المَطْحُولين و المستسقين، طلاء على بطونهم و أفخاذهم و سيقانهم و صدورهم. و قد ذكر في المعتمد عدة أنواع من الطين، كالطين المختوم و الأرمني و طين شاموس و قيموليا..... للاستعمالات الخارجية غالباً، و الطين النيسابوري، و هو طين الأكل الذي وصفه الرازي مقوياً لقم المعدة، و مسكناً للقيء، و منعه عن المكبودين، و عمن يتولد الحصى في الكلى عندهم.

و قد استعمل الطين الممزوج ببعض الأعشاب كالبابونج أو الصعتر البري "Thymus V." أو المردكوش "Origanum" موضعياً بعد تشكيله بشكل قطع مدورة بحجم الكف أو أصغر منه، توضع على مناطق الآلام الرثوية

أو التشنجات البردية، بغية تسكين الألم. وكانت تلك القطع تدعى باللصاقات، وما وضع منها على العيون لمعالجة الرمد، عُرف باللصاقة العينية. وهي تشبه تماماً الأرغفة الصغيرة أو الكبيرة التي تصنع من عَجَن طحين القمح أو الشعير، بشكل لَين لتطبق على موضع الألم، و عُرفت بالأرغفة الشَّمِيط، ولعل الاسم اشتق من معنى الشميط، وهو الوسط بين اللين والقساوة (رغيف الشميط Spindle Skein)، وما زالت هذه الأرغفة الطينية والعجينية مستعملة في القرى وفي بعض بلدان أوروبا، لمعالجة الآلام كما أسلفنا، والعقم والرمد والوئي والرضوض وتشنجات البرد.....

المعالجة بالحشرات Insect-Therapy:

هناك العديد من الأمثلة على استخدام الحيوانات والحشرات في العلاج، وتختلف حسب الشعوب والتقاليد، ومنها ما أثبتت فعله الطبي، ومنها ما يستعمل شعبياً.

أقدم هذه الممارسات هو استخدام العلق "Leeches" في الفصادة وسوف يمر ذكرها معنا. واستخدام حشرة الذرّاح "Cantharide" التي تجمع أيام الحصاد وتوضع في زجاجة مغلقة فتموت، بغية استخدامها لإحداث نقطة الكي (حمصة الكي Litta Vesicatora) ومنها استخدام لسعات النحل في شفاء الآلام العصبية والرتوية ولحم القنفذ في شفاء الآلام العصبية والرتوية أيضاً. ولحم السلحفاة البحرية وبيضها في الضعف العام والوهن. وتناول مسحوق قرن الأيّل أو الغزال، في ضعف الكلى والضعف الجنسي. ومسحوق القرون المشوية على النار رداً في حالات هبوط الشرج. والمسك الذي

يستخرج من غزال المسك الذكر، مقوياً جنسياً و منشطاً للدوران الدموي و مميحاً للدم. و لدغات بعض أنواع الأفاعي لمعالجة الجذام. و سموم العقارب (ذيفانها) لشفاء الآلام المفصلية الرثوية، و الجراد المشوي أو المقلي في عسرة التبول عند النساء، و في البواسير عند الرجال، و استخدام الخنافس لعلاج الطاعون و سوء الهضم (عن طريق الفم) و تناول بعض أنواع الطحالب البحرية في آفات الغدة الدرقية، بفضل غناها باليود. و طحالب أخرى يستخلص منها مواد مضادة للحياة. و لحم الدجاج الأسود لمعالجة فقر الدم و منع النزوف و تنظيم الطمث. و العنبر "Amber" و هو حصيات تستخرج من معي أو بنكرياس بعض الأسماك و الحيتان التي تعيش في المناطق الاستوائية، يستعمل مقوياً للباه مع الشاي أو الغذاء. كما يستخدم القرمز و هو مادة ملونة تستخرج من بعض أنواع الحشرات نصفية الجناح، و تمزج مع الشب و تغلى بالماء، ثم تمزج مع الطلك (البودرة) و تستعمل لتحميم الخدود عند النساء و تعرف شعبياً باسم (حُسن يوسف).

كذلك يستعمل صدف الحلزونات مسحوقاً، حيث يرذ على الحروق و الجروح و القروح النازة و الصدف.

المعالجة بالمعادن Minerio-Therapy:

ليست المعالجة بالمعادن، أو بكلمة أخرى استخدام المعادن في الطب، وليدة عصرنا الحالي أو حضارتنا، بل هي معروفة منذ القديم، فقد كان فلاسفة اليونان يرتدون حذاءً من النحاس للوقاية من الكوليرا، كما أن الصينيين استخدموا الإبر الحجرية أول ذي بدء للوخز بالإبر، ثم تطوروا لاستخدام إبر

النحاس و غيره من المعادن. و قد أوصى ابنُ سينا مرضى الكسور العظمية بتناول مسحوق النحاس. و أوصى غيره بتناول قشور البيض و الكلس المُطْفَأ أيضاً لتسريع التئام الكسور العظمية، و بتناول فلز الحديد و برادته لعلاج فقر الدم. و في بعض القرى و القبائل البدوية يلبس الطفل أساور نحاسية في بدء إسنانه لتسهيل بزوغ الأسنان و معالجة الإسهال المرافق، و بتناول الشب الأزرق (كبريتات النحاس - So_4Cu) في بعض الأمراض المزمنة.

و نحن نعلم أن الشوارد المعدنية من نحاس و توتياء و يود و منغنيز و حديد و كوبالت و ألنيوم و غيرها... تدخل في تكوين خلايا البدن البشري، بكميات ضئيلة جداً "Oligominerals"، حيث تقوم بدور الوسيط في إجراء التفاعلات الحيوية الضرورية لاستمرار الحياة، فكل منها دور هام و خطير و بخاصة في تكوين الخمائر "Enzymes".

أما مصطلح التطبيب بالمعادن هنا فنقصد به استخدام المعدن بشكله الطبيعي، فقد ثبت أن ملامسة المعدن لسطح الجلد، تؤدي إلى توليد تيار كهربائي خفيف الشدة جداً، و تبين أيضاً أن من المعادن كالفضة ما يعمل بالنسبة للجلد، كقطب موجب، فيعطي أثيراً مهدئاً، و منها كالنحاس ما يعطي تأثيراً منشطاً و حافظاً للخلايا الجسمية.

و يعتبر النحاس من أكثر المعادن نقلاً للكهربائية، إضافة إلى استقلابه في خلايا الجملة العصبية و بخاصة المخ، لهذا كان في طليعة المعادن المستعملة، و قد لوحظ أيضاً أن العضو المريض تزداد شحنته فيجذب إليه قطعة النحاس

الموضوعة على الجلد، مما يدل على أن كهربائية الأعضاء، تختلف في حالات المرض، و تعمل المعادن - و بخاصة النحاس - على تعديلها.

تعتبر هذه النظرية حتى اليوم أفضل ما يفسر لنا نجاح المعالجة المعدنية في كثير من الأمراض، و شعور بعض الناس بالأرق و العصبية بسبب تخالف كهربائية أجسادهم مع المعدن. كما تفسر لنا تحسن الآلام العصبية و الرثوية في الأطراف لدى استعمال الأساور المعدنية، أو لدى نقل الساعة ذات السوار المعدني إلى الطرف المريض، و قد تفسر لنا أيضاً تحسن الآلام الظهرية بواسطة لبس المشدّات ذات الأطواق المعدنية.

و من هذه النظرية نشأ ما يُعرف بالمعالجة الكُتليّة أو الكليّة "Quantum Therapy" التي تعتمد أجهزة بسيطة تُعدّل كهربائية العضو المريض المُختلّة، من خلال جلسات عدة فتعيدها إلى السواء الكهربائي، بواسطة مساري معدنية مناسبة. و قد انتشرت المعالجة الكتلية في أيامنا كوسيلة بديلة من الوسائل الطبية. كما انتشرت الأساور النحاسية و الفضية الصغيرة و الكبيرة و الخلاخيل للساقين و الصفائح الرقيقة، و الإبر ذات الرؤوس و الأقطار المختلفة، و الحلّي المعدنية المختلفة التي تشبه الحلّي الذهبية بأشكالها و حجومها، و الكرات المعدنية، و الكرات المعدنية التي تُحمل باليد و السباحات المعدنية و غيرها... و رسمت لها مخططات تشير إلى أماكن تثبيتها في الجسم، تشبه مخططات الوخز بالإبر الصينية في علم المنعكسات.

تستطب المعالجة بالمعادن موضعياً في العديد من الأمراض كما ذكرنا أهمها الآلام المفصليّة الرثوية، و الصداع و الشقيقة و الآلام العصبية العضلية

و أمراض التنفس الالتهابية كالتهاب القصبات و الجيوب، و التهابات المعدة و القرحات الهضمية و غيرها... و ما زالت المعالجة بالمعادن في بدنها، لهذا فإن مضادات الاستطباب، ما زالت مبنية على الملاحظات السريرية و التجربة الشخصية، إذ يُنصح بنزع المعدن في حالات حدوث أرق أو هياج أو ضجر، كما لا ينصح باستخدامها عند العصبيين و المُدنفين.

و هناك طرق أخرى للتطبيب بالمعادن، تستخدم فيها الأحجار الكريمة بعد تسخينها أو تبريدها، و وضعها على مناطق معينة من الجسم كالبطن أو الذراعين أو الصدر أو غيرها.. بما يشبه المعالجات الانعكاسية بالإبر الصينية. و قد تتم المعالجة بواسطة التدليك بهذه الأحجار أو تحديق النظر إليها أو الإمساك بها باليدين لفترة زمنية أو تعليقها في العنق في سلسلة من الفضة.. و مبدأ هذه المعالجات هو الإفادة من الطاقة المنبعثة من ذبذبات الحجر و موجاته الكهرومغناطيسية و لونه. يعتقد أن أول من استخدم الأحجار الكريمة في العلاج هم المصريون الفراعنة، و لم تقتصر طرق استخدامها لديهم على الطرق الخارجية، بل كانوا أحياناً يسحقونها و يستخدمونها عن طريق الفم أيضاً. و قد نقل اليونان و الرومان عن الفراعنة هذه الطرق و طوروها. و من المعروف أن الكيميائيين العرب و المسلمين في عصر نهضتهم اشتغلوا بعلوم المعادن و الحجر، و اشتهر منهم العالم جابر بن حيان الذي يصنفه الغربيون حتى اليوم كأعظم كيميائي في العالم، و اشتغل العديد منهم في تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة. هذا و تستخدم حالياً مواشير الزجاج لتحليل الضوء

إلى أطرافه السبعة، و لا ننسَ أن شعاع الليزر ليس إلا الضوء الشديد الممرر في مواشير الياقوت.

يعتقد أن للألماس تأثيراً نفسياً مهدئاً للعصبية عند النساء، و للعقيق بأنواعه تأثيرات موقفة للنزيف و معيدة للاتزان النفسي و مضادة لدوار السفر، و للفيروز تأثير مضاد للسحر و العين و الحسد، و للياقوت تأثير مضاد للطاعون و الوسواس القهري و سرطان الأمعاء حيث تؤخذ قطعة صغيرة منه عن طريق الفم، ثم تستعاد ثانية عن طريق البراز فتغسل و تبلع ثانية و ثالثة و ... فتشفي السرطان. و للأرجوان تأثيرات داعمة للمناعة محفزة لمسالك الطاقة طاردة للسموم. و هكذا بما يضيق المجال لذكره...

المعالجة بالأعشاب (بالنبات) "Herbal Therapy": Phytotherapy

يُعتقد أن التطبيب بالنبات هو أول ما عرف الإنسان من أنواع التطبيب (قبل ٦٠٠٠ سنة) وأنه أخذ معارفه حوله من مراقبة الحيوان الذي يندفع بفطرته وراء تناول النبات سواء للغذاء أو إذا ما أصابه طارئ مرضي معين. ويُعرف تاريخياً أنه لم تخلُ حضارة من الحضارات القديمة: البابلية والكلدانية والفرعونية المصرية والآسيوية الهندية والصينية والتبتيية ... من ممارسات لاستخدام نباتات الأرض المحلية في شفاء العديد من الأمراض. وقد أفادت الحضارة الرومانية في أوروبا من جميع تلك الحضارات، وظهر منها أطباء عشابون "Herbalists" كثيرون، وجاءت الحضارة الإسلامية فترجمت المخطوطات العديدة وأنشأت المكتبات الكبيرة، ونبع منها أيضاً العديد من

العلماء والأطباء والعشابين الذين كان لهم الفضل الأكبر في تنقيح ما أخذوه عن غيرهم وإثباته أو نفيه.

ومع بدء النهضة الأوروبية الحديثة ومع اختراع الطباعة ١٤٤٠م، تُرجمت الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية وتقدمت التقنيات المخبرية واستخلص العديد من الجواهر الفعالة النباتية، وغير النباتية، واتجه التصنيع الدوائي باتجاه المواد الكيميائية، وانحصرت الأدوية النباتية ضمن عدد محدود جداً بسبب عجز المخابر عن معاييرها، وصعوبة مراقبة الدواء النباتي منذ زراعته حتى تحضيره كدواء، وعدم وجود دراسات طبية كافية للنباتات السمية. ولكن ومنذ منتصف القرن العشرين كما أسلفنا سابقاً، وقع العالم بأسره وفي طليعته الدول المتقدمة حضارياً، بالآثار الجانبية الضارة، وبالتسمم الكيماوي المزمن نتيجة لاستعمال تلك الأدوية. وبدأ يفتش عن وسائل أخرى وعن مخرج لما آلت إليه الحال، حيث ثبت بما لا يساوره الشك، أنه ليس هناك دواء كيماوي إلا وله آثار جانبية على بدن الإنسان.

ومن هذه المنطلقات عاد كل شعب إلى حضارته القديمة يفتش عن موروثاته الطبية والصحية، وفي طليعتها استخدام النباتات في الطب بدل الكيماء، خاصة وأنه في أوائل القرن العشرين أدخل العديد من الخلطات العشبية دساتير الأدوية. وبدأنا نلاحظ تصنيع عدد كبير من النباتات كدواء نباتي بديل عن الكيماء، ومازالت الأبحاث النباتية والطب العشبي في أول الطريق على الرغم من قدم التعامل معها وحدثتهما، وعلى الرغم من الاتجاه الحديث نحوهما اتجاهاً سريرياً ومخبرياً لعل المستقبل أن يجد فيها ضالته بعيداً

عن الكيمياء. فقد افتتح العديد من الجامعات والكليات الطبية في جميع أنحاء العالم لتدريس (طب الأعشاب) تدريساً أكاديمياً كفرع رئيس من فروع الطب الأكاديمي، والطب البديل معاً. كما بدأ العديد من شركات الدواء الغربية والعربية، بطرح النباتات الطبية كالثوم المجفف "*Allium sativa*" لمعالجة نقص التروية، ونبات الشيح "*Absinthum v.*" لمعالجة داء السكر، ونبات المدرة "*Galega*" أيضاً لمعالجة داء السكر، والأخيليا الألفية "*Melfoil*" لمعالجة قرحات المعدة النازفة، وعصا الذهب "*Solidago*" لمعالجة إنتانات مسالك البول والحصى البولية، وعصير الملفوف ورشيمه "*Brassica ol.*" لمعالجة تقرحات جهاز الهضم وداء السكر، وزهرة الربيع "*Primula v.*" كمادة مقشعة وملينة للقشع، والكرفس "*Apium*" لمعالجة أمراض المفاصل الرثوية بالعامه، والحلبة "*Fenugreek*" كخافض لسكر الدم والكولسترول، وحشيشة القلب "*Hypericum*" لمعالجة الحالات المتوسطة من الكآبة، وجراب الراعي "*Burnet*" كمفتت لحصى البول، و جذر النخيل "*Agrapyron*" في فشل الكلية متوسط الشدة، وأوراق الدبق "*Viscum al.*" كمرقئ للنزوف ومثبط لنمو الأورام السرطانية، ولحاء الحور "*Populus*" كمضاد رثوي، ومعالجة للبواسير، والكنبث "*Horse Tail*" كمفتت لحصى البول ومضاد لترقق العظام، والسنا "*Cassia*" كمادة مسهلة، والراوند "*Rheum*" كمدر بولي صفراوي ومخفف للبدانة، والبسلة "*Psyllium*" كملين مضاد للإمساك، ورجل الأسد "*Alchemilla V.*" كمنظم طمثي وخافض لسكر الدم، والأقحوان "*Calendula*" كمثبط لبعض أنواع سرطانات الدم، وغير هذا الكثير.....

: Treatments with Vinegar المعالجة بالخل

• يتركب الخل (وهو مستخلص عشبي)، من الماء و حمض الخل، و أملاح معدنية (الحديد، الكالسيوم، الصوديوم، المنغنيز، الفسفور، الكلور، الفلور، البوتاسيوم و غيرها).

• هو علاج عجيب مازال يستعمل منذ أكثر من ألف عام في الطب و الغذاء، يعتقد أن أول من استعمله البابليون. و قد استخدمه هيبقراط طبيباً، و أفاد منه هانيبل في تحطيم الصخور خلال اجتيازه جبال الألب. أما أهم استعمالاته الطبية فكانت خلال الحرب العالمية الأولى في معالجة الجروح.

• يستحصل الخل من العديد من النباتات كالخضار و الحبوب، و لكن أهم و أشهر أنواعه الطبية ما استحصل من التفاح. و يستعمل غذائياً في تحضير السلطات و المخللات و المشهيات.

• آلية تأثيره: مطهر لطيف ضد الجراثيم و الفطور.

- منشط لدورة الدم، منظم للضغط، مضاد لتصلب الشرايين (طارح للشحوم و الكولسترول).

- منقّ للدم، مضاد أكسدة، داعم مناعي.

• أهم استطبائاته:

- استنشاقاً و مضمضة في أمراض الجيوب و الفم.

- فطور القدم مع الحناء و الشبّ - "Alum".

- الحساسيات بالعامّة.

- التقرحات الجلدية التآليل، الدوالي.

- عوارض الشيخوخة و التعب العام (مع العسل، و قد سمي قديماً بالسكنجبل).

- البدانة: عن طريق الفم، و خارجياً بذلك البطن و المناطق المتشحمة به.

- الفواق و الإقياء (مع الكمون).

- فوائد عديدة أخرى كالبهاق (مع الكبريت و الملح..)

المعالجة بالتمر (ثمر النخيل) **Phoenix Dactylifera**:

يتكون التمر الناضج من مواد غنية ذات فوائد صحية وطبية أهمها:

- السكريات ٧٠%.
- البروتينات (الحموض الأمينية).
- الشوارد المعدنية (فسفور، كلسيوم، بوتاسيوم، مغنيسيوم، حديد).
- مواد دسمة.
- فيتامينات "A, B₁, B₂".
- ألياف.
- عوامل تحفز النمو عند الأطفال.
- مادة البورون المضادة للروماتيزم.
- هورمون بيتوسين "Pitocine" منشط للمبيض ومقبض للرحم.

وبهذا فهو عالي الطاقة، منق للدم، مرمم، مقوي، منشط للمرضى، معدل لحموضة المعدة، واق من الشيخوخة وتطورات النمو، غذاء جيد للصغار، حكمه حكم العسل تقريباً، بقي من نخر الأسنان وترقق العظام.

إن طلع النخيل بأنواعه، غني أيضاً بالمكونات الطبيعية التي تشبه طلع الأزهار المختلفة، ويستخدم في نفس استخدامات طلع النحل.

II- المعالجة بالغذاء : Nutritional Therapy :

المعالجة بحفز عمليات الأيض وتنقية الدم:

يعتبر العديد من الأطباء، أن أسوء العادات الغذائية، تعتبر في طبيعة أسباب المرض. فقد فرضت علينا الحضارة، عادات غذائية خاطئة نوعاً وكمّاً، مما أدى إلى تراكم تلك الأسوء بتراكم الجذور الحرة "Free Radicals" الناجمة عنها، وبالتالي حدوث المرض.

يمكننا إجمال أهم العادات الغذائية السيئة فيما يلي:

- التخمّة و تشمل الإفراط في تناول الأطعمة و الأشربة، و تنوع الأطعمة في الوقعة الواحدة.
- إدخال الطعام على الطعام، و عدم تنظيم أوقات الطعام.
- الاعتماد على الأغذية الحيوانية، دون النباتية.
- الاعتماد على الأغذية المصنّعة و المعلّبة الجاهزة، و أخطرها السوائل الغازية، و رقائق البطاطا المقلية (الشيبس) التي يُغرى بها الصغار، و العصائر الجاهزة، و الوجبات السريعة "Snacks" و غيرها... مما يسيء حضارتنا اليوم.
- المضافات الطعمية ذات الأهداف العديدة،كهرمونات التسمين التي تضاف إلى الفروج، و الفواكه و الخضار و الأسمدة الكيميائية، و مياه السقي الملوثة و غيرها من الملوثات الخطيرة.

- الإدمان على الكحول و التبغ و غيرهما..
- النُّرْقَزَة العصبية خلال تناول الطعام كروية البرامج المثيرة، أو ما شابه ذلك.

كل هذه الأمور تؤدي إلى اضطرابات الهضم التي تبدأ باضطرابات بسيطة كعسر الهضم و تراكم الغازات المعوية و الإمساك المزمن و غيرها... و تنتهي بأمراض عديدة تعيق عملية الهضم إعاقه كبيرة لا بدّ من علاجها، كقرحات المعدة و الإثني عشر، و التهابات الكولون القرحية أو التشنجية، و سوء الامتصاص "Malabsorption" و زلاق الأطفال "Coeliac" و حالات عديدة أخرى من عدم التحمل الغذائي. و بالطبع، ينجم عن هذه الأمراض العديد من الأمور الأخرى كالبواسير و شقوق الشرج و فقر الدم و الوهن العام.

هذا و إن العديد من التقارير الطبية الحديثة، يؤكد على دور الغذاء في الوقاية أو المعالجة من هذه الأمراض، فقد ظهرت مؤخراً دراسة تعتبر الأولى من نوعها في تأكيد هذا الدور، أجراها مختصون في البحث الطبي في جامعة سانت أندروز الأميركية، و استمرت أكثر من سنتين، أكدت على أن تناول الاستروجينات النباتية التي تتواجد بكثرة في بعض النباتات، كحليب الصويا و الزبيب و خبز النخالة... يقلل من مخاطر الإصابة بسرطان الثدي، و يساعد في الحد من تطوره حين الإصابة. و أظهر بحث طبي جديد نشر في مجلة (الوبائيات-Epidemiology) الأميركية أن النساء اللواتي يكثرن من تناول البروتينات النباتية، تقل إصابتهن بحصى المرارة. و قد أيد هذا البحث أيضاً

تقرير صدر عن جامعة هارفارد، بعد دراسة بيانات لـ ١٢١ ألف امرأة على مدى ٢٠ عاماً، اخضعت ٧٨٣١ منهن لعمليات استئصال المرارة، تبين منه أن زيادة استهلاك البروتينات النباتية يقلل من الحاجة لاستئصال المرارة جراحياً.

و أكدت دراسة أمريكية جديدة صحة المعلومات القديمة حول فائدة الجزر و التفاح، و ذلك من تحليل بيانات ٧٧٥٦٢ امرأة و ٤٠٨٦٦ رجلاً تجاوزت أعمارهم ٥٠ عاماً، و على مدى ١٢-١٨ عاماً على أن الذين يتناولون الفواكه ثلاث مرات أو أكثر يومياً، كانوا أقل إصابة باعتلال اللطخة الصفراء العينية "Occular" في الشبكية بنسبة ٣٦%.

و في أكبر دراسة عالمية من نوعها تجري الآن في سنغافورة حول تأثير الغذاء في السرطان و العلاقة بينهما، تبين منها أن واحداً من كل (١٠) عشرة صينيين يملك نسخة من الجين "Cox-2" المسؤول عن تحويل بعض الحموض الدسمة الموجودة في الطعام، إلى مواد مسببة للسرطان و بخاصة سرطان الكولون و الأمعاء عند الذين يكثرون من تناول المأكولات الدسمة. كما تبين أن تناول السلطات مع زيت الزيتون أو غيره من الدهون ينشط امتصاص مادة لايكوبين "Lycopene" المتوفرة في البندورة، و مادة بيتاكاروتين المتوفرة في الخضراوات الملونة، و التي ثبت فعلها ضد السرطان و أمراض القلب، بينما تبين لهم بعد متابعة رجال و نساء بين ١٩-٢٨ عاماً من العمر، أن امتصاص مركبات بيتاكاروتين "Betacarotene" لم يحدث عند الأشخاص الذين تناولوا سلطات السبانخ و الخس و البندورة و غيرها من الخضراوات مع صلصات

خالية من الدهون، بينما كانت أعلى نسبة لامتصاص مركبات اللايكوبين و البيتاكاروتين عند استخدام صلصات دسمة أو قليلة الدسم.

و قد أكد باحثون في المركز الطبي بجامعة دوك الأميركية أن خلائط التوابل المختلفة (فلفل و كمون و طرخون و ريحان و قرفة و نعنغ و غيرها...) تمثل بديلاً جيداً للملح بمذاقها و بفائدتها في الوقاية من ارتفاع ضغط الدم و احتباس السوائل. كما تفيد في روماتيزما المفاصل و الوذمات عامة، و الغازات المعوية. و يُعتبر المردكوش "Origanum" مضاداً قوياً للجراثيم و الالتهاب و الأكسدة و الفيروسات. كما أن البصل يقي من هشاشة العظام، و الثوم يقي من ارتفاع شحوم الدم و الإصابات الفطرية المختلفة و الزكام و السعال و السكري... و أكد خبراء التغذية على أهمية النعناع "Menth" في تنشيط الجسم و التخفيف من التعب و الإرهاق و الحمى و مشاكل المرارة و الصداع و البخر (رائحة الفم غير المرغوبة) و عسر الهضم و هو مضاد للجراثيم و الطفيليات...

و من الدراسات التي ما زالت تُجرى على الشاي، اكتشف علماء في جامعة إريزونا الأميركية أن تناول الشاي بعد إضافة قشر الليمون الحامض، يساعد في التخفيف من سرطان الجلد بنسبة ٧٠%، في حين أن الشاي الأسود وحده قلل هذا الخطر بنسبة ٤٠%.

و أثبتت دراساتهم على الفئران أن للشاي الأسود أو الأخضر، تأثيراً وقائياً هاماً ضد أشعة الشمس فوق البنفسجية، التي تعتبر مسؤولة عن حروق الجلد و مؤهبة لنمو سرطان الجلد.

و أظهرت دراسة طبية حديثة نشرها الباحثون في جامعة إيلينوي الأميركية أجريت على ١٤ من المتقاعدين من الجنود العسكريين، تراوحت أعمارهم بين ٥٣-٧٣ عاماً، و جميعهم مصابون بالسكري بمراحل متقدمة، أن إضافة بروتين الصويا المنكّه بالفانيليا، و المستخلص من حبوب الصويا "Soja= Glycin" قلل كثيراً من نسبة الزلال (البروتين) المنطرح في البول و الناجم عن تأثير الكلى بمرض السكر، إضافة إلى أن ذلك أدى إلى تحسن مستويات الدسم في الدم.

و قد نبهت دراسة علمية إلى أن الكلور الذي يضاف إلى المياه بغرض تعقيمها في محطات المياه يُسبب تصلب الشرايين، و بخاصة في حمامات البخار (ساونا) فالكلور المتصاعد مع بخار الماء يُستنشق بسرعة و الاستنشاق أكثر ضرراً بسبب أن الجسم يمتص الكلور بسرعة. و قد نصحت الدراسة بترك الماء في إناء لمدة ساعة حتى يتطاير الكلور قبل شرب الماء. لذلك فقد أشارت الدراسة إلى أن المطاعم و الملونات و المضافات الطعمية تسبب أكسدة الكولسترول مما يؤدي إلى ترسيبه على جدران الشرايين القلبية و تصلبها و تليف عضلة القلب.

كما أظهرت دراسة يابانية جديدة أن تناول حساء الصويا و الطحالب البحرية الشائع تناولها في المناطق الآسيوية، يساعد على تقليل خطر إصابة النساء بسرطان الثدي. و في دراسة سابقة أظهرت أن تناول الأطعمة الغنية بفول الصويا يُقلل من خطر الإصابة أيضاً من سرطان الثدي، و عزي هذا إلى غنى الصويا بالاستروجينات و الايزوفلافونات النباتية.

كما بينت دراسة بريطانية أن انخفاض مستوى عنصر السيلينيوم "Selenium" في دم السيدات الحوامل المأخوذ من الحبل السري، قد يعرضهن لإنجاب أطفال مصابين بالربو أو الأكزيما الجلدية. و من المعروف أن معدن السيلينيوم عنصر حيوي هام مضاد للأكسدة يوجد في القمح والخضراوات الداكنة كالبروكولي والقرنبيط و الخس و غيرها.

و قد أظهرت دراسات أميركية في جامعة هوبكنز بالتيمور، أن تناول القرنبيط (الزهرة) يومياً أو على الأقل مرتين أسبوعياً، يقي من السرطان و من تنكس الشبكية العينية الذي غالباً ما يحدث بعد الخمسين من العمر، أو بأسباب أخرى على رأسها السكري. و عزوا ذلك إلى مادة (سلفورافين) المتوفرة في القرنبيط. هذا عدا عن أن القرنبيط غني بالكالسيوم و مواد أخرى واقية من أمراض القلب و نقص السائل المنوي.

هذا غيض من فيض من أحدث الدراسات التي تؤكد على دور الغذاء في الوقاية و المعالجة من الأمراض العديدة. و لهذا يعتمد العلاج البديل بالغذاء، على تصحيح أسوء العادات الغذائية بوسائل عديدة، يُمكننا ذكر أهمها فيما يلي:

العلاج بالغذاء الحي (الغضّ) :Fresh Food Therapy:

يعتقد أصحاب هذه الطريقة البديلة، أن الجسد الحيّ، إذا ما اختلّ توازنه الصحي، لا يمكن إعادته إلى الصحة السويّة، بالمواد الميتة، و هي ما عُرض للحرارة و التقطيع و الطبخ و التقليل و غيرها من عمليات كيميائية و فيزيائية، كالأدوية الكيميائية المعروفة و التي نتعامل معها منذ قرنين من الزمن تقريباً.

و لكن الجسم الحي، يُعالَج بمادة حية، تحوي الحياة، و هذه الحياة موجودة في العناصر الحيوية من الغذاء كرشيم الحبوب "Cereal Germs" و الخمائر "Enzymes" و الفيتامينات و العناصر المعدنية... و هي تتلف غالباً و بسرعة بسبب تلك العمليات، فيعود الطعام بعدها ميتاً، لا يحوي سوى المواد الغذائية الأساسية: (مائيات الفحم و الدسم و البروتينات) فحبة القمح الغضة؛ إذا ما زُرعت نبتت، أما إذا سُلِّقَت أو طُبخت، فهي لا تنبت.

إضافة إلى هذا، فإن عمليات الطبخ قد تخلق في الغذاء المطبوخ، مواد مجهولة- جيدة أو سيئة- لا ندري كنهها، على الرغم من تطور تقنياتنا و مخابرنا. و قد تُبدل من القيمة الغذائية فيه.

و قد تبين من الإحصاءات العديدة التي أجريت في البلاد التي يتغذى سكانها بالمواد النباتية دون الحيوانية، أن تناول المواد النباتية الغضة لا يُرهق جهاز الهضم، فهي سريعة التمثل و الامتصاص، منقية للدم، ذات تفاعل قلوي قريب من تفاعل الدم البشري، بينما يكون العكس لدى الإكثار من الأغذية الحيوانية.

و تبين أن معظم الأغذية الغضة، تحتوي على تلك المواد الطبيعية، التي تلعب دوراً هاماً في معالجة العديد من الأمراض و الوقاية منها، كمضادات التأكسد "Anti Oxidants" و مضادات الحيوية "Anti-biotics" و منشطات الكبد و المرارة، و مضادات التسرطن و غيرها. و تُعتبر مضادات التأكسد في طليعة هذه المواد، و هي عبارة عن مجموعة من المواد، تقوم بدور حيوي هام في إتلاف الجذور الحرة الممرضة، و إعادة حيوية الخلايا و وقايتها من

الشيخوخة المبكرة، و من الأمراض المزمنة و المستعصية كالسرطانات و غيرها مما مرّ ذكره. و تتواجد هذه المواد في العديد من الأغذية لكن تركيزها في الأطعمة الغضة أكبر، وبخاصة في الحمضيات و الملفوف و البازلاء.

أهم هذه المواد بيتاكاروتين "Beta carotene" المتوفر في الخضار ذات اللون الأصفر و الأخضر كالجزر و القرع و السبانخ، و الفيتامين A المتوفر في البيض و الحليب و الكبد و الجزر، و الفيتامين C المتوفر في الحمضيات و التوت و الفليفلة و البندورة، و الفيتامين E المتوفر في الزيوت النباتية و الخضار ذات الأوراق الخضراء و المكسرات، و مجموعة الفيتامينات B "B.Complex" المتوفرة في اللحوم بأنواعها، و الخضار و الخبز الكامل، و البروتينات الطبيعية كالحمض الأميني غلوتاثيون "Glutathione" الذي يدخل البدن عن طريق الطعام. و بعض العناصر المعدنية كالزنك "Zinc" و السيلينيوم، و الشاي الأخضر و العسل و الثوم و غيرها... هذه أمثلة منها، حيث إن هناك العديد منها.

و هذا ما اعتمده الأطباء القدامى من مسلمين و يونان و صينيين و هنود، حيث كان المصدر الرئيس لأدويتهم، النباتات الغضة و اللحوم و الألبان الغضة. كما أن هذا أيضاً ما كَشَفَ الطب في أوائل القرن العشرين الفانت، من حالات العوز الغذائي: كالبيلاغرا "pellagra" الناجمة عن نقص الفيتامين "P.P" و داء الحَفَر أو الأسقربوط "Scurvy" و الكُساح أو الخَرَع "Rickets" الناجم عن عوز الفيتامين "D".

و هناك أسوء التغذية الناجمة عن تناول العديد من الأغذية و الأشربة
المعلّبة كالمياه الغازية و المعلبات و الأغذية المحفوظة.. فقد علّم مؤخراً أن
ما تحتويه على مواد منكهة و حافظة و ملوثة و غيرها... تسبب أضراراً
فادحة مع الزمن و بخاصة عند الصغار، إضافة إلى ما ينجم عن تناولها من
حساسيات هضمية "Digestive Allergies".

لهذا تعتبر الحمية على الغذاء الغضّ الحيّ، وسيلة فعالة من وسائل العلاج
البديل، فهي تزوّد البدن بعناصر النشاط و الحيوية، و تحثّه على إطلاق
مدخرات الطاقة المتراكمة من شحوم و مائيات فحم، بفضل فعلها المضاد
للأكسدة، و تنقي الدم من الرواسب الغذائية الضارة، التي تراكمت مع الزمن،
فتخلص البدن من البدانة و السموم المزمنة، و ترفع طاقته المناعية.

يُستطب العلاج بالغذاء الحيّ في حالات مرضية عديدة، يمكننا إجمالها
فيما يلي:

- ١-الحالات الانثانية الجرثومية و الفطرية و الفيروسية المعنّدة على الكيمياء.
- ٢-أمراض الكبد و المرارة و الكلى (مُنَقُّ للدم).
- ٣-الآلام الرئوية بالعامّة (روماتيزم و نظيره).
- ٤-الحالات الأرجية (التحسسية) بالعامّة.
- ٥-الإمساك و الإسهال و الاضطرابات المعوية، و ما ينجم عنها من بواسير
و شقوق الشرج، و أسوء الامتصاص الهضمي، و التقرحات المعدية
و الكولونية و المعوية و الفموية.
- ٦-أمراض تخثر الدم و ما تسببه من حالات.

٧- السرطانات بالعامية.

٨- حالات انخفاض و ارتفاع ضغط الدم.

٩- البدانة و السكري و النقرس و ارتفاع نسبة شحوم الدم.

١٠- حالات أخرى عديدة، و أهمها النرفزة و حالات الضغط النفسي و الكآبة...

أهم الأغذية الغضة التي تستعمل في هذه الطريقة البديلة هي:

١- الفواكه و الخضار الغضة، غير المعدلة جينياً، و غير المعلبة "non conserved" و غير البلاستيكية حيث تستعمل غضة كما هي أو يستعمل عصيرها الطازج دون إضافة أي مادة حافظة أو منكهة أو ملونة.

٢- الحبوب المستتبّة (المبرعمة) و في طليعتها القمح المستتبّ و الشعير و الحُصّ و العدس.

٣- نخالة الحبوب بالعامية و في طليعتها نخالة القمح و الأرزّ و القطناء "Psyllium".

٤- رشيم الحبوب "Cereals Germ".

٥- منتجات خلية النحل، و في طليعتها العسل و غبار الطلع، و الغذاء الملكي، و العكبر، و الشمع، و سمّ النحل.

٦- عصائر بعض الأعشاب الغضة، كعصير عشبة القمح الغضة. فهي غنية بالكوروفيل (اليخضور) و الحديد و المغنيزيوم.

٧- الأعشاب الغضة كالبقدونس و الفجل و الخس و البندورة و النعنع و الميرمية و البابونج و الهندباء و الخبيزة و القرصعان..

٨- أعشاب البحر.

٩-الزيوت النباتية كزيت الزيتون و الذرة و بذور العنب و السمسم و بذور القرع و بذور الرمان... و الزيوت الحيوانية كزيت كبد الحوت (زيت السمك).

١٠-الخلّ "Vinegar" فهو مطهر لطيف و منقّ للدم و منشط للدورة الدموية منظم للضغط، و طارح للشحوم، و حافز للمناعة. كما أنه علاج موضعي جيد خافض للحرارة، مضاد للعديد من الحساسيات، مضاد للدوالي و التقرحات و قد مر معنا تفصيله آنفاً. و قد عمدت الصناعات الغذائية لتحضير هذه المواد الطبيعية، بشكل فنيّ و علمي، دون إضافة أية مادة كيميائية، بُغية الإفادة منها في الاستعمال الطبي و الصحي، و ألحقتها بزمرة المكملات الغذائية "Nutritional Complement".

١١-التمر. و قد مر معنا آنفاً.

١٢-ألبان النوق: وهي غنية بجميع عناصر الغذاء تقريباً، مضادة للحساسيات الشمسية، خافضة للضغط، واقية من تصلب الشرايين، تقيد كمضادات أكسدة جيدة و مرمة و منقية للدم في العديد من الحالات.

و قد مرّ معنا من خلال الممارسة الطبية الطويلة، حالاتٌ مستغربة من أسواء التغذية نذكر منها:

المريض ن.ع-٣٥ سنة، يعمل لحاماً (قصاباً)، و يقتصر في غذائه على اللحوم فقط (١-٢ كغ يومياً) دونما أي مادة نباتية. راجعنا ببنية قوية كبنية الرياضيين، مصاباً بزوائد لحمية منتشرة في جميع أنحاء بدنه، و مغطاة بشعر كثيف، كل زائده تبلغ ٠,٥-١,٥ سم تقريباً و بسماكة ٠,٥ سم، شكله العام يشبه الغوريلا

تماماً. أجريت الفحوص المخبرية اللازمة و كانت جميعها ضمن الحدود الطبيعية. شكواه الرئيسية كانت منظره المرعب له و لزوجته و أولاده. بالطبع نصحنه بتبديل أنظمة حياته و بخاصة غذائه باتجاه الفواكه و الخضار الغضة و مضادات الأكسدة، و الابتعاد ما أمكن عن التغذية باللحوم و الإقلال منها.

نظام الماكروبيوتيك Macrobiotic:

هو نظام صيني قديم، اعتمد منذ آلاف السنين، حسب نظم الفلسفة الصينية التي مر معنا ذكرها، و التي تعتمد على تعديل مسارات الطاقة، بتناول الحبوب المستتبنة، و غير المستتبنة، كالمح و الشعير، و تناول النباتات البحرية، كغذاء أساسي للمريض بعد دراسته دراسة شاملة، لمعرفة ما يناسبه من هذه الأطعمة التي صنفت حسب النظرية الصينية، في صنفين: أغذية سلبية و أغذية موجبة.

المعالجة بالحمية –Diet Therapy:

تشمل الحمية معانٍ واسعة و طرقاً مختلفة، حسب البيئة و تشخيص المرض و شخصية المريض. فهي تختلف من بلد لآخر و من طقس لآخر و من مريض لآخر و من مَرَض لآخر.

و قد تكون الحمية وقائية أو علاجية، مُوقَّتة أو دائمة. و سنستعرض هنا أهم الحميات الطبية بشكل موجز، لافتين النظر إلى أن هذه النظم من الحميات، تتبدل من آن لآخر، و هي ليست دقيقة، و ينجم تعديلها عن تبدل النظريات الطبية، و تطور المكتشفات العلمية. لهذا يبقى للطبيب المعالج، القولُ الفصل في تحديد نوعية الحمية و نظامها عند المريض.

الحمية المعدية:

تستطب في قرحة المعدة و الفتوق المعدية (الحجابية) و التهاب المعدة المزمن، و حالات تهيج الأغشية المخاطية الهضمية بأسباب مختلفة أهمها التسممات الغذائية و أسواء الهضم.

يوضع فيها المريض على السوائل كالحليب و عصير الفواكه و الخضار المسلوقة، و خبز النخالة، و قليل من الزبدة أو ما يشبهها، لمدة أسبوعين يتناول خلالها ٤-٥ وقعات خفيفة يومياً.

الحمية الكبدية:

تستطب في قصورات المرارة و حصياتها، و قصور الكبد و اليرقانات الانتانية (التهاب الكبد الفيروسي). و هي حمية خالية من الدهون حيث يبقى المريض خلال أسبوعين على ٤-٥ وقعات خفيفة أيضاً، يتناول خلالها عصير الفواكه الغضة مع العسل، و اللحم الأبيض (السلك و الدجاج)، و السوائل المختلفة غير الدسمة كالحساء و ماشابه.

الحمية الكلوية:

تستطب في التهاب مسالك البول، و التهابات البروستات، و الضعف الجنسي. و هي حمية خالية من الملح و المخدرات كالأفاويه و البهارات، و قليلة البروتين. أفضل الأغذية فيها الفواكه و الخضار و مناقيع أعشاب النجيل "Elymus" و ذنب الخيل (الكنبث *Equisetum ar.*) و جراب الراعي "Pimpinella Sax" و البطباط (عصا الراعي - *Polygonium*).

الحمية المنخفضة:

تستطب في عسر الهضم و البدانة و حب الشباب و الإمساك المزمن. و تستمر لعدة أشهر بغاية إذابة الشحوم و طرحها مع سبل الإطراح (البراز، البول، و العرق..). أفضل الأغذية فيها عصائر الفواكه الغضة أو سلطات الفواكه و الخضار الغضة، و الماء القراح، و مناقيع بعض الأعشاب كالراوند "Rheum" و رجل الأسد "Alchemilla" و الفوقس الطحلي "Fucus". و قد ظهرت مؤخراً نظمٌ عديدة من هذه الحميات، حيث أصبحت البدانة شائعة ضمن أمراض العصر.

الحمية المعوية الكولونية:

تستطب في تهيجات الأمعاء و اضطرابات الهضم، كما في حالات الإسهال و الإمساك و التسممات الغذائية، و أسوء الامتصاص و التهابات الكولون القرحية و التشنجية، و رثيات المفاصل المختلفة.

أفضل الأغذية فيها عصائر الفواكه و الخضار و بخاصة عصير الملفوف (الكرنب - Brassica off.) و الثوم و البصل، و الماء القراح و منقوع البابونج و السكنجبيل (خل + ماء + عسل).
نظامها ٤-٥ وقعات يومياً، مدتها ٢-٤ أسابيع.

الحمية المرممة المعوية:

تستطب في حالات النقاها من الأمراض المنهكة، و في الضعف العام و ضعف النمو و الضعف الجنسي، و ما شابه من الحالات. و تهدف إلى

استعادة الجسم لنظام مناعته و قواه الطبيعية، و تنقيته من آثار الملوثات المختلفة و بصورة خاصة الأدوية الكيميائية.

أفضل الأغذية المستخدمة فيها السوائل و عصائر الفواكه و الخضار و بعض الأعشاب كالتوت "Morus" و الشوفان "Oat" و الأخيليا (الألفية Milfoil) و الزعتر البري "Thyme" و القصوان (الميرمية - Sage) و التتوب "Abies" و العسل و الغذاء الملكي و طلع النحل.

الحمية السكرية أو الاعتدائية:

تستطب في داء السكر و ارتفاع شحوم الدم و الكولسترول و البدانة. و هي حمية تستبعد مائيات الفحم كالسكر الأبيض و الدهون المشبعة و كالسمن و الزبدة و الدهون عامة، و تعتمد نخالة الحبوب و الزيوت النباتية و عصائر بعض الخضار كالمفوف و قشور الفاصولياء، و مناقيع أو مغليات بعض الأعشاب كالقرفة "Cinnamom" و المدرة "Galega" و العريانة "Gymnema" و الجعدة "Teucrium".

الحمية على مناقيع الأعشاب:

هو في الحقيقة نظام روسي الأصل، أسسه فيتالي فاسيليفيتش كارافايف في الربع الأخير من القرن الفائت، وهو عالم كيمياء، تمرد على المعالجات الكيميائية المتبعة في الطب و الطب البيطري، وسخر منها، ووضع أسساً ثابتة لنظام التخلص من السموم و تنقية الدم، تشمل تصحيح أنظمة التغذية و التنفس و التوازن النفسي، وقد تابع تلامذته العمل بعده، و توصلوا إلى منقوع عشبي

يتضمن حوالي خمسة وعشرين عشباً طبيّاً منها البابونج والصنوبر والمردكوش والميرمية وحشيشة القلب والصعتر البري والنعنع و..... استخدم عن طريق الداخل والخارج عند الأبقار في التهابات الضرع،. المعروفة بخطرهما لدى الأطباء البيطريين، وكانت النتائج مذهشة في فعالية هذا المنقوع الذي أعطي اسم "Viva-Tone"، في العديد من الأمراض، قبل تجربته على البشر، وحصل على براءة اختراع عام ١٩٨٨ من قبل العديد من المؤسسات الرسمية الروسية، وقد بلغت نسبة الشفاء به ٩٩% من النجاح عند الحيوانات، بفضل ميزاته العظيمة كمضاد للالتهاب، ومسكن للألم، وداعم للوظائف الدفاعية في البدن الحي، ومنقّ للدم من السموم والرواسب المرضية. ثم انتقل استعماله إلى البشر بنجاح تام وعدم وجود أضرار جانبية سيئة.

يُتبع هذا النظام اليوم في جميع أنحاء أوروبا في المصحات والمشافي والمنازل، للتخلص من السموم وضعف المناعة الناجمين عن التلوث الحضاري بجميع أشكاله، ولمعالجة أمراض العصر التي مرّ ذكرها، كما يُتبع وقايةً من حدوث هذه الأمراض.

المعالجة بالصوم : Fasting Therapy

أصبح الصوم الطبي في أيامنا، نظاماً هاماً من نظم الطب البديل. و طريقة مُتَّبَعَةٌ في دور الاستشفاء الغربية، لشفاء العديد من الأمراض وإطلاق المدخرات الغذائية الفائضة كالشحوم المعقدة و الغليكوجين. و أهم ما يستخدم فيه الصوم الطبي من الأمراض: البدانة و السكري و ارتفاع شحوم و كولسترول الدم و النقرس، و أمراض الأَرَجِيَّات بالعامّة، و أمراض الجلد

كحب الشباب و البثور و الاكزيما و الصدف و اضطرابات الدوران القلبي (نقص التروية و ارتفاع الضغط و تصلب الشرايين و الاحتشاء و البواسير و الدوالي و سن اليأس) و أمراض جهاز التنفس كالربو و التهابات طرق التنفس العليا المزمنة و الاضطرابات العصبية المختلفة (كالنرفزة Stress) و الصداع و الشقيقة، و الأرق و عرق الأنسر...) و القرحات الهضمية و الكولونية، و قصورات الكبد و الكلى و غيرها...و لكن تعتبر بعض الأمراض العقلية و النفسية، و الأمراض المُدنية: (كالسل و السرطان و داء السكر في مراحل متقدمة و فرط نشاط الدرق...) و حصيات جهاز البول، و الهزال و قصور القلب و قصور الكلية المزمن و المرضى الذين يتناولون المدرات، مضادات استطباب للصوم الطبي.

يخضع المريض من أجل الصوم الطبي، إلى إجراء فحوصات طبية شاملة قبل الصيام، و يمنع من تناول التبغ و الكحول و المنبهات المزاجية كالقهوة و الشاي.. كما يمنع من ممارسة الرياضات العنيفة،و عن المثيرات العصبية كمشاهدة التلفاز و المسلسلات المثيرة و قيادة الآليات و غيرها... و بكلمة موجزة لابد له من راحة جسدية و فكرية تامة خلال فترة الصيام، و التي تعتبر إجازة نقية نظيفة تخلصه من الملوثات التي علقت به خلال فترة حياته السابقة، فتجدد له نشاط الخلايا، و تحفز عمل جهاز المناعة لديه.

ولابد أن نذكر أن كافة الأديان و المذاهب، قد حضت على الصوم و فرضته، و إن اختلفت كفياته.

كذلك فإن العديد من الحيوانات كسمك السلمون و الأوز و الففمة و الصيصان و الثعابين و الكلاب و بعض حيوانات الدم البارد، تصوم في فترات خاصة بكل منها فتفقد الكثير من وزنها.

مبدأ الصوم الطبي هو الامتناع عن الطعام عدا الماء، حتى تُتاح الفرصة للبدن كي يستهلك مدخراته، و بالطبع لا يجوز الاستمرار طويلاً بالصوم دون استشارة طبيب خبير، حيث إن البدن الصائم يبدأ باستهلاك المدخرات الشحمية و السكرية أولاً، و هنا يلزم التوقف، و إلا بدأ باستهلاك البروتينية. و كما ذكرنا، تختلف فترة الصوم الطبي حسب وزن المريض و طبيعة عمله (فكري أو جسدي). هذا و بعد خسارة ٢٥-٥٠% من الوزن يبدأ المريض بالشعور بالتعب العام و الوهن و البرد و الاضطرابات النفسية و هي جميعها علامات جانبية، تشير إلى ضرورة إيقاف الصوم.

تتراوح مدة الصوم الوسطية بين ١٥-٣٠ يوماً. و يمكن الاستمرار حتى ثلاثة أشهر تقريباً دون طعام.

يوقف الصوم لدى الشعور بالجوع الشديد و عودة الشهية للطعام، و ظهور نظافة اللسان و رائحة الفم الطبيعية، و بريق العين الطبيعي، و صفاء البول.

تنظيف الكولون بالماء Colonic Hydro Therapy : (أو إرواء الكولون أو سقي الكولون)

تتم هذه العملية باستخدام جهاز بسيط (هو جهاز غسل الكولون و قد حصل مؤخراً على ترخيص FDA و يستعمل في أغلب المراكز الطبية في

العالم.) أو تتم بواسطة حقن شرجية، لتفريغ الكولون من الفضلات و السموم و الرواسب المتراكمة، و غسله جيداً بالماء، حيث يعتبر الكولون مستودعاً لتجمع السموم و الجراثيم و الرواسب المؤذية بسبب غلظ بطانته و جدرانه، مما يؤدي على المدى البعيد كما ذكرنا سابقاً إلى ظهور العديد من الأمراض كالإمساك المزمن و أمراض الكولون و أسوء الهضم و الأكزيما و التعب العام و الصدف و حب الشباب و الصداع و هبوط المناعة و الزهايمر و غيرها...و يعتمد الممارسون من أطباء الطب البديل، هذه الطريقة كخطوة أولى ضرورية لعلاج هذه الأمراض. و يُعتقد أن سيكون لهذه الطريقة مستقبلاً باهراً في الطب الشمولي لا يعدله تقنية أخرى. و قد تستعمل فيها مناقيع بعض الأعشاب (قشور الفاصولياء، البابونج، الالهيلج...) بديلاً عن الماء الصرّف. كما قد تستعمل بعض المواد المسهلة النباتية، أو بعض الزيوت، و ذلك من خلال تقنية بسيطة بحقنة شرجية تُدخل الماء الدافئ و المُنقى إلى الأمعاء الغليظة، بعد تحضير بسيط قبل يوم أو يومين من هذه العملية نعتد حمية غذائية خفيفة غالباً و تشمل الاعتماد على الفواكه و الأعشاب و العصائر الطبيعية. تدوم جلسة تنظيف الكولون من ٤٥-٦٠ دقيقة، يشعر المريض بعدها بالراحة العامة و ليونة البطن، و بعد أيام منها قد ينقص وزنه من ٢-٣ كغ، و يختلف عدد الجلسات اللازمة بين مريض و آخر.

III- المعالجة بالمنعكسات Reflexology

و حفز الطاقة Reki بالإبر الصينية:

عرف هذا النوع من العلاج منذ ٥٠٠٠ سنة عند ملوك الصين والفراعنة وكان محرماً على الشعب. ثم انتشر في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٣م على يد جراح الأنف والأذن والحنجرة (فيتزر جيرالد). ثم عم دول أوروبا والعالم وبخاصة بريطانيا حيث مارسه العائلة المالكة وبخاصة الأميرة ديانا (١٩٨٤م) والأمير تشارلز والملكة الأم فعرف بـ (طب الملوك). وبعدها انتشر إلى بقية أنحاء العالم. وقد ثبت علمياً أنه من خلال جلسات المعالجة بالمنعكسات (٣ جلسات أسبوعياً كل منها تستغرق ٣٥ - ٤٥ دقيقة) تزداد كمية الأوكسجين في الدم وتتحسن التروية الدموية في أجهزة الإطراح. وهو يعتمد على حفز الطاقة وترميمها حين يختل التوازن فيها. والطاقة هي المادة اللطيفة الدقيقة الكهرومغناطيسية التي تبعث الحياة في البدن وقد عرفها الفراعنة القدامى عبر تعاليم هرمس العظيم، ودَعَوْها (ألكا) وعرفها الصينيون ودَعَوْها تشي "CHI"، وسماها السيد المسيح (النور)، ولعلها هي الروح حسب التعريف الإسلامي. وتسميها الأبحاث الروسية بالبلازما الحيوية "Bioplasma"، ويدعوها الهنود وممارسو اليوغا منهم برانا "Prana" وسماها باراسليزوس مونيا "Munia" ودعاها أبقراط طاقة الحياة "Life Force". ويعتقد الصينيون أن لهذه الطاقة نقاطاً محددة على سطح الجلد، يمكن حفزها وإثارتها عن طريق التدليك بالأصابع "Acupressure" أو الوخز بالإبر "Acupuncture" أو الضغط أو التدفئة أو التبريد أو ببعض الوسائل الفيزيائية كتيار هواء متأين

أو رقائق معدنية أو كرات خشبية أو الليزر أو الأشعة فوق البنفسجية أو بالمغناطيس، ومن هذه النقاط تنطلق الطاقة عبر مسارات (ميريديان Meridians) غير مرئية حيث تسبح عبرها لتشحن كل خلية كما تسبح الطاقة الكهربائية ضمن الأسلاك. يوجد في البدن خمسة حقول للطاقة "Zones" على الجانب الأيمن وخمسة على الجانب الأيسر للخط الواصل من الرأس إلى العانة إلى الأسفل والذي يقسم الجسم إلى شقين أيمن وأيسر.

أما منافذ الطاقة (بواباتها) فهي سبعة من الأمام يقابلها سبعة من الخلف:

١- اليافوخ: وعلاقته مع العالم الروحي.

٢- العين الثالثة: عند جذر الأنف وعلاقتها بالوعي.

٣- الحنجرة: وعلاقتها مع الخارج.

٤- القلب: وعلاقته بالعواطف والإحساس.

٥- السرة: وعلاقتها بالمادية الحياتية.

٦- العجز: وعلاقته بالنشاط الجنسي والتناسل.

٧- الجذر (السيقان): وعلاقتها بالنشاط الحركي.

هذه الخطوط غير مرئية كما أسلفنا، ولا تُدرّس في علم التشريح، فهي كالموسيقى والكهرباء والجاذبية والحقول الكهرومغناطيسية الموجودة حولنا. ليس للتطبيب بالمنعكسات، أية أضرار جانبية حسبما تذكر جميع المصادر، وحسبما يؤكد ممارسوه.

وقد دُعيت هذه الطرق بالمعالجة الناحية (نسبة إلى ناحية أو منطقة أو بقعة) "Zonetherapy" وتدعى في اليابان بالتمسيد الناحي "Shiatsu"

"Massage". وأكثر المناطق البدنية استخداماً في طب المنعكسات هو أخمص القدم حتى أصبح طب المنعكسات مرتبطاً تقريباً بتدليك أخمص القدم.

لتدليك القدم الانعكاسي استطبابات عدة أهمها السيطرة على الضغط الدموي المرتفع وعلى سكر الدم والصداع والشقيقة، وحفز النشاط الجنسي عند الذكور وروماتيزم المفاصل والخلل الهورموني أياً كان سببه، وعسرات الطمث "Dysmenorrheas" والأرق وآلام الظهر وعسر الهضم والبدانة...

العلاج المغناطيسي أو المعالجة باللمس "Magnetic Therapy" (أو المعالجة بالمغنطة):

مبدأ المعالجة باللمس، هو امتلاك بعض الناس لطاقة كهرومغناطيسية عالية في أجسادهم. تعتبر هذه الطاقة واحدة من الظواهر الخارقة التي تظهر على يد بعض أفراد البشر كالتخاطر "Thelepathy" و هو إمكانية التخاطب عن بعد، والاستشفاف "Clairvoyance" أو الرؤية من وراء الحجب، و حدة السمع، حيث يسمع البعض أصواتاً خفيفة جداً لا يسمعونها غيرهم من البشر، و حدة الرؤية حيث يمتلك البعض قدرة على رؤية البعيد لا يمتلكها غيرهم.

و قد عمّد العديد من البلدان منذ مطلع القرن الفائت، لافتتاح معاهد و مراكز، لتدريب مثل هؤلاء الناس، و استغلال طاقاتهم هذه، عسكرياً و اجتماعياً و طبياً... و تنشر المجلات و الدوريات من آن لآخر قصصاً و نوادر خارقة عن هؤلاء، لا يمكن إخضاعها لعلومنا الحالية و تفسير ظواهرها حتى الآن. من المعاهد المشهورة معهد "جون دافيد كشيغل" في روسيا

الذي يقوم بتدريب هؤلاء خلال سنوات خمس، للتمكن من استخدام طاقاتهم بالعلاج الكهرومغناطيسي أو العلاج باللمس، الذي يهدف إلى إعادة توازن الطاقة إلى الحالة السوية، عن طريق استخدام الأيدي أو المغناطيس العلاجي أو شرب الماء الممغنط أو المعالجة الكنتية Quantum دونما حاجة لأي دواء أو جهاز. يعتقد البعض أن هذه الطاقة إنْ هي إلا الحاسة السادسة.

تتم طريقة المعالجة من خلال جلسات عدة حسب الحالة، تستغرق كل منها ٥-٥ دقائق، يقوم المعالج فيها بمسّ المريض بلطف لا يشبه التدليك أو الضغط، في المناطق والأعضاء المريضة بغية تعديل الطاقة المريضة، بطاقة المعالج العالية.

تفيد هذه المعالجات في الألم بشكل عام وبخاصة ألم الرقبة والظهر والصداع والشقيقة والمفاصل والقوة الوجهية، كما تفيد في معالجة الحساسيات وفي تسريع التئام الجروح، وفي حصى الكلى والتهابات الدماغ الفيروسية، ومشاكل الأذن الداخلية (الدوار الدهليزي)، وأمراض نقص المناعة الذاتية، وأمراض الغدة الدرقية، والبواسير والغلوكوما، وآلام الأسنان والأكزما والربو، ومشاكل الضغط.

يُعتقد في الطب المغناطيسي أن البدن الإنساني هو عبارة عن جهاز كهرومغناطيسي، تتحرك فيه تيارات كهرومغناطيسية بنفس الطريقة التي تتحرك بها التيارات الكهربائية ضمن الأسلاك.

كُشف مؤخراً أن خلايا البدن تمتلك أقطاباً مغناطيسية في مكونات حموضها النووية "DNA"، كما كشف أن المجالات المغناطيسية المختلفة، لها قدرة على

إثارة و تنشيط هذه الحموض. و كشف أيضاً أن طاقة الإنسان الحيوية الطبيعية، تأتي من مصدرين رئيسين الأول و يُقدر بـ ٧٠% من عمليات الأيض و الثاني هو المجالات المغناطيسية لكوكب الأرض و تبلغ ٣٠%، حيث تُعتبر الأرض مغناطيساً كبيراً يمد الكائنات الحية بالطاقة المغناطيسية و له قطب شمالي يقع شمال القارة الأمريكية، و قطب جنوبي يقع جنوب استراليا.

و يعتبر الإنسان و غيره من الكائنات الحية مغناطيساً آخر أصغر، له قطب شمالي هو الرأس و قطب جنوبي هو القدمان إذا ما كان بوضع عامودي، أما في الوضع الإفقي فالجهة اليمنى للجسم هي القطب الشمالي، و اليسرى هي الجنوبي، كما تعتبر الجهة الأمامية قطباً شمالياً، و الخلفية قطباً جنوبياً. و تخضع هذه الاتجاهات لقوانين المغنطة، فإذا نام الإنسان و رأسه إلى الشمال و قدماه إلى الجنوب، فإنه ينام براحة تامة دونما أرق، حيث يحقق التوازن الطبيعي كما تحققه البوصلة تماماً، و ذلك بفضل السريان الطبيعي للطاقة المغناطيسية بين قطبي الأرض. و قد فسر البعض هذا بتأثر الحديد الموجود في خضاب الدم، بتلك المغناطيسية، و نقل الطاقة بواسطته إلى جميع خلايا البدن.

و لهذا يعتبر العلاج المغناطيسي محفزاً لعمل جميع خلايا البدن، و يفيد في معالجة جميع الأمراض تقريباً. و قد أفيد منه كثيراً في الطب البيطري حيث وجد أن معالجة الدواجن بواسطة الماء الممغنط يزيد من جودة البيض و يقلل من النفقات (الوفيات). و كذلك الأسماك و الخيول و غيرها من الحيوانات.

و قد كشفت هذه المعلومات عام ١٩٦٠ نتيجة تدهور صحة رواد الفضاء الذين كانوا يمتثلون لفترات طويلة خارج نطاق المجالات المغناطيسية للأرض،

حيث تمكن العلماء من حل المشكلة بتزويد المركبات الفضائية بمثبات مغناطيسية خاصة داخل المركبة، مما ساعد في سرعة تأقلم الرواد صحياً بعد عودتهم إلى الأرض.

و قد أثبتت آخر الدراسات الطبية، أن جلسات العلاج المغناطيسي تعمل على حفز التفاعلات الخلوية الكيميائية الحيوية واحدة تلو الأخرى كإثارة الاقرازات الهرمونية و الخمائرية، و هو ما عرف بالتفاعلات السلسلية أو الشلالية "Cascade Reactions" و هي تشمل عدداً من التأثيرات الهامة للمغطة كالتأثير الحراري و زيادة التروية الدموية و زيادة السعة الأوكسجينية للدم، و تنشيط الجهاز العصبي المركزي "CNS" و حفز إفراز المسكنات الطبيعية و تعديل حموضة الأخلط البدنية... و على هذا يؤكد الدكتور روبرت يونغ على فعلها المضاد للجذور الحرة، و على عملها المرمم و الشافي للعديد من الإصابات المزمنة و المستعصية على طبنا الحالي مما مر ذكره.

و يؤكد د. ناكاجوا من اليابان بأن إي إنسان يعاني من متلازمة نقص المغناطيسية "Magnetic Deficiency Syndrome" بسبب تراكم الجذور الحرة الناجم عن التلوث و الضغوط النفسية اليومية. و أن العلاج المغناطيسي يعطيه طاقة وقائية و علاجية و بناءة "Anabolisant" تزيد من مناعته.

و لابد أن نذكر أخيراً أنه ليس للعلاج المغناطيسي أية أعراض جانبية ضارة، و أن عدد الأشخاص الذين يستخدمونه في العالم زاد عن مائة مليون إنسان، منهم حوالي ثلاثون مليوناً في اليابان وحدها، مما يُعتبر اليوم من أفضل وسائل الطب البديل.

IV- المعالجة بالتمسيد والتدليك أو بحفز حيوية الجهاز الحركي:

المعالجة بالتدليك العضلي العميق Rolfining:

دعيت هذه الطريقة من الطب البديل بـ "Rolfining" نسبة إلى الدكتورة (إيدا رولف) جراحة العظام، رائدة هذه الطريقة. حيث استخدمتها في علاج الشلل وإعادة تأهيل العضلات والمفاصل.

مبدأ الطريقة يعتمد على إعادة التروية الدموية والبلغمية للعضلات المشلولة التي أصابها الشلل فأصبحت متصلبة قاسية ومتخشبة بسبب نقص تلك التروية، بعد أن كانت في حالتها الطبيعية لينة طرية سهلة الحركة. يُعتقد من حيث هذا المبدأ أن الشلل ليس في العصب بل في العضلات، ولا توجد عضلة ميتة أو عصب ميت بل يوجد عضلة وعصب انقطعت الدورة الدموية والبلغمية عنهما. فالحياة تجري في عروقنا ولكنها قد تخبو أو تنقطع زمنياً، لأسباب مختلفة، فنبعثها من خلال التمسيد العضلي العميق الذي يحسن التروية وبالتالي يحمل للعضو الأوكسجين الكافي لعمله من جديد وبخاصة في العمود الفقري الذي هو مفتاح تقويم الجسم. هناك نقاط على سطح الجسم تعتبر كبوابات أو أزرار أو مفاتيح يُجرى عليها التمسيد العميق بشكل دائري بعد الضغط القوي بإصبع الطبيب المعالج، فتتفتح هذه البوابات من خلال عدة جلسات وتسري الحياة فيها عبر مسارات مشابهة لمسارات الطاقة الانعكاسية.

أهم استطبابات الطريقة أمراض المفاصل الرثوية وعرق الأنسر واضطرابات الغدد الصماء، والشلل والتكسبات المفصلية.

يمكن إشراك المعالجة بالتمسيد العضلي العميق مع المعالجة بالمنعكسات والرياضة.

المعالجة بالطاقة المركزة أو باستقطاب الطاقة Polarity:

مبدأ الطريقة تنشيط و تعديل الطاقة في الجسم بواسطة اللمس والضغط على مراكز الطاقة، إضافة إلى بعض التمارين التي تؤخذ غالباً من اليوغا. ولا بد لممارسة هذه الطريقة من خبير باليوغا والطب الانعكاسي بالعامّة تشبه هذه الطريقة طريقة المعالجة بالمنعكسات من حيث مبدئها وهو بعث الطاقة بالضغط بالأصابع "Acupuncture". واستطبباتها شبيهة بها.

المعالجة بالمساج الياباني (الشيانزو) Shiatsu massage:

هي عملية تدليك فقط دون استخدام أية أجهزة طبية أو زيوت. تجرى جلساتها والتي تستغرق حوالي الساعة بوضع المريض بأوضاع مختلفة حسب المنطقة التي يُراد تدليكها، فقد يجلس على كرسي حين تدليك الكتفين والعنق، أو ينبطح على بطنه حين تدليك العمود الفقري، أو يستلقي على الظهر لتدليك عضلات الصدر والبطن والساقين.

يتم العمل فيها بالضغط على نقاط ومسارات الطب الصيني التي مر ذكرها، بواسطة الإبهام أو باطن الكف أو الركبة أو المرفق أو القدم، وذلك بضغط شديد وقوي حسب الحاجة دونما حاجة لاستخدام الإبر الصينية. وهي طريقة صينية الأصل ذُكرت في المصادر الصينية منذ ٢٥٠٠ سنة، والبعض يؤكد على أن أصلها يعود إلى التاريخ المصري الفرعوني القديم كما ورد في

بردية (ايبرس). المبدأ فيها إثارة طاقة العضو عن طريق الضغط على النقطة المحددة بخرائط دقيقة وقد أثبتت نجاحها في معالجة بعض الأمراض كاضطرابات الهضم وآلام الظهر واللقوة.

المعالجة بتقويم العظام Osteopathy :

تستخدم هذه الطريقة لتصحيح وضع العظام والمفاصل والأربطة والعضلات والنسج المفصليّة جميعها، وإعادتها إلى الوضع السويّ الطبيعي، من سهولة الحركة وليونتها، ومرونتها والخلّاص من التشنجات والتقلّصات الطارئة.

تجرى هذه المعالجة باليدين، من خلال ممارسات وعمليات تمسيد وتذكّير سطحي أو عميق، وضغط ومحاولات تقويم للمحافظة على الهيكل الأساسي والقوام السليم. وقد أظهرت جميع الدراسات، أن حياة الدّعة والسكون، وعدم ممارسة الرياضة، والبدانة، وحياتنا الحضارية الحالية، وطبيعة المهنة، والعوامل الوراثية والشذوذات البنيويّة، قد أدّت إلى نقص في إفراز مادة (الأندروفين) التي تمنع إشارات الألم من الوصول إلى الدماغ لتحسين المزاج والشعور العام بالصحة والعافية.

تعود هذه الطريقة العلاجية، حسب ما ورد في (الموسوعة الطبية الدولية الشاملة لأوروبا وأمريكا) إلى الجراح الأميركي (أندرو- تيلر ستيل) الذي خدم في الحرب الأهلية الأميركية في أواسط القرن الفائت. فقد أصيب أولاه الثلاثة بذات السحايا الفقرية، وفشلت جميع المعالجات في شفائهم مما دفعه للتشاور

والإحباط من الطب الحالي، وزادت قناعتُهُ هذه، لأسباب عديدة أهمها عجز الأدوية عن شفائهم، وتعذر إجراء الجراحة بسبب عدم توفر التخدير، مما دفعه وبعد تجارب عديدة، إلى اتباع هذه الطريقة اليدوية التي أطلق عليها اسم تقويم العظام "osteopathy" وأصبحت معروفة باسمه، منذ سبعينات القرن الفائت.

مبدأ الطريقة حسب راي د. تيلر ستيل، هو التعامل اليدوي بالتدليك والتحرك والمناورات "Manipulations" للمفاصل وبخاصة مفاصل الفقرات، حيث إن العمود الفقري يحتوي النخاع الشوكي المسيطر على الفعاليات الحيوية للعديد من الأعضاء الحيوية الهامة كالكلب والكلَى والرئتين والقلب والأوعية الدموية وغيرها... هذا التدليك يَحْفَظ جميع دفاعات الجسم الذاتية التي ضعفت بسبب الخلل المرضي. وهذا المبدأ يختلف عن مبدأ الطب العادي الذي يُعالج الاعراض، دون النظر إلى أن الجسم البشري يحتوي بتكوينه عناصر الدفاع والترميم بنفس الوقت. ويعتبر تيلر أن حالة الجهاز الحركي الصحية، تعتبر أهم مؤشّر على حالة البدن بالعمامة. وعلى هذا كان يعتمد على فحص المريض سريريا بواسطة يديه وأصابعه، بُغية كشف مواضع الخلل في العظام والعضلات والأربطة المفصليّة، وبخاصة كشف الخلل في الصفاق (النسيج الخلوي تحت الجلد) والذي سماه تيلر بـ "Osteopathic Lesion" بما يمكننا ترجمته (اعتلال الجهاز الحركي)

معتبراً أن هذا الاعتلال يؤدي مع الزمن إلى أمور خمسة هي:

١- ضغط الأعصاب والجذور العصبية.

٢- نقص التروية الدموية والبلغمية.

٣- حدوث أعطاب ميكانيكية (آلية) في القرص الغضروفي للمفصل وبخاصة الغضاريف الفقرية.

٤- تلف المفصل.

٥- تشوش الإشارات العصبية.

ويُعتمد في تشخيص الحالة على الطريقة النموذجية لفحص المريض، التي مرت معنا خلال هذا الكتاب، والتي تتدرج من الاستجواب إلى التأمل فالتجسس، حيث غالباً ما يَسْتَغْنِي الطبيب عن التصوير الشعاعي.

أما معالجة الحالة فتعتمد على طرق عديدة، كالشد والتدليك المُتَبَّعين في العلاج الفيزيائي، مع التركيز كما ذكرنا على النسيج الخلوي تحت الجلد (الصفاف) ووضع المريض بحالة استرخاء تام تجنباً للألم الذي قد يحدث أحياناً، إضافة إلى إرشاد المريض للغذاء الصحيح، وتعليمه استخدام وسائل العلاج الطبيعي كالحمامات المائية والكمادات وغيرها... وتكرار هذه الجلسات التي تستغرق كل منها ساعة أو أقل، حسب الحالة المعالجة.

غالباً ما تُمارس طرق العلاج بالتقويم الفقري من قِبَل أطباء ومُتدربين على العلاج الفيزيائي أو التجانسي أو غيرهما ونتائج المعالجة فيها جيدة.

المعالجة بتقويم العمود الفقري Chiropractic¹:

تعتمد هذه الطريقة على مبدأ طريقة المعالجة بتقويم العظام "osteopathy" وذلك لدعم الطاقة العصبية للأنسجة والأعضاء المحيطة بالعمود الفقري، والتي أصيبت بقصور في وظائفها حيث تستخدم الأيدي أيضاً فتُشَبِّطُ الطاقة العصبية، وتحفزها.

تتركز هذه الطريقة على تقويم العمود الفقري الرقبى "cervical" والظهري "Dorsal" والقطني "Lumbar" حيث تُبَيِّن الإحصاءات الحيوية أن ٦٢% من الأمراض المفصلية وبخاصة التنكسية منها "degenerative" والتي يغلب ظهورها في مرحلة الشيخوخة والهرم، تتركز على العمود الفقري أولاً، ثم على المفاصل الحاملة للبدن كالركبة، والمفصل الحرقفي الفخذي وتفيد هذه الطريقة في علاج الاضطرابات الوظيفية للعمود الفقري، وبعض حالات الدوار والصداع والعصب الوركي. وتتم طريقة المعالجة فيها بتحريك جزء معين من العمود الفقري بقوة وضغط بواسطة اليدين والأصابع، بغية تليين الأربطة والعضلات التي أصابها الخل فأدَّت إلى انحراف العظام. يُعْتَقَد أن أول من استخدم هذه الطريقة هم الفراعنة القدامى ثم الصينيون ثم اليونانيون ثم العرب.

¹ هي كلمة لاتينية تعني حرفياً (علم المعالجة بالتحريك اليدوي) ومبدأ الطريقة، دراسة العلاقات الآلية "الميكانيكية" الرابطة للجهاز الحركي (عضلات عظام مفاصل) والتي أصيبت بالخلل لأسباب مختلفة ميكانيكية، حرارية، هورمونية، كيميائية، جرثومية، فيروسية، فطرية، نفسية... وغيرها والهدف منها إعادة وظائف التكيف لهذه الأعضاء والأجهزة.

وقد أنشئت حديثاً عام ١٨٩٥ أول كلية لتدريس هذا العلم في الولايات المتحدة الأميركية ووصل عدد الكليات المعنية في أيامنا إلى أكثر من ١٧ كلية تبلغ مدة الدراسة فيها خمس سنوات ونصف ومدة تدريب ستة أشهر. وقد انتقل هذا العلم إلى انكلترا وفرنسا وأستراليا واليابان. أما في المنطقة العربية، فهذا التخصص نادر جداً.

التدليك بسرير سيرا جيم (يعالج الربو والسكري وألم الظهر):

تمكن باحثون في ولاية شيكاغو الأميركية من تطوير سرير خاص بالتدليك، قد يساعد في تخفيف آلام الظهر والتعافي من أمراض الربو والسكري. وأوضح المصنعون أن العلاج بسرير (سيرا جيم) يحتاج من المريض النوم على ظهره بكامل ملابسه على مجموعة من المساطر موجودة في الجهاز، ووضع مجسات حرارية على أجزاء الجسم المؤلمة، ثم تغطيتها بغطاء خاص على أن يستريح المريض نحو ٤٠ دقيقة. ويعمل السرير بالتدليك الحراري والأشعة تحت الحمراء والضغط على نقاط الأعصاب وينقل الحرارة، فينشط الدورة الدموية، ويخلصها من السموم، ويعمل على تجديد الخلايا وحفظها.

٧- المعالجة بالرياضة الطبية:

الرياضة الطبية: رياضة تهدف إلى وقاية الجسم وعلاجه من بعض الأمراض، للوصول به إلى اللياقة البدنية والنفسية السوية وبخاصة بعد أن ثبت مؤخراً نتيجة الدراسات العلمية أن الرياضة الطبية بأشكالها المختلفة، لا تؤمن لياقة بدنية فقط بل ونفسية عقلية.

لهذا لا تشمل الرياضة الطبية، الرياضات العنيفة البدنية (كالملاكمة وكرة القدم والمصارعة...) ولا تشمل الرياضات الذهنية المرهقة للفكر والعقل كالمناهات. ثبت علمياً أن حياة الدَّعة، (كالخمول والكسل) تعتبر عاملاً رئيساً لنشوء الأمراض المختلفة وبخاصة أمراض العصر كالبداثة وأمراض القلب والسكري وغيرها. مما ورد ذكره.

كما ثبت في دراسة أمريكية كندية أجريت على ١٦ ألفاً من خريجي الجامعات والمتطوعين، أن التمارين الرياضية تقوي ألياف العضلة القلبية وتحسن التروية القلبية والدماغية فتعمل على تحسين عمليات الأيض (الاستقلاب) وبهذا تساعد على حرق السكاكر والدهون واستقلاب الأغذية بشكل جيد.

صنف المختصون الرياضات الطبية إلى:

١-رياضات الشيخوخة: كالمشي والعمل الهادئ في الحديقة والتمارين السويدية الخفيفة.

٢-رياضات التأمل: كالاسترخاء واليوغا والتمارين السويدية والمشي والتمارين الإيقاعية (إيروبيك) "Aerobic" وتصلح لجميع الأعمار وجميع المرضى.

٣-تمارين الشباب: كالقفز والجري والسباحة وركوب الخيل والرقص.

تَحَفُّزُ الرياضات الأولى والثانية إفراز المادة المذيبة للبروتين "Fibrin" وبهذا تعمل على الوقاية من الجلطات ومنع البدانة وتحسين استجابة الجسم للأنسولين، وتنظيم ضغط الدم وطرح الرواسب المختلفة والسموم عن طريق العرق.

أما الرياضات الثلاثة فتعمل على تقوية العظام وتثبيت الكالسيوم على العظام والوقاية من الهشاشة العظمية (الترقق) في سن اليأس عند النساء.

تمارين الأيروبيك "Aerobec" : أو الرياضة الإيقاعية أو الرياضة الهوائية:

هي أي نشاط أو حركات إيقاعية تستخدم فيها المجموعات العضلية الكبيرة، و تستمر لفترة زمنية طويلة بين ٢٠-٦٠ دقيقة.
الفوائد:

تنشط عمل القلب و الرئتين و رفع كفاءتهما للعمل بشكل أفضل من العمل في أوقات السكون و الراحة. حيث تزيد من تدفق الأكسجين للدم و العضلات و تزيد من صبيب القلب "Cardiac Output" و تعمل على خفض ضغط الدم و النبض خلال أداء التمارين، و على خفض معدل سرعة إجهاد العضلات. و تزيد من نسبة الدهون المفيدة "HDL" و تنقص من نسبة الدهون الضارة "LDL" و تحسن نسبة السكري و تقلل من مقاومة الجسم للأنسولين.

المبدأ:

هو البقاء على حركة رياضية خفيفة مستمرة لفترة طويلة على أنغام موسيقية إيقاعية هادئة وفي الهواء الطلق غالباً حسب تحمل كل فرد، مما يزيد في الحيوية و النشاط.

VI-المعالجة بالحجامة: أو ما يُعرف اليوم بكاسات الهواء

Cupping, Cubbing, Scarification =Blood letting, Purging

الحجامة لغةً من فعل حَجَمَ أي مَصَّ أي أعاد إلى الحجم الطبيعي، وهنا أعاد الدم إلى الوضع الطبيعي.

استخدمت الحجامة كوسيلة طبية منذ العصور القديمة الفرعونية (١٥٠٠ ق م)، والصينية، والبابلية، وفي جاهلية العرب في الجزيرة العربية، حتى ظهر الإسلام. وَرَدَ على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث شريفة عديدة بالحضِّ على الحَجَم، انبرى لها رجال الدين من العلماء فضعقوا سند بعضها وأثبتوا سند بعضها الآخر، وسنذكر في سياق بحثنا هذا أغلب هذه الأحاديث بالنص الحرفي كما وجدناها في كتب الحديث العديدة. ثم انتقلت الحجامة إلى الغرب الأوروبي والأمريكي وأستراليا وغيرها من بلاد العالم.

الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالحجامة:

- استعينوا على شدة الحرّ بالحجامة.
- اجتمعوا لخمس عشرة، أو لسبع عشرة أو لتسع عشرة أو إحدى وعشرين، لا يتبغ بكم الدم فيقتلكم.
- الحجامة في الرأس هي المُغْنِيَة، أمرني بها جبريل حين أكلتُ طعام اليهودية.
- الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر، دواءٌ لداءِ سنةٍ.
- الحجامة في الرأس من الجنون والجذام والبرص والأضراس والنفاس.

• الحجامة في الرأس شفاء من سبع إذا ما نوى صاحبها: الجنون، الصداق، البرص، الجذام، النعاس، ووجع الضرس، وظلمة يجدها في عينه.

• الحجامة على الريق أمثل، وفيها شفاء وبركة، وتزيد في الحفظ، وفي العقل، فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس، واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد. واحتجموا يوم الإثنين والثلاثاء، فإنه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء. واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء، فإنه اليوم الذي ابتلي فيه أيوب، وما يبدو من جذام ولا برص، إلا في يوم الأربعاء، أو في ليلة الأربعاء.

• الحجامة تنفع من كل داء، ألا فاحتجموا.

• الحجامة يوم الأحد شفاء.

• الحجامة تُكره في أول الهلال، ولا يُرجى نفعها حتى ينقص الهلال. عليكم بالحجامة في جوزة القَمْحُوتَةِ، فإنها تشفي من خمسة أدواء: وذكر منها (ص) الجذام. (القَمْحُوتَةُ: ذرّة قفا الرأس).

• خير ما تدأويتم به الحجامة والقُسْطُ البحريُّ، ولا تُعَذِّبُوا صبيانكم بالغَمَزِ من العُذْرَةِ. (العُذْرَةُ: وجع بالحلق يهيج من الدم، وقيل هو سقوط اللّهاء، كانوا يغمزونها بالأصبع إذا سقطت لترتفع إلى مكانها، فنهاهم النبي (ص) عن ذلك، وأمرهم بالرفق في المعاناة، لاسيما بالصغار. أما القسط البحري فهو القُسْطُ الحُلُو الأبيض منه، وهو العود الهندي على ما جاء مفسراً في أحاديث أخرى).

- عن طاوس بن كيسان اليماني الجندي (مات سنة ست ومائة)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله (ص) (احتجم وأعطى الحجام أجره، واستعط). كما ورد في البخاري ومسلم.
- عن حميد الطويل بن أبي حميد، مولى طلحة الطلحات أو عبيدة الطويل، المختلف في اسم أبيه، البصري، عن أنيس والحسن وعكرمة، وعن شعبة ومالك، مات وهو قائم يصلي سنة اثنتين وأربعين ومائة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن رسول الله (ص) حجمة أبو طيبة، فأمر له بصاعين من طعام، وكلم مواليه، فخففوا عنه من ضربيته).
- خير ما تداويتم به الحجم والفصاد.
- روى قتادة عن أنس قال: كان النبي (ص) يحتجم بين الأذعين والكاهل. (فقرة رقبية ٧).
- في الصحيحين أنه (ص) كان يحتجم ثلاثاً: واحدة على كاهله، واثنين على الأذعين، وأنه احتجم وهو مُحَرَّمٌ في رأسه، لصُدَاعٍ كان به، أو لشيء كان به.
- روى عن علي رضي الله عنه قال: (نزل جبريل عليه السلام على النبي (ص) بحجامة الأذعين والكاهل). رواه ابن ماجه. (الأذعان عرقان في العنق، في موضع الحجامة، الكاهل مَوْصِلُ العنق في الصلب).
- روى أبو داود من حديث جابر (أن النبي (ص) احتجم في وركه من وثي كان به).
- روى عن أنس بن مالك "ر" أن النبي (ص) احتجم وهو محرم على ظهر القدم من وثي كان به.

• الحجامة على الريق دواءً، وعلى الشَّبَع داءً، وفي سبعة عَشَرَ من الشهر شفاءً، وفي الثلاثاء صحّةً للبدن، ولقد أوصاني خليلي جبريل بالحجامة، حتى ظننتُ أنه لا بد منها.

• عن كثير بن سليم الضبي، أبي سلمة المدائني عن أنس..... قال: سمعت أنس بن مالك "ر" يقول: (قال رسول الله "ص": مامرت ليلة أُسريَ بي بملأ إلا قالوا: يا محمد مرُّ أمتك بالحجامة).

• وعن ابن عباس: نص الحديث السابق: عليك بالحجامة يا محمد، كما ورد في الترمذي وغيره.

بعض المعاني الواردة في أحاديث رسول الله "ص":

• الْمُغْفِيَّةُ: التي تسبب الغثيان، وهي لفّة إجازية، فالأطباء كانوا يلجؤون لحفز المريض على الغثيان والقيء، في حالات التسمم الغذائي، قبل معرفة عملية غسل المعدة بالأنبوب.

• شدة الحرّ: تَبَيَّغَ الدم.

• التَّبَيَّغُ: الفوران والهباج.

• إذا ما نوى صاحبها: إذا كان مؤهباً نفسياً ومعتقداً.

• دواء لسنة: دعم مناعة البدن عامة لسنة فهي إذن شفاء من كل داء.

• على الريق أمثل: حيث تكون ركودة الدم وراحة الأعضاء والأجهزة في حالتها القصوى، إذ إن الدم يتجمع ويهجم إلى المناطق العاملة والمجهدّة، كالمعدة بعد الامتلاء، أو العضلات خلال الجهد....

• **الحجامة والعذرة:** العذرة وجع بالحلق يهيج من الدم، وهي كما يُفهم منها كالتهاب البلعوم الاحتقاني، فمفعولها كمفعول مضادات الاحتقان المعروفة حالياً.

(هذه المعلومات من الجامع الصغير ومن الأحكام النبوية في الصناعة الطبية لابن طرّخان).

مبدأ الحجامة:

هي سحب الدم الفاسد من الجسم، الذي سبب مرضاً مُعيناً (علاج) أو قد يسبب ذلك في المستقبل بسبب تراكمه وامتلأته بالأخلاط الضارة (وقاية).

استخدمت في إجراءاتها قديماً، القرون المجوفة لبعض الحيوانات، أو أغصان خشب البامبو (الخيزران) عند الصينيين، ثم تطورت لاستخدام كؤوس الحجامة المعروفة.

آلية الحجامة:

تُعَلّل آلية فعل الحجامة في تخليص الدم من الأخلاط الضارة (الكريات الدموية الهرمة والضعيفة ذات الأشكال الشاذة...) بنظريات ثلاث هي:

١- في السنة الثانية والعشرين من العمر، يتوقف نمو الكريات البيض (المسؤولة عن المناعة) ويركد الدم والبلغم في مناطق عديدة من البدن، أهمها وأوسعها مساحةً، الظهر. والحجامة تُنشط الدوران الدموي المحيطي والبلغمي، وبهذا فهي تحفز المناعة.

٢- يعمل الاحتقان الموضعي والتبزيغ، كعملية الفصد والإبر الصينية، على استنفار جهاز المناعة للدفاع عن البدن أيضاً.

٣- تنبه الحجامة النهايات العصبية المحيطية، وتنشط المناعة بفعل انعكاسي "Reflex" وبهذا تُخلص البدن من الجذور الحرة "Free Radicals" وتُعدل الخلل الحادث في مسارات الطاقة "Meridians" حسب النظرية الصينية.

أُجريت مؤخراً دراسات عديدة على الحجامة، انطلقت جميعها من أحاديث رسول الله (ص)، وكان للعديد فيها من الأطباء وغير الأطباء، تجارب وممارسات شخصية لم ترقَ إلى مستوى الدراسة العلمية، التي حضَّ عليها رسولُ الله (ص) في أحاديث عديدة (اطلب العلم ولو بالصين). وفي بعض الظروف مُورست الحجامة من قبل أناسٍ لا يَمْتَنون إلى المهنة بصلة، مما أدى إلى عقد ندوات ومؤتمرات علمية تنبه الناس إلى الأخطار الجانبية لمثل هذه الممارسات. وأوجزُ رأي هذه الندوات من الوجهة الشرعية برأي الأستاذين د. محمد سعيد رمضان البوطي، ود. وهبة الزحيلي في ندوة الحجامة التي عقدت في مشفى الأسد في ٢٠٠٣/٦/١ في سوريا (بأن الحجامة ليست سنة نبوية، وليست قُربى إلى الله تعالى، وليست عبادة، بل هي مباحة شرعاً ليس أكثر من ذلك، وأن هناك ثمانية أحاديث نبوية شريفة اعتمد عليها الداعون إلى الحجامة، وهي ضعيفة وموضوعة ومتناقضة وتخلو من المنطق النبوي الشريف. وأكد الجميع على أنه لا بد من دراسة علمية طبية موقفة لفعل الحجامة وفائدتها كعلاج قديم حديث).

ومن خلال تتبع الموضوع علمياً، نُوجز ما حصلنا عليه من دراسات حول
الحجامة مصدرها:

- (مجلة الصحة والطب) التي تصدر عن دار الخليج/ العدد ٢٦٣/ السبت ٦ ديسمبر ٢٠٠٣، والعدد ٣٢٧/ السبت ٢٦ فبراير ٢٠٠٥. والعدد ٣٢٧- السبت ٢٦ فبراير ٢٠٠٥ م.
- والأحكام النبوية في الصناعة الطبية لأبي الحسن علي بن عبد الكريم بن طرخان بن تقي الحموي، علاء الدين الكحل الصفدي، من علماء القرن السابع الهجري (٦٥٠هـ - ٧٢٠هـ).
- مختصر تاريخ الطب العربي للدكتور كمال السامرائي.
- القانون لابن سينا.
- التذكرة للأنطاكي.
- مجلة الفیصل العدد ٣٥٧ ص ١٠٤/ شوال ١٤٢٧هـ - نوفمبر ٢٠٠٦.

أهداف الحجامة:

للحجامة هدفان:

وقائي حيثُ تقي من بعض الأمراض كالشلل والجلطات وغيرها، ويفضل عملها سنوياً على الأقل.

علاجي: في العديد من الأمراض كالصداع المزمن وخدر الأطراف وآلام الركبتين والنحافة وآلام الروماتيزم والبواسير وعرق النساء، وحساسيات الطعام وكثرة النوم وغيرها... من الأمراض المزمنة مثل الشلل بسبب الجلطة والتخلف العقلي.

للحجامة ثلاثة أنواع:

- جافة: لبعض أمراض النساء والأطفال وكبار السن.
- تدليكية أو متزحلقة: وهي عبارة عن دهن الموضع بزيت الزيتون أو زيت النعناع، ثم الشفط البسيط وتحريك الكأس حول وعلى المكان المطلوب. وهي تسبق في العديد من الحالات الحجامة الرطبة وخصوصاً في الأمراض المستعصية كالشلل والصرع.
- الرطبة: بتشريط الموضع بعد الحجامة الجافة.

تم حجم أكثر من ٢٠٠٠ حالة مرضية خلال أربع سنوات، في كل من مصر والإمارات.

لا تتعارض الحجامة مع العلاج بالطب الغربي التقليدي أو العلاج بالأعشاب أو الأوزون أو الإبر الصينية أو العلاج الطبيعي...

وهي بشكل عام طب تكميلي ووسيلة ناجعة من وسائل الطب البديل حيث إنها في بعض الأمراض تتفوق على الطب الغربي التقليدي، كما في علاج إدمان المخدرات والصداع النصفي وضمور العصب البصري.

ليس للحجامة أعراض عكسية، إذا أجريت بالطريقة الصحيحة، مع مراعاة الاحتياطات اللازمة قبل القيام بها، حيث يلزم إجراء الكشف الطبي السريري على المريض، وتشخيص الحالة بدقة، وتحديد نقاط الحجامة اللازمة له، مع مراعاة عدم تعارض هذه النقاط مع نقاط مرضية أخرى، تماماً كما تتعارض أدوية مرض مع أدوية مرض آخر.

لهذا يجب الحذر والحيلة الشديدين لدى إجراء الحجامة في الحالات التالية:

- وجود هبوط في ضغط الدم.
- وجود فقر دم.
- ارتفاع حرارة.
- استخدام مميعات الدم.
- وجود خثرات وريدية (أمراض خثرية).
- تعتبر أيام ١٧-١٩-٢١ من كل شهر هجري الأوقات المفضلة لعمل الحجامة، علماً أنه يمكن عملها في أي وقت إذا استدعت حالة المريض.
- يجب إجراء تعقيم فني للأدوات، كأيّة عملية جراحية كما يجب معرفة النقاط المطلوبة بالتحديد.

ممنوعات الحجامة (مضادات استطبابها):

- حالة وجود ناظم الخطى "pacemaker" القلبي.
- مرضى السيولة الدموية أو الذين يتناولون مميعات الدم، حيث يلزم إيقافها قبل ٣ أيام على الأقل من الحجامة.
- على مناطق الدوالي مباشرة.
- حالات فقر الدم.
- أثناء الدورة الشهرية للنساء.
- حالة وجود دعامة (وصلة) في شرايين القلب (shunt).
- عند مريض تم زرع كلية أو كبد له، أو أي مريض يخضع لغسيل الكلى.

أهم استطبابات الحجابة:

تشمل استطبابات الحجابة هامشاً واسعاً من الأعراض والأمراض، تعتمد في مبدئها كما ذكرنا آنفاً على دعم المناعة، وتنقية الدم. وأهمها:

- الإدمان على المخدرات والكحول والتدخين.
- قصور القلب، ارتفاع ضغط الدم.
- داء السكر، النقرس.
- نظير الرثوي "Rheumatoid"، والتشنجات العصبية و العضلية بالعامّة (الروماتيزم العضلي، والمفصلي)
- الربو القصبي.
- الضعف الجنسي وبعض حالات العقم.
- ضخامة البروستات. ودوالي الحبل المنوي.
- دوالي الساقين، البواسير.
- سلس البول.
- الكولون العصبي أو المتهيج "Irritable colon".
- قرحة المعدة.
- التهابات الكبد الفيروسيّة (نسبة النجاح ٦٠% كما ورد في إحدى الدراسات).
- الآلام المفصليّة بالعامّة.
- الأرجيات بالعامّة (الحساسيات).
- الصداع والشقيقة.
- قصورات الدوران بالعامّة (ضعف السمع، طنين الأذنين، الدوار..)

- ضمور العصب البصري، الغلوكوما.
- قصورات المبيض وعدم انتظام الدورة الشهرية عند النساء.
- بعض حالات الأورام الخبيثة.

عدد جلسات الحجامة:

١-٣ جلسات وسطياً ولابد من دراسة طبية بيد طبيب قبل الحجامة وبعدها، وبخاصة عند المرضى الذين يتناولون أدوية.

هل اعترف بالحجامة دولياً؟

نعم في ٣٨ جامعة أمريكية، إضافة إلى ألمانيا وبريطانيا وأستراليا وإيطاليا وهولندا والصين وغيرها.. إضافة إلى العديد من دول جنوب شرق آسيا. كما أن منظمة الصحة العالمية اعترفت بالحجامة كأحد أهم أقسام الطب التكميلي، كما يوجد أكثر من ٤٠٠٠ معهد في العالم للعلاج بكاسات الهواء (الحجامة).

تقرير عن آلية الشفاء بالحجامة:

تهدف دراسة الدم المستخرج من منطقة الحجامة (الكاهل)، دراسة مخبرية دموية، ومقارنتها مع الدم الوريدي الطبيعي، عند عدد كبير من الأشخاص الذين أجريت لهم الحجامة وفق أصولها الصحيحة، إلى الكشف عن السر العام لآلية الشفاء التي تقوم بها هذه العملية في تخلص الجسم من الدم الفاسد والهرم الذي يعرقل الجسم عن قيامه بمهامه ووظائفه على أكمل وجه مما يجعله فريسة سهلة للأمراض والعلل. وتشير تلك الدراسات إلى أن دم الحجامة يحوي عُشْرَ

كمية الكريات البيض الموجودة في الدم الطبيعي، وذلك في جميع الحالات المدروسة دون استثناء، وهو ما أثار دهشة الأطباء، إذ كيف يخرج الدم دون كريات البيض؟ مما يدل على أن الحجامة تحافظ على عناصر الجهاز المناعي وتقويه حسب رأيهم.

أما الكريات الحمر فكانت كلها ذات أشكال شاذة، أي أنها غير قادرة على أداء عملها، فضلاً عن عرقلتها لعمل بقية الكريات الفتية العاملة. هذا يؤكد أن عملية الحجامة تخلص الجسم من الكريات الحمر المعطلة، والدم غير المرغوب فيه، وتُبقى للبدن كريات البيض المسؤولة عن المناعة والتصدي للأمراض. وبهذا تختلف عملية الحجامة عن الفصادة الوريدية التي تؤدي إلى فقد مكونات الدم المفيدة مع كريات الحمر المطلوب الخلاص منها، الأمر الذي يجعل الحجامة عملية وقائية وعلاجية لكل إنسان، مع مراعاة شروطها وأوقاتها وكل ما يتعلق بالوصول معها إلى أفضل النتائج وخير العلاج من الراحة بالنوم والتعقيم الجيد.

اكتشف الفريق المخبري أيضاً ما يلي: السعة الرابطة للحديد في دم الحجامة كانت مرتفعة جداً (٥٥٠ - ١١٠٠) مما يدل على أن الحجامة تبقى الحديد داخل الجسم دون أن يخرج مع الدم المسحوب، تمهيداً لاستخدامه في بناء كريات حمراء فتية جديدة. أما الكرياتينين فهي: مرتفعة، مما فسّر على أن الحجامة تَقْتَنَصُ كل الشوائب والفضلات والرواسب الدموية، فتؤدي إلى تنشيط كل الأجهزة والأعضاء الحيوية.

عاد الضغط إلى حدوده الطبيعية بعد عملية الحجامة، وتحسنت مخططات القلب الكهربائية تحسناً كبيراً.

انخفضت سرعة التثغل إلى الحدود الطبيعية. واعتدلت الكريات الحمر، وهبط الخضاب إلى الحد الطبيعي في جميع حالات احمرار الدم "Erythremia" مما يدل على نشاط الجسم وزيادة قدرته على نقل الأكسجين بواسطة كريات فنية سليمة.

ارتفع عدد الكريات البيض في ٥٢% من الحالات إلى الحدود المثلى، وخصوصاً في الأمراض الرئوية والالتهابية، وهو ما يفسر الشفاء السريع لحوالي ٧١,٤% من حالات الروماتيزم والالتهابات المزمنة بعد الحجامة. وارتفع عدد الصفيحات الدموية إلى الحدود الطبيعية ١٠٠% من حالات النقص، وانخفض إلى الحد الطبيعي بنسبة ٥٠% من حالات الارتفاع.

أما بالنسبة للسكر: فقد انخفضت مستوياته عند ٨٣,٧٥% من الحالات. وبقيت الحالات الأخرى ضمن الحدود الطبيعية عند الأصحاء. وانخفضت عند مرضى السكري ٩٢,٥% من الحالات. انخفضت كمية حمض البول في الدم لدى ٦٦,٦% من الحالات. انخفضت خميرة الكبد "SGPT" عند المصابين بارتفاعها، في ٨٠% من الحالات، مما يدل على نشاط الكبد. وانخفضت خميرة "SGOT" عند المصابين بارتفاعها، في ٨٠% من الحالات أيضاً، وهذا ما قد يفسر التحسن الذي طرأ على تخطيط القلب الكهربائي. انخفضت نسبة الكولسترول في الدم عند المصابين بارتفاعه بنسبة ٨٣,٦% من الحالات.

وانخفضت نسبة الشحوم الثلاثية عند المصابين بارتفاعها في ٧٥% من الحالات.

الفوائد الطبية للحجامة:

- تنشيط الدورة الدموية والبلغمية.
- تنشيط العمليات الحيوية.
- المساعدة في إزالة التهابات الألياف العضلية والأنسجة العصبية.
- تخفيف الألم بالعمامة.

ويذكر في نفس البحث في العدد ٢٦٣ منها ما يلي: وذكرت مقالة حديثة نشرتها مجلة "صحتك" "your health" الأميركية أن الحجامة تفيد فيما يقرب من ثمانين حالة ما بين مرض وعرض، وذلك طبقاً لنتائج الخبرة العملية التي سجلها الممارسون هنا وهناك. ومن تلك الحالات:

الروماتويد، النقرس، الشلل النصفي، الكلى، ضعف المناعة، البواسير، تضخم البروستات، الغدة الدرقية، الضعف الجنسي، ارتفاع ضغط الدم، قرحة المعدة، القولون العصبي، التبول اللاإرادي عند الأطفال فوق خمس سنوات، تضيق الأوعية الدموية، تصلب الشرايين، السكري، دوالي الساقين والخصية، السمنة، النحافة، العقم، الصداع، الشقيقة، أمراض العين والكبد والكلى، ضعف السمع، التشنجات، ضمور خلايا الدماغ، نزيف الرحم، انقطاع الطمث.

إن النظرة نحو الحجامة ونتائجها وآلية تأثيرها كانت متغيرة من زمن لآخر، فحتى القرن الثامن عشر كانت النظرة على أنها طرحٌ لموادٍ سميّةٍ من العضوية، وفي القرن التاسع عشر تغلّبت النظرة الناقدة للحجامة معتبرين أنها

طريقة تقوم على الدجل، وأن الأساس الفيزيولوجي الذي تقوم عليه ضعيف. إلا أن الاهتمام بها عاد في أوائل القرن العشرين، حيث دُرس تأثيرها على نطاق واسع، ووضعت لها الاستطبابات العلمية، واستحدث الأطباء لها الأدوات المبسطة ذات التقنية المناسبة...

مواضع الحجم:

للحجامة ثمانية وتسعون موضعاً (معروفة من قبل الأطباء الممارسين)، خمسة وخمسون منها على الظهر، وثلاثة وأربعون منها على الوجه والبطن. ولكل مرض مواضع معينة للحجامة (موضع واحد أو أكثر لكل منها) من جسم الإنسان. أهم هذه المواضع وهو أيضاً المشترك في كل الأمراض، وهو الذي نبدأ به دائماً: الكاهل (الفقرة السابعة من الفقرات العنقية- الرقبية Cervical) أي إلى مستوى الكتف وأسفل الرقبة... وهي تعمل على نفس خطوط الطاقة التي تستخدمها الإبر الصينية. وقد وجد أن نتائج الحجامة أفضل بعشرة أضعاف من الإبر الصينية، وربما يرجع ذلك إلى أن الإبرة تعمل على نقطة صغيرة، أما الحجامة فتعمل على دائرة قطرها ٥ سم تقريباً؟

ولا شك أن العلم سيكشف فوائد أخرى للحجامة مع تقدم الزمن ليُظهر أنها وسيلة مفيدة ممتازة في علاج كثير من الأمراض.

انتهى ما اقتطناه من مجلة (الصحة و الطب)

هذا ومن المعروف تاريخياً أن الأطباء العرب والمسلمين مارسوا الحجامة كوسيلة علاجية ووقائية مشهورة في زمانهم، ونورد هنا فقرات من كتاب (مختصر تاريخ الطب العربي) للدكتور كمال السامرائي ص ٣٨٣:

(الحجامة والفصد: عمليتا الحجامة والفصد، معروفتان منذ العصر الإبراطي، وربما منذ العصر البابلي. وهما من أكثر العلاجات اليدوية شيوعاً عند العرب. وتُستطبّان على الأكثر لفِرط في دم الجسم أو ما يسمى (الامتلاء). وفكرة الامتلاء الدموي قديمة في الطب، عالجه بعض الأطباء اليونانيين بالرياضة. كما عالجه السبعس الآخر بالفصد، فلما وصلت الفكرة إلى العرب عالجوها بالفصد والرياضة معاً. والحجامة عملية سهلة، وتكاد تكون خطورتها معدومة، على عكس عملية الفصد، التي قد يفلت فيها زمام الأمر من الطبيب فيستمر انزلاق الدم من العرق المقطوع حتى يلفظ المريض أنفاسه الأخيرة.

وتستطب الحجامة لحالات الربو، وذات القصبات والصداع والشقيقة والنواسير، وأمراض الكلية المزمنة وأمراض الرحم، أما مواضع الحجامة فهي:

- القمّذوة: في الأمراض العقلية.
- كاحل الرجل: في عرق النساء، وداء الملوك.
- تحت الركبة: لأوجاع الركبة.
- الفخذ: في حال انقطاع الطمث، وعرق النساء.
- السرة: في التهاب الرحم، والتهاب الكولون.
- قفى الرقبة: لأورام الرأس والوجه، وأوجاع الأسنان والعينين والأنف والحنجرة.
- أعلى الظهر: لأوجاع الكتف والصدر، ولحالات الربو، وسوء الاستمراء بالمعدة وفي العضد...
- انتهى كلام د. سامرائي

أما في الغرب فتدعى عملية الحجامة بكاسات الشفاء أو كاسات الهواء (cupping) وتُمارس اليوم كما ذكرنا، في أغلب مصحات الطب الطبيعي بشكل منتظم ومدرّس وموثق. ومع الأسف لا توجد دراسة علمية عربية واحدة يمكن الاعتماد عليها سوى النذر القليل كما ذكرنا. ويذكر أن أول صورة

تاريخية للحجامة، وجدت على سجادة نسجت عام ١٥٠٠ ق.م عند الفراعنة المصريين، حيث يظهر في الزاوية السفلى للسجادة صور لأقذاح الحجامة. كما يُذكر أن هيبو قراط، أبا الطب، قد مارس الحجامة أيضاً.

VII- المعالجة بالفصادة Leeching :

الفصادة هي عملية سحب كمية من دم المريض عن طريق الوريد لغاية الفحص المخبري أو لاستطباب معين. وهي عملية معروفة منذ القديم حيث كان يُعمل قطعٌ وقتي في أحد الأوردة ليُهدر منه قدرٌ من الدم. وقد مارسها جميع الأقوام، وبخاصة العرب، ووضعت لها عند العرب شروط عديدة لتجنب ما ينجم عنها من أخطار. فعلى الفاصد أن يكون ملماً بمواقع عروق الجسم وتشريحه حتى لا يخطئ في موضع الفصد. وقد استُعملت أوراق خضار السلق التي تبرز فيها عروق الماء ليتدرب عليها تلاميذ هذه الصنعة على اكتشاف العروق بالنظر واللمس.....، كما يجب أن يكون مع الفاصد مباحض مختلفة الحجم، أحدها بدقة الشعرة، وأن يكون معه كُبَّة (لقافة خيط من الغزل) ومرهم الصبر ودم الأخوين (وهو صمغ سومطري يداوى به الجروح الدامية ويؤتى به من جزيرة سامطرة)، وناقحة مسك، حتى إذا عرض للمفصود غشي "Syncope"، بادر بسرعة فضغط بكبة الحرير على موضع الفصد، وقيأه وشممه النافحة، وجرّعه من أقراص المسك. كما يجب إيقاف الفصد إذا تئاعب المفصود أو تمطى، أو إذا أصابه الفواق. والفصادة تشبه عملية سحب الدم في أيامنا "Blood Transfusion".

أهم استطببات الفصادة:

- أمراض القلب الاحتقانية المؤدية إلى الزلة (ضيق النفس Dyspnea) والزرقة "Cyanosis".
- التهاب القصبات المزمن كالمدخنين المدمنين الذين أصيبوا أيضاً بالزلة التنفسية حيث لا بد من الفصادة من آن لآخر.
- حالات التشنج النفاسي "Eclampsia" وارتفاع البولة الدموية "Uremia" والانسمام بحمض الفحم.
- ارتفاع الضغط الدموي.
- الصداع والشقيقة.

تعتبر الفصادة طريقة معالجة ووقاية قديمة حديثة، حيث مازالت تستخدم في أيامنا، في الاستطببات السابقة. بتقنيات جيدة بإبر واسعة المجرى وبتعقيم فني كاف.

الفصادة بالعلق الطبي:

استخدم العلق الطبي كطريقة لفصادة الدم، منذ القديم عند العرب وغيرهم. حيث توضع علقة أو أكثر على الصدغين أو على الموضع المراد فصده، وذلك بعد غسل العلقات بالماء العذب وتنشيفها بمنشفة نظيفة، ومسح الموضع بمحلول البورق "Borax" فنقوم العلقة بامتصاص ١٠-١٥ غ من الدم، وتسقط من نفسها عقب الشبع، حيث يسيل أيضاً ١٠-١٥ غ أخرى. بعض العلق لا يسقط من تلقاء نفسه، فيذّر عليه الملح أو يُعصر فوقه الليمون فيسقط فوراً.

مازال الفصد بواسطة العلق مستخدماً في العديد من مشافي أوروبا الحديثة، حيث تبين أن العلقة تفرز مادة "Hirudnie" المانعة للتخثر كالهيارين.

يستطب العلق في الحالات التي تستطب بها الحجامة حين لايسمح المكان لتطبيق كأس الحجامة كالجفن والشفة والأذن.

أهم استطببات الفصد بالعلق:

- التهاب الكلى الحابس للآزوت أو الراجع لضغط الدم.
- آلام الجنب "Pleura" والتهابات التأمور "Pericarditis" والتهابات الكلى الحادة "Acute nephritis".
- احتقانات الدماغ و أنزفة الدماغ.
- احتقانات العيون، الرمد، داء الزرق (Glaucoma).
- التهاب الوريد الخثري "Thrombophlebitis".
- إحتشاء العضلة القلبية "Cardiac Infarction".
- أثبتت دراسة حديثة في USA، أن استخدام العلق في العمليات التجميلية والترميمية، يعمل على تجديد تدفق الدم بعد سحب الدم المتجمع الراكد، مما يحافظ على حيوية النسيج المزروعة، ويغني عن عمل جراحي آخر لزراع نسيج جديد.

مضادات استطببات الفصد بالعلق:

نفس مضادات الفصد والحجامة، كحالات النزوف واستخدام مانعات التخثر، إضافة إلى الوهن العام والشيخى وفقر الدم وقصور الكبد.

عن محطة الجزيرة الفضائية الساعة ٨ مساء الأربعاء ٢٦/٤/٢٠٠٦ من اليابان (عين على العالم)

طريقة حديثة للعلاج: تُغَطَسُ الأقدام في ماء مليء بأسمك من نوع خاص صغير ليس لها أسنان تستورد من تركيا، تعمل على أكل الجلد الميت من الأقدام فتعمل كالفصادة في تنبيه المناعة.

VIII- المعالجة بالكّي أو النار Cauterization:

تستعمل المعالجة بالنار منذ القديم، و بطرق بدائية لم تُراعَ فيها شروط النظافة و التعقيم، لهذا كثيراً ما كانت تسبب حوادث مؤسفة. و استخدمت فيها لفافات التبغ و المسامير و الأسلاك المحمّاة في النار. أما في أيامنا هذه فنستعمل مياسم معدنية خاصة.

يتم الكي في بقعة أو أكثر من البدن حسب خبرة الخبير، و غالباً ما تكون هذه البقعة منشأ أو نهاية جذر عصبي. و الغاية منها تسكين الألم، و تخفيف الاحتقان عن الأعضاء المجاورة بالخاصة، و عن البدن بالعامّة، بآلية ما زالت مجهولة، يفسرها البعض بحفز المناعة الذاتية بنفس الآلية التي يُحقن بها الدم عضلياً في بعض الحالات المرضية.

و قد يُستعمل الكي بالنار أو الكهرباء لتخثير الدم و إغلاق الشعيرات النازفة في العمليات الجراحية، في أيامنا، و هو ما يُعرف بالتخثير الكهربائي "Electro-Cauterization".

يستطب الكي بالنار في الآلام العصبية بالعامّة: كآلام عرق الأنسر، حيث يجرى عند الفقرة ق٣-ق٤ أو عند الفؤت "الفوت المسافة بين الاصبعين" الرابع بين خنصر القدم و بنصره. و في التهابات المفاصل الرثوية و التتكسية حيث يُجري الكي على الوجه الأنسي أو الوحشي للمفصل، كمفصل الركبة مثلاً. و في الآلام الوربيّة بين الأضلاع، أو عند قبضة عظم القص بين الترقوتين. و في آلام العمود الفقري عند الفقرة السابعة الظهرية، و في الشقيقة و الصداع العصبي، حيث يجرى الكي في وسط الجبهة فوق جذر الأنف.

هذا و يمكن إجراء الكي بالنار، في أي بقعة من بقاع الجسم. كما يمكن دعم الكي بوضع قطعة من نبات الزنجبيل "Ginger" أو ورقة من أوراق نبات الشيح "Artemesia" أو نبات لسان الحمل "Plantago" على منطقة الكي و تضميدها. و قديماً كثيراً ما كان المعالج، يضع حبة من الحمص "Ciser" في البقعة المكوية، كي يطيل مدة شفاء الكي، اعتقاداً منه أن الكي يُعتبرُ مصرفاً و مخرجاً لسموم البدن و أدراجه (خُمصة الكي).

يُعتبر الكي بالنار، مضاد استطباب في عديد من الحالات أهمها: تصلب الشرايين، نقص التروية القلبية و الاحتشاء، اعتلال عضلة القلب، الصرع، الإغماء أو الغشي "Syncope"، العته الشخي.

IX- المعالجة بالمحفزات النفسية:

وتشمل:

الأيورفيدا Ayur-vida:

الأيورفيدا أو علم الحياة (ayur = حياة - vida معرفة أو علم) هي الطب الهندي القديم الموروث ويسمى الطبيب فيه "Vid" هو في الحقيقة ليس نظاماً طبياً للعلاج، بل هو نظام هندي شامل للحياة يشمل الدين والفلسفة والعلم، ويعمل على استمرار الانسجام بين صحة الجسم والنفس والروح وبين الكون، وقايةً وشفاءً.

تطور الطب الإيورفيدي على مدى ٥٠٠٠ سنة وهو يحمل معه عصارة المعارف التاريخية والفلسفية والدينية والطبية معاً، وخضع إلى مدّ وجزر من حيث قبوله أو رفضه، حيث منعت ممارسته في بريطانيا في القرن التاسع عشر واعتبر خرافة محلية، وأغلقت كل مدارسها عام ١٨٣٣ و اقتصر عمل ممارساته على المعابد وفي القرى البعيدة. ولكن مع نهاية القرن عمل بعض المتقنين من الهنود والإنكليز على تقويم الممارسات الأيورفيدية من جديد، واستعادت مكانتها مع استقلال الهند عام ١٩٤٧، ومازالت تزدهر حتى اليوم إلى جانب الطب الإسلامي "Unani Med." والطب الغربي الحالي (التقليدي)، وتشجعها الحكومة الهندية كبديل غير مكلف للأدوية الغربية الكيميائية.

وفي السنوات الأخيرة، اجتذبت الأيورفيدا مزيداً من الاهتمام من قبل العلماء الصينيين في الغرب واليابان، وقررت منظمة الصحة العالمية، تشجيع ممارستها في الدول النامية.

يعتمد المبدأ الأساسي في الأيورفيدا على أن الصفات والخصائص الفردية لكل إنسان، من خصائص جسدية وعقلية ونفسية وعاطفية وغيرها... هي خصائص فريدة ومميزة له تشبه بصمة الإصبع مما يميزه عن أي إنسان آخر. هذه الخصائص تتضافر معاً لتجعله ذا طاقة صحية سوّية منذ ولادته تسمى (دوشا) ولكن هذه الطاقة سرعان ما تتأثر بعوامل عديدة كسوء الغذاء والدواء وتبديل البيئة المعيشية والاجتماعية وغيرها، مما يجعلها تتناقص ويختل التوازن منحرفاً باتجاه المرض، الذي يُعرّف في الأيورفيدا بأنه اختلال الوظيفة الخلوية السوية، بسبب زيادة أو نقصان أحد أنواع الطاقة الثلاث التي تدعى بالسنسكريتية الهندية:

- ١- طاقة (أتا): وهي طاقة الهواء والحركة وتقوم بالحفاظ على التفكير والتوازن العضلي الحركي. فإذا اختلت أدت إلى الخوف والقلق.
- ٢- طاقة (پتا): وهي طاقة النار والماء وتقوم بالحفاظ على توازن الأيض والذكاء والفهم. فإذا اختلت سببت الغضب والغيرة والكراهة.
- ٣- طاقة (كافا): وهي طاقة الأرض والماء، وتقوم بربط خلايا البدن وأعضائه وتناسقها مع بعضها، مزودة إياها بالمادة اللاصقة الرطبة المائية. وبهذا تقوم بدعم المناعة، والاتزان العاطفي والحب وصفات الخير. فإذا اختلت سببت الحسد والطمع و...

والإنسان دوماً في صراع دائم مع الظروف الحياتية البيئية والاجتماعية والغذائية وغيرها...

وإذا طغت إحدى هذه الطاقات بفعل العوامل العديدة التي ذكرناها، أدت إلى تبدل الصفات الفردية للشخص حسب طغيان كل طاقة من الطاقات الثلاث، وبالتالي تؤدي إلى خلل في وظائف الخلايا والأعضاء والأجهزة المتعلقة بها، ولا يسعنا المجال هنا للتفصيل في ذلك، إلا أننا نلاحظ الفرق بين الأيورفيدا وبين الطب الغربي الذي يركز على الأعراض والأمراض والخلل، ويستخدم الأدوية والجراحة والتقنيات للخلاص من مسبباتها، بينما لا تركز الأيورفيدا على المرض، إنما على توازن الطاقة وضرورة الحفاظ عليه كي تظل أنظمة الدفاع الطبيعية وقوية و سوية.

ولهذا تحت الأيورفيدا على ضرورة اتباع إرشادات حياتية عديدة تشمل ممارسة الرياضة باستمرار، وتجنب الأطعمة الدسمة والمثلجة والألبان، وتناول كميات قليلة من الأطعمة الجافة، وتجنب التخمرة والماء المثلج وغير هذا...

يتم التشخيص في الأيورفيدا من خلال جلسة أو جلسات تستغرق زمناً طويلاً، وتشمل الاستفسار عن كل مناحي الحياة الصحية والفكرية واليومية، كما تشمل فحوصاً لجميع نواحي البدن كاللسان والعيون و الشكل العام للبدن و نغمة الصوت وغيرها...

ويتم العلاج بتوصيات واقتراحات، الغاية منها إعادة التوازن إلى وضعه السوي، وذلك من خلال التأمل والغذاء الصحي والأعشاب والتدليك والاسترخاء وغيرها...

وعلى هذا نجد أن الأيورفيدا تقدم فوائد دائمة لكل من يبحث عن بديل للممارسات الغربية التقليدية. و أشهر الممارسات الهندية ما عُرف باليوغا.

اليوغا Yoga:

وتعتبر اليوغا "Yoga" من أشهر الممارسات الهندية.....، وهي تعبير فلسفي هندي قديم يعود إلى القرن الثاني ق.م، وليس هو بنظام طبي بحت، بل نظام عام يصلح لجميع الأعمار والأجناس ويمكن ممارستها في جميع الأوقات فهي تشمل: العقيدة والاتجاه نحو المثل الأعلى والعمل المضيء والاسترخاء والرياضة الهادئة، بغية الوصول إلى تخليص الجسم والنفس من أدران الحياة العديدة التي علقت به كالإرهاق العصبي، والسموم المختلفة (التبغ، الكحول، أسواء التغذية، عسر الهضم، الأدوية.....)، ومن حياة الدعة والسكون والقلق الحضاري والصفات المذمومة (الحسد، الكراهية، الغضب.....) وغيرها....، فتصل بالإنسان إلى حالة من التركيز العقلي، يتمكن معها من التحكم بأجهزته الجسدية تحكماً تاماً، حيث تصبح الروح معه على صلة بالخالق الأعلى، إذ تعتقد اليوغا أن القوة المقدسة التي هي قوة الأفعى، تتوضع أسفل العمود الفقري، وترتبط بواسطة الحبل الشوكي مع المراكز الدماغية الروحية العليا التي تشكل مركزاً نفسياً علوياً يشبه زهرة اللوتس "Lotus"، والهدف الرئيس هو الوصول إلى هذا المركز.

تشمل الممارسات اليوغية العديد من الممارسات العبادية الروحية والرياضة: كتجنب الأفعال السيئة (الكذب، الضرر، الحسد، الشره، البخل، الإفراط الجنسي....) وممارسة الأفعال الخيرة (كالنظافة والتقشف والصبر

والتدين والإخلاص للخالق....)، واتخاذ الأوضاع المريحة كالاسترخاء والتأمل والتركيز الفكري والتنفس العميق، والسيطرة على الحواس عن طريق إطباق الأجنان وعدم الإصغاء لأي مؤثر خارجي سمعي أو بصري.....

وبهذا أصبحت اليوغا في عصرنا الحديث وسيلة للعلاج النفسي عن طريق التحكم بالإرادة والعقل. وقد لاقت رواجاً عند الهنود أنفسهم، ولدى أهل الغرب والحضارة، الذين أفقدتهم حضارتهم المادية، الروح الفلسفية السامية للحياة الحقة. وقد أصبحت اليوغا ممارسات روحية رياضية يمارسها الممثلون والممثلات والزعماء في البلاد المتحضرة كبريطانيا وفرنسا وألمانيا، فيصلون عن طريقها إلى اللياقة البدنية والروحية، وصفاء الذهن وإطالة العمر والصبر على الشدائد.

تستطب اليوغا في الربو والسمنة والإمساك وأسواء الهضم والأرق والشيخوخة وسن اليأس والبواسير والدوالي ومشاكل العمود الفقري والصداع والشقيقة وضعف الذاكرة والاكتئاب ورثيات المفاصل وتحسين الدوران الدموي، وتنظيم عمل الغدد الصماء وغيرها....

المعالجة بالتنويم المغنطيسي والإيحاء:

التنويم والإيحاء هو بإيجاز زرع الأفكار من قبل الطبيب أو الإنسان المعالج في الإنسان المريض أو المنوم، حتى يصبح الأخير مطيعاً لأكل وكاشفاً لمكونات فكره. وظل التنويم بين مصدق ومكذب وقابل ورافض حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث استخدم بشكل جدي وناجح في علاج العديد

من الأمراض والأعراض النفسية والعصبية، وارتفاع ضغط الدم، وتسكين الآلام وغيرها. وتطورت استطبائاته وطرق إجرائه، ويذكر في التاريخ أن أول من استخدم التنويم في العلاج الطبي هم الفراعنة بهدف تسكين آلام المخاض وفي التخدير، وكان المحترفون منهم يحملون في أيديهم قضيباً من الحديد لإيهام المريض أنه تحت تأثير مغناطيس المنوم. أهم استطبائات التنويم المغناطيسي اليوم نوجزها فيما يلي:

- ١- التنويم المغناطيسي يكبح التفاعلات الانعكاسية (Reflexes) المؤدية للشعور بالألم، فهو يؤدي إلى استرخاء جسدي وراحة تامة يتلوها قبول الإيحاء من قبل المنوم، لهذا يستعمل في التخدير وفي تسكين الآلام بالعامّة كآلام المخاض والمفاصل والآلام السرطانية وغيرها...
- ٢- ويستخدم في تشخيص الأمراض عند الصّم، حيث ينومّ المعالج شخصاً آخر سليم البنية قائلاً: (سأصلك به لتحس بألمه ومرضه) فيحس المنوم بذلك ويخبر المعالج عن المريض واصفاً له التشخيص بدقة.
- ٣- يستخدم التنويم المغناطيسي بديلاً عن التخدير عند المتحسسين من مواد التخدير، أو عند الأمهات اللاتي يخشين أن يتأذى جنينهن بالتخدير.
- ٤- السرطانات بالعامّة حيث يكبح الألم ويرفع المناعة.
- ٥- طب الأسنان، حيث يهيأ المريض وبخاصة الطفل قبل دقائق من قبل طبيب الأسنان المتدرب والذي يمكنه إجراء أي عمل جراحي على السن والفك دونما تخدير وبكل أمان. ومجال التنويم هنا واسع جداً، وذو فوائد جمة.

٦- أمراض الجلد المستعصية، كالأكزما وتساقط الشعر والحساسيات الجلدية وحب الشباب والصدف، حيث طبق التنويم على حالات عديدة منها فأعطى نتائج مقبولة.

٧- الأمراض النفسية العصبية، وبخاصة الهستيريا هذا المرض الذي يشمل مجموعة كبيرة من الحالات دونما آفة عضوية تبرر ذلك، كالشلل المؤقت أو العمى المؤقت أو فقد كلام مفاجئ أو فقد وعي أو غيرها... تزول بعد فترة من الزمن.

مضادات استطبابات التنويم المغنطيسي ومحاذيره:

قد يستيقظ المريض المنوم فجأة قبل إنهاء العمل الجراحي، مما يسبب له آلاماً شديدة وصدمة عصبية خطيرة، ولهذا رفض العديد من الأطباء استخدام التنويم كبديل عن التخدير في الجراحات.

آلية التنويم المغنطيسي:

تقول الطبيبة (ماري اليزابيث فايمونفيل) المتخصصة في علم التخدير في مستشفى لياج ببلجيكا: (إن أخصائيي التنويم المغنطيسي العاملين في المستشفى، لا يقومون بأي أعمال تتصف بالشعوذة أو الدجل. فقد عملت في قسم الحروق والتجميل لسنوات عدة وكنت أدهش جداً عندما أكتشف روعة هذه التقنية التي شرعت في استخدامها كثيراً خاصة عندما أقوم بإجراء عمليات جراحية لا تخلو من الخطر... وإن أكثر من ٥١٠٠ مريض خضعوا منذ ١٢ عاماً إلى عمليات جراحية باستخدام تقنية التنويم المغنطيسي، مما جنبهم إلى حد كبير التعرض لأخطار التخدير العام وتعقيداته...)

يعتقد أن التنويم المغنطيسي يعطل القدرات الدفاعية مؤقتاً بآليات ما زالت مجهولة وقيد الدراسة في بلجيكا و الهند والولايات المتحدة والنمسا بالخاصة، حيث لوحظ أن التنويم يحفز المخ على إفراز الاندروفينات "Endorphines" المسكنة للألم. ومنهم من يفسر الظاهرة بتأثير طاقة المنوم عن طريق اشعاعات مازالت غير مكشوفة، أو عن طريق طاقة الهالة الأثرية الخاصة به، في المريض حيث تعتبر من الظواهر الخارقة التي يمتاز بها بعض الناس دون غيرهم.

أخيراً وعلى الرغم من الفوائد العديدة للتنويم والتي أثبتتها الدراسات الحيوية، فما زال البعض يعتبره نوعاً من الوهم "placebo" وضرباً من الخداع والشعوذة.

المعالجة بالاسترخاء Relaxation Therapy:

لقد نهلنا من حضارتنا العظيمة اليوم، نعماً لا تنكر وراحة جسدية وفرت علينا العديد من الأعمال المجهدة والمرهقة التي كان أسلافنا يقومون بها. ولكنها بالمقابل جعلتنا كآلة نسير على غير هدى، ففي كل يوم تقنية جديدة نستغني بها عن جهدنا العضلي، وفي كل يوم متطلبات مادية يعجز العديد منا عن تأديتها، فلولوسائل الحضارية أثمان غالية جداً، عدا أنها لم تعد من كماليات الحياة، بل من ضرورياتها. وقد أصبحت حياتنا اليومية رتيبة ومملة، وبخاصة حياة المكاتب، فبُعْذُنَا عن الهواء الطلق و تلوث هواء المدن، و بُعْدنا عن الشمس، و عيشنا في الطوابق و الغرف المحصورة و بخاصة مع ملوثات التدخين و المحروقات و الرطوبة، و غيرها..... و استخدامنا للعطور

الكيميائية و الأدوية المصنعة و الملابس البلاستيكية، و غيرها و جلوسنا ساعات طوال أمام التلفاز، و تأثرنا بالبرامج الهزيلة و الأغاني الساقطة و الإثارات الجنسية و الفكرية، و الغذاء المطهو و غيرها....كل هذا و أمثاله أصابنا بالعديد من الأعراض و الأمراض التي لم تعد الكيمياء من حبوب و أشربة و حقن و....تجدي نفعاً في علاجها و بخاصة بعد تراكمها مع الزمن. لهذا وجد الأطباء علاجاً لهذا التوتر العصبي، لا يعدو كونه رياضة ذهنية يلجأ فيها الإنسان إلى جو هادئ مريح تاركاً لجسمه و نفسه العنان للاستلقاء أو الاضطجاع بالوضع الذي يريحه، مركزاً تفكيره في موضوع معين، محاولاً استبعاد كافة الهواجس و الأفكار الأخرى، كأن يكرر عبارة أو كلمة أو بيتاً من الشعر، مسترخياً بهدوء و راحة نفسية كافية، بعيداً عن الضوضاء و الأجواء الصاخبة و المؤثرات المختلفة..... كالبساتين أو على الأسطح العالية تحت السماء الصافية أو في ردهات هادئة مجهزة بالموسيقى الناعمة و الإضاءة اللطيفة، أو قرب السواقي و الأنهار و البحيرات....

تدوم جلسة الاسترخاء هذه حوالي ربع ساعة مرتين في اليوم. و صاحب هذه الممارسة الدكتور "بنسون" من كلية طب جامعة هارفارد. يُمارَس الاسترخاء اليوم من خلال ست جلسات علاجية، كل منها تستغرق ٢٠-٣٠ دقيقة، يسترخي فيها المريض من كل توتر عضلي بعد أن يكون قد هبأ نفسه فكراً لهذا، أو أن الطبيب المدرب هبأه لها، و ذلك بتركيز النظر إلى منظر طبيعي ضخم، و تركيز السمع إلى أنغام موسيقية هادئة تقلد أصوات خرير المياه و زقزقة العصافير و صوت الطائرات البعيدة و غيرها... و بكلمة

موجزة يعتمد الاسترخاء على استبعاد المؤثرات البصرية (بالنور الخافت) و السمعية (بالبعد عن الضجيج) و استبعاد المؤثرات العقلية (بالتصورات المحببة) و استبعاد المؤثرات العضلية (باستبعاد التوتر) و استبعاد المؤثرات النفسية (باستبعاد العصبية و القلق - Anxiety).

تستطب جلسات الاسترخاء في الصداع، و حالات التوتر النفسي و القلق و الأرق، و ارتفاع الضغط و أمراض القلب، و حالات الكآبة و السوداوية و جميع الأمراض نفسية المنشأ، و الآلام الرثوية و خاصة فتق النواة اللبية (ديسك) و الضعف الجنسي و الشقيقة و الكولون العصبي (المتهمج) و الإمساك المزمن و التقرحات الهضمية، و أمراض نقص المناعة الذاتية (كالذئبة الحمامية SLE، و غيرها..).

تمارين الاسترخاء عديدة و ذات طرق و أشكال مختلفة، و تطبق على جميع أنحاء البدن و أجهزته، فهناك تمارين استرخاء لعملية التنفس من شهيق و زفير، و للتوتر العضلي في الأطراف و الظهر و الرقبة و الوجه، و للقدمين و البطن و الساقين و....

و بكلمة موجزة: الاسترخاء عملية تركيز ذهني، و قناعة فكرية، مع استجابة بدنية، يصبح الشخص بعدها أكثر قدرة على تحمل مشاق الحياة و أزماتها، و أكثر قدرة على الإنتاج، حيث تتحسن شخصيته و مقدراته و كفاءته.

المعالجة باللون و الضوء Photo Therapy:

أصبح التداوي بالألوان و الضوء علماً قائماً بذاته، بفضل ما قام به العالم غاديالي في ثلاثينات القرن الفائت، من تجارب و دراسات. كما أصبح طريقة علمية من طرق الطب البديل، حيث أثبت غاديالي بعد تجارب معقدة، أن لكل جسم حي، هالة كهرومغناطيسية أثرية حوله، تعمل على امتصاص طاقة اللون الأبيض من الجو، كي تعود لتوزعها إلى ألوان الطيف السبعة الأزرق Blue الأخضر Green الأصفر Yellow البرتقالي Orange البنفسجي Violet اللازوردي Indigo. و تمنحها للجسم الحي، بحيث يحصل كل عضو على اللون المناسب له، فيظل محافظاً على نشاطه و حياته. فخلايا العظام بيضاء و خلايا العضلات حمراء و خلايا الدم حمراء قانية و خلايا الطحال و الكبد حمراء قاتمة و خلايا الجلد سمراء أو مائلة للأبيض و هكذا... و على هذا اعتبرت الألوان من العوامل التي تؤثر في عمليات الاستقلاب.

و قد تبين أن لكل لون من ألوان الطيف السبعة، تأثيراً على الجسم الحي، و أن نقص تشبع الخلايا بهذا اللون يؤدي إلى أمراض مختلفة، و إلى تشوش أشعة الهالة الأثرية حول الكائن الحي. هذا الأمر كُشف بواسطة شاشات حساسة للضوء، اخترعها العالم (كيلنر) و تتألف من لوحٍ زجاجٍ بينهما محلول السيانين ذو اللون البنفسجي الحساس. فإذا وُضع التشخيص، و تبين وجود حالة من نقص أحد الألوان، يلجأ للمعالجة الضوئية من خلال جلسات يومية تستغرق كل منها حوالي نصف ساعة من الزمن حيث يُعطى المريض اللون الناقص عن طريق الجلد بوسائل مختلفة كالمناظير الموجهة أو مصابيح

مخصصة لذلك، أو عن طريق جهاز الهضم، بتناول مواد أُشبعت باللون المطلوب، كالحليب و الماء أو الفواكه، أو عن طريق جهاز التنفس، و ذلك بالتنفس العميق في أوساط مشبعة باللون: كالبساتين للمعالجة بالأخضر و الأماكن المغطاة بالسُّجف الملونة المطلوب لونها، و غيرها..... و حسب اللون المطلوب يمكن تناول العديد من الأطعمة ذات الألوان، ففي حال طلب المعالجة بالأحمر يعطى المريض اللحوم الحمراء و الكررز و الشوندر..... و في اللون البرتقالي يعطى البرتقال و اليوسفي و المشمش..... و في الأصفر يعطى البطيخ و الزبدة و الجزر..... و في الأخضر يعطى كافة الخضار و الفواكه الخضراء، و في الأزرق يعطى الخوخ و البطاطا و السمك و عنب الدب "Uva Ursi". و في النيلي أو الأزرق الغامق يعطى الباذنجان..... و في البنفسجي يعطى العنب و الباذنجان و التوت و العليق و هكذا..... و قد طُرِح في بريطانيا مؤخراً جهازٌ يطلق أضواء تشبه أضواء الفجر قيل إنه يساعد على التخفيف من حالات الكآبة الناجمة عن فقدان الشمس في فصل الشتاء، و التي يعاني منها الآلاف من البريطانيين و التي عرفت طبياً تحت اسم الاضطراب العاطفي الفصلي "Seasonal Emotional Disorder (S.E.D)".

كما أكّد الدكتور (جون أوت) بنتيجة تجاربه على تأثير الضوء في فئران تعاني من أورام سرطانية، أن الفئران التي تعيش تحت ضوء اصطناعي، تنمو أورامها السرطانية قبل شهرين أو ثلاثة أشهر من الفئران التي تعيش تحت

ضوء طبيعي، مما قد يُعْلَلُ بانتقال الموجه الضوئية عبر الأعصاب العينية مسببة نشاطاً فيزيولوجياً تعمل على عرقلة نمو السرطان.

و ما زالت أبحاث التداوي باللون مثمرة على الرغم من معارضة البعض لها، و في الجدول التالي ما قد يُرضي فضولنا في هذا المجال:

المعالجة بالرقى Spell or Charm Therapy

لاشك بأن الرقى كانت ولا تزال إحدى الوسائل الطبية المعتمدة لشفاء المريض، منذ أن خلق الله تعالى آدم حتى يومنا هذا.

و ليست الرقى سوى أدعية و توسلات إلى الله تعالى بأن يشفي المريض، سواء كان الراقي طبيباً أو رجل دين أو المريض نفسه. جاء في تسهيل المنافع ما يلي:

يقول ابن الجوزي:

(إنما الدعاء و الرقى، التجاء إلى الله تعالى، ليهب العافية بسبب سؤاله، كما يهبها بالسبب الذي وضعه من الدواء له.)

و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعوذ بهذه الكلمات:

(أذهب الباس رب الناس، إشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً.)

و في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه و سلم، يقول في المرض:

(بسم الله نستشفى تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يُشفى سقيمنا بإذن ربنا.) الرقيقة: البصاق.

و في بعض الروايات قالت رضي الله عنها: كان صلى الله عليه و سلم، إذا اشتكى الإنسان أو كان به قرحة أو جرح/ قال بأصبعه هكذا، إي وضع سبابته بالأرض، و رفعها، و قال: بسم الله فذكره. (أي ذكر الدعاء السابق) و قال في اللُّقْط (لابن الجوزي) أيضاً، و أخرج مسلم في أفرادهِ من حديث أبي سعيد الخدري أن جبريل عليه السلام أتى النبيَّ صلى الله عليه و سلم، و قال: يا محمد أشتكيت؟ قال: نعم. قال:

(بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفسٍ و عينٍ الله يشفيك، بسم الله أرقيك.)

و روى الشيخ وأحمد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال:

(من عاد مريضاً، لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم، ربَّ العرش الكريم، أن يشفيك، إلّا عافاه الله من ذلك المرض.) و الله سبحانه و تعالى أعلم.

فصل في رقية المريض لنفسه:

روى الشيخ و أحمد رضي الله عنهما، عن عثمان بن أبي العاص، رضي الله عنه، أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، وجعاً يجده في جسده، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

(ضع يدك على الذي يألم من جسدك، و قل: بسم الله ثلاثاً، و قل سبع مرات: أعوذ بعزة الله و قدرته، من شرِّ ما أجدُ و أحاذرُ)

قال: ففعلتُ ذلك، فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل أمرُ بها أهلي و غيرهم.

و روى عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه و سلم يُعلِّمنا مِنَ الحُمَى و الأوجاع: (بسم الله الكبير، أَعُوذُ بالله العظيم من شر عرق نفَّار و من شر حرِّ النار).

و قال في اللَّطُّ: فَإِنْ قِيلَ قَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَنِ الرِّقَى، فَقَدْ رَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ (ص) أَنَّ الرِّقَى وَ التَّمَائِمَ شِرْكٌ، فَالْجَوَابُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَخْلُطُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَلِمَاتٍ مِنَ الشِّرْكِ، فَنَهَى عَنْهُمَا لِذَلِكَ، فَإِذَا سَلِمَتْ مِنَ الشِّرْكِ، فَلَا بَأْسَ. وَ قَدْ خَرَجَ أَبُو دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ/ أَنَّ النَّبِيَّ (ص) قَرَأَ لثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ، بَنَ شَمَاسٍ فِي مَاءٍ وَ صَبَّءُ عَلَيْهِ، وَ قَدْ قَالَ (ص): (لَا بَأْسَ بِالرِّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكَاً).

و قد روى مسلم في أفرادِهِ، مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَعْرَضُوا رُقَاكُم عَلَيَّ، لَا بَأْسَ بِرُقَاكُم مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ. قُلْتُ وَ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلْإِمَامِ النَّوَوِيِّ: "وَ كَانَ الْمُرَادُ بِالرِّقَى الْمُنْهَى عَنْهَا، هِيَ الَّتِي مِنْ كَلَامِ الْكُفَّارِ، وَ الرِّقَى الْمَجْهُولَةُ الَّتِي بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَ مَا لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهَا، فَهِيَ مَذْمُومَةٌ، لِاحْتِمَالِ أَنْ مَعْنَاهَا مَكْرُوهٌ. وَ أَمَّا الرِّقَى الَّتِي بِالْقُرْآنِ وَ الْأَذْكَارِ الْمَعْرُوفَةِ، فَلَا نَهْيَ فِيهَا، بَلْ هِيَ سَنَةٌ. انْتَهَى وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

و مِنَ الرِّقَى صَبِغٌ عَدِيدَةٌ وَرَدَتْ فِي بَوَاطِنِ كُتُبِ التَّرَاثِ وَ الْكُتُبِ الشَّرْعِيَّةِ، سَوْفَ نَذْكُرُ بَعْضاً مِنْهَا:

١ - رقية الخضر:

يضع الراقي يده اليمنى على منطقة العضو الموضع: و يقرأ بصوت عالٍ:
(أقسمت عليك أيتها العلة بعظمة عظمة الله، و قدرة قدرة الله و عزة عزة الله
و بسطان سلطان الله، و بما جرى به القلم عند الله و بلا إله إلا الله إلا انصرفت).

٢ - رقية آيات الشفاء:

و قد روي عن الشافعي (رحمه الله) أن ولدًا له مرض، فدعا الله تعالى
و رأى الرسول (ص) في المنام يقول له: أين أنت يا شافعي من آيات الشفاء
فعمد الشافعي يحصي آيات الشفاء في كتاب الله (كل آية وردت فيها كلمة شفاء
أو مشتقاتها) فوجدها ست آيات هي:

- ١- و يشف صدور قوم مؤمنين. ١٤ التوبة.
 - ٢- وإذا مرضت فهو يشفين. ٨ الشعراء.
 - ٣- قد جاءتكم موعظة و شفاء لما في الصدور ٥٧ يونس.
 - ٤- فيه شفاء للناس. ٦٩ النحل.
 - ٥- و ننزل من القرآن ما هو شفاء.... ٨٢ الإسراء.
 - ٦- قل هو للذين آمنوا هدى و شفاء. ٤٤ فصلت.
- (الهدى شفاء من أمراض النفس و الروح. الشفاء من أمراض البدن).
فكرر تلاوتها على الطفل، وكتبها ومحاها بالماء وأشربه إياها فشفي.

٣- رَقِيَّ الْمَعِينِ:

يَقَالُ عَنْتَ الرَّجُلِ، أَيِ أَصْبَتْهُ بِالْعَيْنِ فَهُوَ مَعِينٌ وَمَعْيُونٌ، وَ يُقَالُ رَجُلٌ عَائِنٌ وَمَعْيَانٌ، وَ فِي الاصْطِلَاحِ: الْعَيْنُ هِيَ نَظَرٌ بِاسْتِحْسَانٍ مَشُوبٌ بِالْحَسَدِ "غَالِبًا" مِنْ خَبِيثِ الطَّبَعِ، يَحْصُلُ مِنْهُ ضَرَرٌ أحياناً، بِالاتِّصَالِ أَوْ بِالمُقَابَلَةِ أَوْ بِالرَّوْيَةِ أَوْ بِالْهَمِّ وَ التَّخِيلِ.

وَ قَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْعَيْنُ حَقٌّ، وَ لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ، لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ). وَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَخَصَ فِي الرِّقْيَةِ مِنَ الْحُمَةِ وَ الْعَيْنِ وَ النَّمْلَةِ. وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْعَيْنُ حَقٌّ).

وَ فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ). وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (أَمَرَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ أَمَرَ أَنْ نَسْتَرْقِيَ مِنَ الْعَيْنِ).

وَ ذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ وَ الزُّرْقِيِّ، أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ بَنَى جَعْفَرٌ تُصَيِّبُهُمُ الْعَيْنُ، أَفَأَسْتَرْقِي لَهُمْ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نَعَمْ فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْبِقُ الْقَضَاءَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ). قَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَ يُذَكَّرُ عَنْ جَابِرٍ يَرْفَعُهُ -: (إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْخُلَ الرَّجُلَ الْقَبْرَ، وَ الْجَمَلَ الْقَبْرَ).

و عن أبي سعيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يتعوذ من الجان،
و من عين الإنسان.

و من أنواع الإصابة بالعين الحسد، فكل عائن حاسد.

كما أن الحسد و العين قد يصيبان المحسود أو المعيون عن غير طريق
العين أو غيرها من الحواس العضوية (الجسدية)، بل عن طرق الاتصالات
الروحية، أو التخيلات الوهمية. فقد يكون العائن أعمى، و مع ذلك يؤثر في
المعيون بمجرد الوصف، قال تعالى في كتابه العزيز:

(إِنَّ يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُرْلَقُونَكَ أَبْصَارُهُمْ لَمَا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)
القلم ٥١.

و قد يعين المرء غيره من شدة حبه له و إعجابه به، كإصابة الطفل
المحبيب بعين أمه. كما أنه قد يعين نفسه بغير إرادة ذلك.

و لابد أن نذكر أن هنالك العديد من الرُقى نقلها العرب في جاهليتهم
(٢٠٠ سنة قبل بعثة الرسول ص) عن كهنة بابل، و مازال العديد منها تُمارسه
قبائل البادية، أو أناس من أهل القرى النائية، أحاطوا أنفسهم بهالة من العلم
و الروحانية، و ادّعوا إمكانية تسخير الجن و الملائكة و طرد الشياطين و دفع
أذى العين و الحسد. و قد طوّر هؤلاء المدّعون الرُقى بعد مجيء الإسلام،
و أدخلوا على ألفاظها تعابير إسلامية كالصلاة على الرسول صلى الله عليه
وسلم، و الاستعاذة و الحوقلة و غيرها.... و إنه لمن الطريف و الحكمة أن
نذكر أن بعضاً من تلك الممارسات (كصب الرصاص) المذاب على النار، في
وعاء من الماء مرات ثلاث، فوق رأس المريض الذي أصابته عين الحاسد

أو العائن و هو يصلي على رسول الله بصوت عال، حيث تتشكل قطعة الرصاص هذه بأشكال مختلفة، يعتبرها الراقي تنم عن صور الحساد الذين أصابوا المريض بالعين، ثم يلجأ إلى مسح جسم المريض بذلك الماء، و إلى إخفاء قطع الرصاص المتفتتة بنتيجة ذلك العمل، في قطعة من قماش مع قطعة نقود معدنية، و رميها في مفارق الطرق، كي يفتحها أول طارق بشكل عفوي، و الاعتقاد أن المريض سيشفى بمجرد فتحها و كشف ما فيها.

و من أمثلة هذه الرقى المختلفة رقية مشهورة لامرأة تُكنى بأُم خالد، اشتهرت في إحدى القرى التي أمارس فيها الطب، و لا بأس من ذكر نصها الحرفي "برقية أم خالد" حيث تضع أم خالد يدها على العضو المولم من المريض و تقول:

(أولها بسم الله، ثانيها بسم الله، ثالثها بسم الله، عاشرها بسم الله. بألف ألف الصلاة عليك يا سيدي يا رسول الله، أنا أرقيك و الله يشفيك، من كل حسد فيك، من كل فكرة (عين) فيك، من كل وجع فيك. لا بأس، لا بأس، لا بأس، مالك منفعة يا عين للناس. رآها سليمان بن داود في ظلام الليل، تنبح نباح الخيل، قال لها: إلى أين أنت راحية يا لاعة يا ملعونة؟)

قالت:

رايحة أُخرَّب الدور،	قال: باطل و بَطَال.
و أَعمر القصور،	قال: باطل و بَطَال
و أجعل الصحيح مكسور،	قال باطل و بَطَال
و أخضر الرضيع من سريره،	قال: باطل و بَطَال
و أسحبُ الفدان من نيره،	قال: باطل و بَطَال

أقسمت عليك أيها العين الصائبة، بأن أضحك في إناء من نحاس، و أغلق عليك بالزئبق و الرصاص، و أن أرميك في البحر الغواص، حتى لا يعود لك منه ملجأ و لا خلاص.

رقيتك بعصا موسى، رقيتك بأيات عيسى.

رقيتك رقية فاطمة بنت أبيها، (فاطمة الزهراء) لا مقطوعة و لا ممنوعة.

حصنتك أنت و هي بمائة و أربعة عشر سورة، آية آية، و سورة سورة.

أقسمت عليك أيها الوجع، أيها الحسد، أيها الفكر، بأن تخرج من العيون و الأبصار، من المناخر و الأنفاس، من الفم و الأسنان، من البطن و المصران، من الأرجل و السيقان، و لا تترك فيه لا كثيراً و لا قليلاً، كما تخرج الشعرة من العجين، ببركة أبينا ابراهيم الخليل.

أنا الراقي، و الله تعالى هو الشافي.

أنا الراقي، و الله تعالى هو الشافي.

أنا الراقي، و الله تعالى هو الشافي.

توكلت على الله.

و تتفخ أم خالد على الوجه و الأعضاء. و قد كان لقراءة هذه الرقية بصوت عالٍ عند رأس المريض، تأثير فعال عند العديد من المرضى، يفوق تأثير الأدوية على الرغم من التعابير المبهمة فيها. و بالطبع ليس لدينا أي تفسير لذلك سوى أن هذا الجسم البشري كعضوية حية (Organism) لا بد و أن يخضع للتأثيرات النفسية أو الكيمياوية أو غير ذلك... مما قد يكشف العلم آلياته في المستقبل.

٤- الرقية من المس:

كما أنه من الطريف أن أنكر أن ابنة لا يتجاوز عمرها السابعة عشر، ادّعت أنها ترى الملائكة، و أن الملائكة يعلمونها و يخبرونها عن كل ما تسأل. و قد اشتهرت إلى حد أن بعض المرضى الذين يراجعوني و زملائي في عياداتنا، و لا يحصلون على الشفاء المطلوب، كانوا يلجؤون إليها و يجدون ضالّتهم عندها. و بحكم تتبعي و شغفي بالإطلاع على هذه الأمور، فقد استأذنت والدها و جلست معها جلسات عديدة، كانت تدعي خلالها الاستعانة بأصناف من الملائكة، منهم الأطباء و منهم الشيوخ و منهم علماء الفلك و غيرهم... و قبل كل جلسة كنت أحضّر مسبقاً الأسئلة المطلوبة حول ما يهمني استكشافه و بخاصة حول المرضى و الأمراض و للتأكد من ادعاءاتها كانت أجوبتها (حسب ادعائها هي أجوبة الملائكة المدعويين)، أجوبة علمية دقيقة، لا تتناسب مع عمرها و لا مع ثقافتها (صف الشهادة الإعدادية).

و في بدء ممارستي كطبيب في أول الستينات، كان جاري (رحمه الله) في العيادة شيخاً معروفاً بقدرته على استحضار الجن و طرد الشياطين من المرضى المصابين بالمس، و بقدرته على التعامل مع السحر، و كانت عيادته عاجبة بالمرضى أكثر من عيادتي. و قد دعاني حب الفضول و المعرفة لأن الأزيمة عدة سنوات، فكان كلما جيء له بعارض (بمن أصيب بالمس)، ناداني من شرفته المطلة على العيادة كي أحضر جلسة طرد الشيطان، و حضرت العديد من تلك الجلسات المذهلة، يكفيني منها ذكر الجلسة الآتية:

مريض من قرية في غوطة دمشق، عمره (٣٧) سنة، متزوج وله أربعة أولاد، حضر مع والدته مصاباً بهياج شديد و تشوش في الوعي، ينبج كنباح الكلاب تماماً. وقد أحضرت والدته معها ما لا يقل عن ستين ورقة بين تحليل طبي و وصفة مشفى أو وصفة من زميل طبيب، مما عولج به خلال السنوات الأربع الماضية، و لكن دون جدوى. و بعد اليأس أحضرته أمه إلى ذلك الشيخ بنوبة من الهياج الشديد و النباح، فقام الشيخ عند رأسه، و أمره بصوت عالٍ بكلمات مبهمّة فهدأ. من تلك الكلمات و من محاورته معه فهمت من الشيخ أنه قد تلبّسه كلب يهودي، خلال عمله كبائع متجول. و بعد معاناة و قراءات و تهديدات دامت أكثر من ساعتين أمر الشيخ ذلك الكلب بالخروج من إيهام قدم المصاب و إلا أحرقه بالنار كما أحرق فلانة ابنة الملك فلان من ملوك الجن، و قام المريض بعد تأوهات شديدة و كأنه نشط من نوم طويل مستغرباً أين هو؟ و أين كان؟ و من هم الذين حوله؟ فما عرف سوى أمه.

و إن ما أذكره أن الشيخ كان يقرأ عليه بصوت عالٍ كلمات غير مفهومة، يخالطها بعض آيات القرآن الكريم مثل:

• و ألا تَعْلُو عَلَيَّ و أَتُونِي مُسْلِمِينَ...

• لو أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ ...

لقد حضرت ست جلسات من هذه عند الشيخ فما بين عامي ١٩٧٠م - ١٩٨٠م، و تابعت المرضى الذين تحقق لهم الشفاء و كنت كطبيب أقف مشدوهاً و محاولاً إيجاد تفسير علمي لذلك، و لكن عبثاً حاولت. إلا أنني

توصلت إلى قناعة شبه تامة، بأن مسّ الجن و السحر و غيرها... علوم بكل معنى الكلمة وما زالت مغلقة علينا.

و لو ذكرت أكثر من هذا لاتهمني قارئ هذه الأسطر بالخبيل أو الجنون أو المسّ و لأكدّ أنني أن الذي بحاجة إلى شيخ للمعالجة، في مطلع هذا القرن الواحد و العشرين الذي لم يعد يتجرأ أحدّ على ذكر مثل هذه الترهات دون أن يستطيع إثباتها بالوسائل العلمية و الإحصاءات الطبية الحيوية المتعارف عليها في عصرنا. و يكاد الزملاء الأطباء أن يراجعهم يومياً العديد من أمثال هذه الحالات، و يقفون مشدوهين لا علم لهم بها. و إنني أذكر أيضاً أن فضائية الجزيرة أو العربية (لا أذكر أيهما) عرضت عام ٢٠٠٥ جلسة مشتركة مع رجال من الدين الإسلامي، و رجال من الأقباط المسيحيين، لطرد الجان من بعض المرضى نساء و رجالاً، تشبه جلسات الشيخ المذكور، و ذلك من خلال آيات من القرآن كالتّي ذكرنا، و من خلال قَسَم من الكاهن أذكر نصّه: "أيها الجان أقسم عليك باسم المسيح ربنا أن تخرج، أنا أكلمك باسم الأب و باسم الابن أن تخرج من هذا المريض..." و هكذا و الله أعلم بما يخبئ لنا العلم في المستقبل.

٥- رقية للصداق و الشقيقة:

(بسم الله أريقك من كل داء يؤذيك- فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه، ففدية من صيام أو صدقة أو نسك- ربّ إني وهن العظم مني، و اشتعل الرأس شيباً، و لم أكن بدعائك ربّ شقيّاً- إني مسّني الضر، و أنت أرحم الراحمين..)

٦- رقية لمن يفرع عند النوم:

روى الشيخ أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله (ص) يعلمنا كلمات نقولهن عند الفرع من النوم: (بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين، وأعوذ بك ربّي أن يحضروني). قال فكان عبد الله بن عمر، يُعلمهن مَنْ عَقَلَ مِنْ أولاده. وَمَنْ لم يعقل بأن كان صغيراً لا يحفظها، كتبها وعلقها في عنقه.

٧- رقية أخرى للصداع والشقيقة:

عن داوود: إذا كتب هذا الاسم في كاغد (ورق)، وعلق على الرأس سكن صداعه. أو تلي عليه برئ. بإذن الله تعالى. و هو هذا:
(ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس، وأنزل الفرقان. إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد، والله عزيز ذو انتقام- أخرج منها مذموماً مدحوراً لأملأن جهنم منك و ممن تبعك منهم أجمعين.)
آل عمران- الأعراف

٧- رقية النملة:

اشتهرت بها الشفاء بنت عبد الله في الجاهلية، و النملة مرض جلدي يحس معه المريض كأن النمل يعضه، و هو ما يشبه الاكزيما في أيامنا، وقد بايعت الشفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكة، و قالت: يا رسول الله إني كنت أرقى في الجاهلية من النملة و إني أريد أن أعرضها عليك، فعرضتها فإذا هي: (اللهم ربّ الناس اكشف الباس).

و يذكر داوود الأنطاكي في تذكرته، أن الرقى جائزة، بناء على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا رقية إلا من عين أو حُمَى) ورد الحديث في "الطب النبوي" ص ١٣٧ بالنص التالي: [(لا رقية إلا من عين أو حُمَة أو دم لا يرقأ أو النملة) و أنها على نوعين (مَغْنِين):

• منها ما يُتلى أو يُقرأ أو يُقسَم به، و هو يشبه أصوات الحيوانات و الطيور لبعضها....

• و منها ما يكتب أو يُنقش، و هو يشبه جذب المغنطيس للحديد.. أو يَعْمَل بتأثير الحروف و روحانياتها.

و يؤكد داوود، أنه في جميع هذه الحالات، لا بد من الوهم (الوهم هو الإيحاء حسب علومنا الحاضرة.) و لهذا حتى في الطب العادي لا بد من تمتين حبل الثقة بين الطبيب و المريض و إلفاض العلاج مهما كانت فعالية الدواء.

و يذكر أيضاً، أن للرقى ترتيباً يشبه ترتيب الطبّ (في أيامهم) و هو أن يبدأ من الرأس ثم نزولاً لباقي الأعضاء.

و يذكر داوود بعض أنواع الرقى الخاصة ببعض أنواع الأمراض المعروفة آنئذ كالعين و التوابع و أم الصبيان و الصرع و الجان و الضرس و السهر و الفزع في النوم و العشق، و أوجاع القلب و الطحال و الحصى و عسر الولادة و الجذري و الحصبة و غيرها... حتى أنه يُثبت بعض الرقى للدابة المعبونة، و لطرد البق و الهوام و الحشرات... مما لا نستمكن بعلمونا الحالية من إثبات صحته أو من نفيه.

و أخيراً يمكننا إيجاز ما مرَّ معنا حول التطبيب بالرقى الشرعية،
بما يلي:

إن من يفيد من الرقى حقاً هو المريض المؤمن الموقن بالإجابة بموجب الآية
الكريمة: (و ننزل من القرآن ما هو شفاء للمؤمنين، و لا يزيد الظالمين إلا خساراً).

فالرقى الشرعية هي علاج ناجع للمؤمنين، و العمدة فيها تقوم على الدعاء
فالله تعالى يقول: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه، و يكشف السوء؟)

و يتم إجراؤها من قبل المريض المؤمن، و ليس عند السحرة و المشعوذين.
بينما علاج الناس عامة يتم بالعسل بموجب الآية: (شفاء أمتي في ثلاث: آية من
القرآن، و لعقة من عسل النحل، و شرطة محجم).

كذلك يمكننا القول إن العديد من المرضى الذين يتنقلون بين عيادات
الأطباء، دونما فائدة، قد يكونون مصابين بالعين أو السحر أو المس، أو بما
ورد في كتاب الله تعالى تحت اسم أمراض القلوب أو العقول أو النفس، دون
أن يعلموا ذلك، و دون أن يستطيع الطبيب الوصول إلى تشخيص تلك
الأمراض بوسائله الحالية و من خلال النظم الطبية المعتمدة.

فالعلاج لمثل هذه الحالات و الأمراض، يتم بالرقى الشرعية و الدعاء بكلام الله
تعالى و أسمائه و صفاته، و بنية مخلصه و تذلل للخالق، و بلغة عربية أو بلغة
مفهومة من قبل المعالج و المريض، و بصوت عالٍ و مفهوم. أما عند الأطفال
و غيرهم ممن لا يستطيعون التمييز و الإدراك، فلا مانع من تعليق تلك الرقى
مكتوبة، عليهم، أو وضعها تحت وسادة النوم، أو تلاوتها على إناء مليء بالماء

أو الزيت، و النفط فيه، حيث يعطى للمريض شرباً خلال أيام معدودة، أو تـمـسـح به أعضاؤه.

وأرى أخيراً من الطريف أن أنقل حرفياً جزءاً من نص ورد في دورية الفـيـصـل - العدد ٣٥٧، شوال ١٤٢٧ - نوفمبر ٢٠٠٦ حول مسؤولية العائن جاء فيه:

(و لا بد أخيراً من أن أذكر أن القرطبي قال: لو أتلـف العائن شيئاً ضـمـنـه، و لو قـتـل فعليه القصاص أو الدية. أما الشافعية فيرون أنه لا يقتل، لأن الحكم يترتب على ما ضبط دون ما يختص ببعض الناس أحياناً فيما لا انضباط له. و بعضهم ذهب إلى أنه إذا عـرـف العائن، فإنه يُمنع من الدخول على الناس، و أن يلزم بيته، فهو أشد ضرراً على الناس من المجنوم الذي أمر عمر بن الخطاب (ر) بمنعه من مخالطة الناس، و أشد ضرراً من ضرر الثوم الذي منع الشارع أكله من حضور الجماعة.) انتهى نص الفـيـصـل.

و مع أخذني بهذا الرأي و تقديري لكاتبه، لا بد أن أذكر طرفةً أخرى حول عائلة أعرفها جيداً، اشتهر جميع أفرادها في المنطقة بالإصابة بالعين، و كان كل منهم يعتمد أذى الآخر أمام الملأ بهذه الوسيلة، أي بمجرد تحديد النظر إليه حتى أصبحت العائلة مضرب المثل، و أصبحت قصصها لا تصدق لولا أنها رؤيا بالعين.

المعالجة بالهوايات Treatment With Hobbies:

إن ممارسة الهواية و هي العمل المحبب الذي تميل إليه النفس، و يمارسه الإنسان في أوقات الفراغ، و قد يتخذ منه مهنة أو حرفة - تريح النفس،

و ترتفع بها إلى المثالية و الإبداع، و تنقيها من أدران الحياة المختلفة النفسية و الجسدية.

و لو تأملنا في أعظم مفكري العالم و مبدعيه، لوجدنا أن لكل منهم هواية كان يمارسها، فيحصل على المتعة و الاسترخاء و الشعور بالرضا و الأمان و الحياة النقية.

تُبين إحدى الدراسات أن الذين يمارسون هواياتهم النافعة، هم أطول الناس أعماراً، و أقلهم أمراضاً، و أكثرهم صبراً عند الشدائد.

أكثر الهوايات التي حَظِيَتْ بالدراسة من قبل الأطباء، كانت الموسيقى، فقد ثبت طبيّاً أن التناغم الموسيقيّ، و تناسق الأصوات، يهب الإنسان تأثيرات مختلفة حسب نوع النغمات، فالموسيقا الهادئة تعمل على تصفية الذهن و دفع الملل و الكآبة و القلق، و تنمي في الفرد النزعة المثالية الخيرة، و تعين على الشفاء من أمراض عديدة عضوية و نفسية. و لهذا جهز العديد من المشافي و العيادات و المكتبات العامة.... بأجهزة تبث من الموسيقا الهادئة أعذبها، و تعين على تحمل الانتظار و إبعاد الملل.

و عكس ذلك، فالموسيقا الصاخبة المستخدمة في دور السينما و حفلات الأعراس و غيرها... تثير القلق و الصخب و العصبية. كما أن الموسيقا القوية الرتيبة العسكرية، تثير حماس الجنود... و قد أكدت بعض الاستبيانات الصحية على فائدة أنواع من الموسيقا في إزالة البدانة و الشحوم، و خفض سكر الدم عند السكريين، و خفض الضغط الدموي المرتفع، و معالجة مرض التوحد "Utism" و غيرها.... و قد توصلت الأميركية (آني وليامز) التي تعالج

بالموسيقا، إلى نتائج جيدة في معالجة سرطان الكولون و سرطان الدماغ و غيرهما...

و نُشرت مقالات حديثة حول فائدة إيقاع الطبول كوسيلة ناجعة للتخلص من الإجهاد و التعب. كما نُشر على بعض مواقع الشبكة العالمية، مؤخراً أبحاث عديدة حول تبدل ذرات الماء التي يُقرأ القرآن و الرقى الشرعية عليها، و قد مر معنا تفصيل ذلك في بحث المعالجة بالرقى الشرعية، و المعالجة بالماء.

و قد بدأ الطب الحديث، استكشاف أثر الموسيقا في خلايا الكائن الحي، منذ مطلع القرن الفائت. و ما زالت الأبحاث تُنشر في المجلات العلمية المعنيّة. و مؤخراً في الولايات المتحدة، وجد أخصائيو السمع في جامعة أيوا، أن النغمات الموسيقية الناعمة و الرتيبة، تساعد على تخفيف و معالجة طنين الأذنين، الذي يشكو منه حالياً أكثر من ٥٠ مليون أميركي، حيث تبين أن الاستماع لهذه النغمات نصف ساعة ثلاث مرات يومياً، يعيد للدماغ قدرته على التنسيق الصوتي و التركيز، حسب رأي الأخصائيين، و يُلهي الدماغ و يعيد تركيزه بعيداً عن النغمات الشاذة (الطنين).

هذا و من الهوايات الأخرى المحببة و ذات الفائدة نذكر الرياضة التي أصبحت مألوفة الدنيا و شاغلة الناس، مع الاحتفاظ بالأسواء الناجمة عن بعض أنواع الرياضات العنيفة المؤذية. كما نذكر الرسم الذي أصبح وسيلة عظيمة من وسائل المعالجة السلوكية و النفسية عند بعض المرضى، و بخاصة الأطفال. و هناك من الهوايات ما لا يُعد و لا يحصى كهوايات الجمع و تربية الطيور و مراقبتها و السباحة و غيرها... لا يسع المجال للتفصيل فيه هنا.

X-العلاج بالميزوثيرابي Mesotherapy:

هو علاج حديث يُستفاد منه بالخاصة في معالجة حالات البدانة التي أصبحت تمثل مرضاً من أمراض العصر وخصوصاً بعد خلود الإنسان إلى الدعة، ونقص النشاط الحركي والإعتماد على الوجبات الدسمة والسريعة والتخمة.

تم العلاج بالميزوثيرابي على يد الطبيب الفرنسي ميشيل بيسطور عام ١٩٥٢، ومبدؤه حقن غير مؤلم لجرعات صغيرة من الأدوية بواسطة إبر دقيقة خاصة غير مؤلمة، تحت الجلد (طبقة الميزوديرم). ومن المعروف في علم الجنين أن التطور الجنيني للمضغة يتكون من ثلاث طبقات:

• Ectoderm الطبقة الخارجية: ويتخلق منها الجلد والدماغ والثدي وغدد العرق.

• Mesoderm الطبقة المتوسطة: ويتخلق منها الأنسجة الليفية والعضلية والعظمية والغضروفية والدهون.

• Endoderm الطبقة الداخلية: ويتخلق منها المعدة والكبد والرئة والبنكرياس.

ويتم اختيار الأدوية المستخدمة حسب الحالة المرضية المعالجة (الاستطباب) ففي حال قصور دورة الدم تستعمل موسعات الأوعية، وفي حال وجود بؤر التهابية تستعمل المرديات، وفي التهاب النسيج الخلوي عند البدينين "Cellulitis" تستخدم الفيتامينات الطبيعية ومنشطات الاستقلاب والدوران، وهكذا تشمل المواد الدوائية المستخدمة عدداً كبيراً كمضادات الالتهاب

ومضادات الاحتقان والخمائر والمعادن والفيتامينات والمخدرات ومركبات العضلات والهورمونات ومضاداتها...

يتم حقن هذه المواد حسب الاستطباب في المنطقة التي يُراد معالجتها.

أهم استطباب العلاج بالميزوثيرابي: البدانة، ترهلات وتجعدات وشيخوخة الجلد، تساقط الشعر عند الجنسين، إعادة المادة الحيوية والشباب للبشرة وبخاصة في الوجه والرقبة، تحسين اللياقة البدنية، الأرق والتشنجات العضلية، متلازمة نفق الرسع، الانتانات، إدمان التدخين، الربو،...

والعلاج بالميزوثيرابي مأمون غير مؤلم ليس له أعراض جانبية سوى ازرقاق الجلد الذي يزول بعد فترة. وجميع الأدوية فيه مُصانقٌ عليها من إدارة الأغذية والدواء الأميركية "F.D.A" وقد أكدت الجمعية الأميركية للجراحة التجميلية، أن الميزوثيرابي هو البديل الآمن لعملية شفط الدهون، التي تعتبر حتى اليوم الطريقة الوحيدة التي أثبتت كفاءتها للتخلص من الدهون.

وقد أظهرت الدراسات الفرنسية أنه فعال بالخاصة في إنقاص الوزن وإعادة حيوية الجلد ومرونته، ومعالجة حب الشباب والاكزما والعقبول "Herpes" و الصدف والبهاق ونقص التروية والنقرس والروماتيزم والصداع والشقيقة واللقوة والربو وأمراض نقص المناعة الذاتية والتهابات الجيوب وحالات الإدمان المختلفة والكآبة وضعف السمع والبواسير والكلون المتهيج (العصبي) والحساسيات وغيرها...

XI-العلاج بالإبر المبتلة Homeo puncture:

و هو في الحقيقة يتبع نفس مبادئ الطب المثلي و الوخز بالإبر معاً و ذلك بغطّ الإبرة بالعلاج المناسب قبل وخزها، و بهذا نحصل على فائدة مزدوجة.

رائد هذه الطريقة (كما تذكر د. سامية عزام في كتابها "طبب نفسك بنفسك بالريفلوكسولوجي") هو البروفيسور "أنطون جابا سوريا" رئيس مؤتمر الطب الصيني و الممثل الرسمي له، و الذي نال في ٢٥ شباط ١٩٨٤م جائزة "داغ همرشولد".

XII-المعالجة بالخلايا الجذعية: أو العلاج الخلوي Cell Therapy:

الخلايا الجذعية (الجَنِيَّةِيَّة) هي الخلايا الأساسية لبناء الإنسان قبل تمايزها "Pre- differentiated"، و يتم جمعها بعد الولادة مباشرة حيث يكون دم الحبل السري غنياً بها. و من المعروف أن قيمة هذه الخلايا العظيمة و دورها في معالجة الأمراض، عُرِفَ مؤخراً، أما قبلها فكانت تعتبر من النفايات التي يتم التخلص منها عقب الولادة مع المشيمة.

يتم سحب دم الحبل السري بتقنيات عالية خلال الدقائق الخمس الأولى عقب الولادة، و يحفظ بطرق فنية ثم يُرسل إلى مخابر مختصة، حيث يعمل الفنيون على استخلاص الخلايا الجذعية و تخزينها في سائل آزوتي بدرجة حرارة ١٩٦ تحت الصفر لمدة مبدئية تبلغ ٢٥ سنة. حيث يتم الاتصال بالأهل قبل تمام هذه المدة لمعرفة ما إذا كانوا يرغبون حفظها لفترة أطول من ذلك.

أكدت الأبحاث العلمية على أن هذه الخلايا الجذعية، تتميز فيما بعد بطريقة عجيبة معجزة ما زالت مجهولة، و تتحول إلى جميع أنواع الخلايا التي تشكل أعضاء البدن و نسجه: كالعضلات، و العظام، و الجلد، و الأعصاب، و الدم و غيرها.....

كما تبين أن لهذه الخلايا قدرة كبيرة على معالجة العديد من الأمراض الخطيرة كالسرطانات بالعامّة و ابيضاضات الدم "Leukemias" و داء هوبجكن، و العديد من التشوهات الدموية الوراثية ك فقر الدم المنجلي "Sickle Cell Anemia" و الثلاسيميا أو فقر دم البحر المتوسط "Talassemia" و أمراض نقص المناعة الذاتية، و تأثيرات الأشعة الضارة و غيرها.... و لهذا يأمل الباحثون أن يكون لهذه الخلايا الجذعية مستقبلاً واعداً في معالجة أمراض مستعصية كالسكري و الزهايمر و التشوهات العديدة.

XIII- المعالجة المثلية التجانسية Homeopathic Therapy :

يعود الفضل في تأسيس المعالجة المثلية الحديثة إلى الطبيب و الكيميائي و الصيدلاني الألماني صموئيل هانيمان - Samuel Haneman (١٧٥٥م- ١٨٤٣م)، الذي كان ذا سعة من العلم و اللغة كافية لنيل احترام زملائه، و تقديرهم بجهوده و دأبه بالعمل و دقة ملاحظته. اعترض هانيمان على الطرق التي كان يُمارَس بها الطب آنذاك، و أكد أن الاستعمال العشوائي و الواسع للعقاقير المسهلة و فصد الدم "Blood Letting" و العلق الماص للدم "leeches" و أنواع السحر المختلفة.. من أجل الشفاء، كان كثيراً ما يسبب أذى المرض بدل شفاؤه. و أن الأعراض المرضية لا تعبر عن المريض بذاته،

إنما هي انعكاس خارجي لمحاولة الجسم التغلب على المرض "Reaction"، و لهذا فإن جرعة العقار التي تعطى للمريض من أجل الشفاء، يجب أن تدعم الأعراض، بينما لاحظ هانيمان أن الأعراض المرضية تشدد و تصبح أسوأ بتلك الجرعات، مما قاده إلى أن العقار كلما ازدادت درجة تمديده كلما أصبح أكثر فاعلية "Potentized" و أصبحت قدرته على الشفاء أكبر. و بالطبع هذه الفكرة تتعارض تماماً مع الممارسة التقليدية للطب "Orthodox" التي تعتمد على زيادة كثافة جرعات و مقارير المواد الفعالة.

و على هذا فإن الطب التجانسي (المثلي أو المثيلي) "Homeopathy" يختلف عن الطب التقليدي الهيبقراطي "Allopathy" الذي يعتمد معالجة المرض بضده، بأنه أي التجانسي يعتمد معالجة المرض بمثله مرتكزاً على مبدئين:

١- إعطاء جرعات مخففة جداً من الدواء الممرض.

٢- المعالجة الكلية للإنسان "Holism" دون معالجة عضو واحد أو جهاز واحد، فأعضاء الجسم لا تقوم بوظائفها كلاً على حده، بل تتأزر و تتشارك بعملها، و المريض يتجاوب مع مرضه برّد فعل و سلوك فردي نفسي و جسدي متميّز يخصه وحده.

أما الأدوية المثلية اللازمة لممارسة الطب المثلي فتستخرج من المصادر العديدة: النباتية أو المعدنية أو الحيوانية أو العضوية أو الكيميائية بطريقة التمديد و تخفيف المادة الأولية تخفيفاً كبيراً باستخلاص صبغته الأم، حسب طريقتين لسا في صدد شرحهما الأولى تعرف بطريقة هانيمان مؤسس هذا

النوع من الطب و يرمز لها بالرمز H، و الثانية طريقة كورسكوف و يرمز لها بالرمز K.

و هذه الأدوية التي خُفِّت جداً، تصبح حساسة و سريعة التأثير بحيث تفقد فعلها بسرعة لأدنى سبب، لهذا يلزم حفظها بعيدة عن الروائح الواخزة كالأثير و الكافور و دخان السكاير (التبغ)، و ألا تستعمل مع تناول الكثير من الشاي و القهوة و الكحول فالإفراط في تناول هذه المواد يؤدي للإقلال من فعاليتها.



الفصل الرابع

قصص من الأخطاء الطبية

كتاب الخطأ في الطب والطب البديل

قصص من الأخطاء الطبية

(منقولة عن الدوريات والمصادر المذكورة آخر الكتاب، وعن بعض الوقائع من الممارسة الطبية الطويلة.)

الآنسة هـ.م - ٢٢ سنة: طالبة في كلية الطب، إثر حادث سير على طريق دولي لم يستقبلها المشفى الخاص القريب و لم يقدم لها أي إسعاف. مما أدى إلى إصابتها بالشلل و وفاة زميلتها.

السيد ي.خ - ٣٧ سنة: أدخل المشفى الخاص لاستئصال حصاة كلية. لكنه بعد العمل الجراحي تحول إلى هيك عظمي و تشقق في جسده، وُضع تشخيص نقص تروية دماغي بسبب توقف القلب خلال الجراحة. خُرجَ إلى مشفى حكومي (حفاظاً على سمعة المشفى الخاص) و طُلب الأهل بمبلغ كبير كأجور للجراحة و ما قدّم له.

السيدة س.ع - ٣٢ سنة: أدخلت المشفى لاستئصال مرارة محصاة، أُجري العمل الجراحي لاستئصال المرارة لكن مع الأسف تم استئصال القناة الجامعة خطأً باعتراف الطبيب و اعتذاره، مما أدى إلى سوء حالتها العامة بعد الجراحة، و إجراء عملية أخرى لتصنيع القناة الجامعة من جديد، و من المعلوم أن نسبة النجاح في هذه العملية لا تتجاوز ٢٠%.

آنسة ر.ض - ٢٧ سنة: مصابة بخلع ورك ولادي متوسط مع قصر في الطرف السفلي الأيمن. خضعت لعمل جراحي على الطرف نفسه من قبل جراح عظام، و تم تطويل الطرف أكثر من اللازم. عاد الجراح و نصح الأهل

بعمل جراحي آخر على الطرف السليم لتطويله بالقدر المناسب للطرف المريض، أصيبت بذات العظم والنقي في الطرف السليم، و استمرت المعالجات ما لا يقل عن سنتين، و لم تُشف من العرج.

الطفلة ر.ن- سنوات: طفلة طبيعية بصحة جيدة. أُجري لها صورة شعاعية للقدم إثر وُثي المفصل خلال اللعب مع رفاقها، و لم يتبين وجود كسر، لكن ظهرت ظلال كيسية أسفل عظم الظنوب شخصها طبيب العظام على أنها مبدئياً "Endochondroma" أو نوع من أنواع "Fibrodysplasia" أو "Osteo Fibroma" و هي حالات منتشرة، و لا تتطلب علاجاً سريعاً، بل يكفي حالياً الانتباه و الحذر من حدوث رض عنيف قد يسبب الكسر بسبب تجوّف العظم و رقة القشرة العظمية. و لا بد من العودة بعد بضعة أشهر لإجراء عمل جراحي بتجريف العظم و تطعيمه من الفخذ. في اليوم التالي لمراجعة الطبيب عثرت البنت و حدث ما توقعه الطبيب، كسر أسفل الظنوب. أُجريت الجراحة اللازمة و الرد و وضع لها جهاز جبسي، و شكر الأهل الطبيب المعالج. بعد شهرين آخرين عثرت البنت ثانية، فأصيبت بكسر الكعبرة المعروف و المسمى طبياً (بكسر بوتوكولز) و ثبت بعد الرد بجهاز جبس. و ما أن مضى أشهر أربعة و من خلال اللعب مع شقيقها أصيبت بكسر في منتصف عظم الفخذ، هذه الكسور لفتت نظر الطبيب المعالج إلى ضرورة دراسة الوضع طبياً فتبين إصابة البنت بهشاشة عظمية (ترقق عظام) نادرة في مثل هذا السن، و لم يُكشف سبب الهشاشة الرئيسي، على الرغم من إدخالها عدة مشافي، و وضع التشخيص الاحتمالي بأن تكون مصابة بخلل هرموني غير معروف، على الرغم من أن التحاليل الهرمونية المجراة، كانت جميعها

ضمن الحدود الطبيعية. و ما زالت البنت تراجع الأطباء يوماً بعد يوم خوفاً من تكرار الكسور، و لكن دون تشخيص ثابت و لا معالجة مؤكدة.

السيدة هـ.خ- ٣٣ سنة: مدرسة متزوجة لها ثلاثة أولاد، شكت ألماً صدرياً أيسر متدرجاً يتشعب إلى الكتف و الظهر و الساعد و اليد، حتى أصبح لا يُطاق. راجعت طبيب قلب ثم طبيب جراحة عامة، و كان التشخيصُ ألاماً رئوية (روماتيزم) عضلية، لكن لم يسكن الألم مما اضطرها إلى مراجعة طبيب أخصائي بالأورام، و خاصة أنها لدى الاستحمام، لمست ضمن ثديها الأيسر كتلة بحجم الزيتون دونما أعراض أخرى. و بمجرد مراجعة الطبيب المذكور أشار عليها فوراً بضرورة استئصال الثدي و ذلك لأن الحالة سرطانية. عبثاً حاولت إقناعه بإحالتها لإجراء استقصاءات للتأكد، لكنه أصرّ و أكد التشخيص سريرياً و حاول الاتصال بالمشفى لقبولها. لكنها لم تستجب له و بخاصة أنها مدرسة مثقفة فتركته يائسة مُحبطة، و عادت لإجراء صورة ثدي "mammography" فأنت الصورة سلبية، و لم تقتنع فأعادت التصوير في مركز آخر و جاءت النتيجة أيضاً سلبية، و على الرغم من ذلك أصبحت مريضة بمرض نفسي يعرفه الأطباء هو الخوف من السرطان "Cancero-Phobia" حيث راجعت العديد من الأطباء، و أصر الجميع بناء على الصور أن ما تلمسته في الثدي ليس سوى عقد الحليب، و بخاصة أن الولد الأخير لم يرضع منها. و أجمع الأطباء على استقصاء العمود الرقيبي لاستقصاء وجود مشاكل فقرية سببت تلك الآلام.

السيدة ن.د- ٤٥ سنة: راجعت إسعاف أحد المشافي بكونج مراري صريح، على الرغم أنها خضعت منذ سنتين لعملية استئصال المرارة. أعطيت حالات

التشنج، و ما زال الألم، إلا أنه تكرر بفترات متقاربة، مما اضطر الطبيب المعالج لطلب التصوير بالصدى (ايكو) و بأشعة "X"، فتبين أن المرارة لم تستأصل، و هي محشوة بالحصى الصغيرة، أو قد تكون تشكلت فيما بعد و ملئت بالحصى (إذا كان هذا ممكناً طبياً أو مذكوراً في لوائح الأدب الطبي؟).
الطبيب ع.ف- ٣٢ سنة: طبيب مخدر عُرف باستهتاره و إيمانه، استدعى ليلاً لتخدير مريض مصاب بفتق مغربي مختنق لإسعافه، لكن تأخر بالحضور لأكثر من ساعة مما اضطر الجراح لإعطاء أمر لمساعد التخدير للبدء بتخدير المريض ريثما يحضر الزميل المخدر. و بعد أكثر من ساعة حضر ثملاً بالكحول، و أبدى انزعاجه من البدء بإسعاف المريض قبل حضوره، و هدد و توعد، فاضطر الجراح للإيعاز إلى كادر المشفى بإخراجه من غرفة العمليات، و بخاصة أن العملية قاربت الانتهاء. و بالطبع عوقب الطبيب المخدر على سوء سلوكه و استهتاره.

أ.ط- ٤٧ سنة: طبيب مريض مقبل على إجراء عمل جراحي لاستئصال كيسة مائية "Hydatid Cyst" في الكبد، أو لاستئصال مرارة، حيث لم يُبَيَّن التشخيص بدقة بنتيجة الدراسات و الفحوص. و بالطبع جلس مع زميله الجراح يسأله عن سلامة العمل الجراحي و هو يقول له بالحرف الواحد: (أنا الآن لست طبيباً بل مريض و من حقي أن أعرف كل شيء) فطمأنه الجراح و أطلععه على سلامة التجهيزات و الدراسات و التعقيم و كل المراحل الفنية للجراحة، مع الاحتفاظ باحتمالات خطورة لأي عمل جراحي تصل إلى ٢% و تتجم عن أمور خارجة عن إرادة الطبيب رغم اتخاذ جميع ما يستطيع من الاحتياطات: كخطورة التحسس للمادة المخدرة، و خطر التخريش الرغامي الناجم عن انبوب

التخدير، و خطورة اختلاطات ما بعد الجراحة كذات القصبات و ذات الرئة و الحساسيات الجلدية و خذل الأمعاء.... التي يمكن أن تحدث أحياناً و... و لدى فتح البطن الاستقصائي فوجئ الجراح بوجود كيس صفراوي خلف المرارة، لم يظهر في الفحوص المجراة قبل الجراحة، و لكنه استطاع استئصاله مع المرارة بشكل فني مقبول. أما ما حدث بعد الجراحة فهو نزف داخلي بطنيء اضطر معه الجراح إلى فتح البطن ثانية، و إرقاء النزف، و وضع الطبيب المريض على مغذيات الكبد و مرقنات النزوف (فيتامين K، C..) حيث عزي الموضوع إلى قصور سابق في الكبد لم تكشفه التحاليل المجراة قبل الجراحة. و بالطبع في مثل هذه الحالة، لا تقع المسؤولية على أحد، طالما اتخذت الإجراءات الفنية على الوجه الأكمل.

السيد ي.م- ٦٠ سنة: خضع لعملية قلب مفتوح و تم تبديل الشرايين المصابة بنجاح تام لكنه أصيب بصدمة خلال نقل الدم عقب العمل الجراحي مع نزف اضطر معه الجراح للفتح ثانية، و تبين بالفحوص المستعجلة أن زمرة الدم المنقول هي غير زمرة المريض.

المدرس السيد ع/ح ٦٠ سنة: فجأة أصيب بألم بطني متعمم، راجع الطبيب فوصف له حالات التشنج و مسكناً للألم و مضاد انتان على تشخيص التهاب أمعاء. اشتد الألم في اليوم التالي، راجع طبيباً آخر و تبين بالايكو و التحاليل وجود استسقاء خفيف بالكلية اليمنى، و التهاب حويضه و كلية، فاتجه التشخيص نحو الكلية و بخاصة أن في سوابق المريض وجود حصيات كلوية. تركز الألم في المنطقة المسماة (ماك بورني) و هي أسفل البطن الأيمن منطقة الزائدة الدودية. أجري له فتح بطن استقصائي فكانت الزائدة ملتهبة و خلفية

و قد شكلت درعاً قيحياً. أُجري التفجير و أعطى المعالجات اللازمة بالمضادات الحيوية خلال عشرين يوماً حتى تحسنت حالة المريض.

السيد ع.ي- ٦١ سنة: مدرس مدخن معتدل: أصيب ببيحة صوت تتكرر من آن لآخر، و راجع عدة أخصائيين في أمراض الأنف و الأذن، و كان التشخيص المبدئي أن السبب هو طبيعة العمل و التدخين، و نصح بالإقلاع عن التدخين مع إعطائه العديد من الأدوية المناسبة دون جدوى. بعد ثلاث سنوات أصيب بوذمة في الوجه و الأجفان خاصة مع شعور بالبرد و بطء التركيز، و كان التشخيص بعد الدراسات المستفيضة هو قصور كامل في الغدة الدرقية، و بين تصوير الدرق أنها ضامرة ضموراً كبيراً، فوضع على المعالجة الدرقية و تحسنت حاله.

قصة:

أخطأ طبيب مقيم بقصد التخصص بالتخدير، فأدخل أنبوب التخدير في المري بدلاً من إدخاله في الرغامى، عند شاب بعمر ٣٢ سنة، بغية فتح بطن استقصائي، و أصرّ على سلامة عمله، على الرغم من تنبيه الجراح له بظهور علامات نقص الأكسجة على وجه المريض و تبدل لون الدم... توفي المريض على طاولة العمليات. أحيل الموضوع إلى القضاء و أُلقيت المسؤولية على عاتق أستاذ التخدير لسببين: أولهما أنه فوّض الطبيب المقيم (المتدرب) هاتفياً، بالبدء بالتخدير ريثما يحضر هو خلال عشر دقائق، و الثاني أنه لم يحضر، فتحمل الجزء الأكبر من المسؤولية. أما الطبيب المقيم فحملته القضاء نسبة ٢٠% من المسؤولية لنقص خبرته و تدريبه و استهتاره برأي الجراح.

الطبيبة س.س:

مدرسة جامعية في إحدى الدول العربيّة، وصفت هرمون الدرق "Eltroxine" لبننت بعمر ١٣ سنة من أجل زيادة طولها، و لم تعد البننت بعدها لمراجعة الطبيبة إلا بعد سبع سنوات أصيبت بعدها بضمور الدرقية و خلل هرموني عام و أسوء تشكل في المبيضين و العظام بسبب متابعتها لتناول الهرمون الدرقى.

السيد خ.س - ٦٢ سنة - عامل:

راجع طبية اختصاصية في أمراض الجهاز الحركي، بسبب تنكّس مفصلي لم يتحسن بالمعالجات المعروفة، فوصفت له مستحضرات من أملاح الذهب لم يتحسن و توفي بعد ستة أشهر بفشل كلوي.

المريض ف-ه - ٤٧ سنة:

مريض سكري راجع الطبيب بألم الفخذ الأيسر الشديد و الذي استمر طويلاً و عولج عند العديد من الأطباء على أنه التهاب أعصاب سكري. و قد أدى استعماله للعديد من الأدوية، إلى إصابته بالتهاب معدة دوائي مزمن. أحد الأيام فوجئ بضعف في الساق اليسرى، تطور حتى أقعده عن المشي، و بحركة عنيفة أصيب بشلل نصفي سفلي. أحيل إلى المشفى لإعادة الدراسة من جديد، و كان التشخيص: سرطان عظم بدأ في الفخذ ثم انتقل إلى الفقرات القطنية.

المريض ع.ق - ٣٧ سنة محامي:

خضع لعمل جراحي استؤصلت فيه المرارة المحصاة، في مشفى خاص عن طريق التنظير الجراحي. و خرج من المشفى في اليوم التالي، بعد يومين آخرين أصيب بحالة إنشائية حادة أصر الطبيب أنها ليست بسبب الجراحة، شُيخ بالمضادات الحيوية، نكن الأمر تطور خلال أسبوع واحد فتشكل تجمع قيحي كبير في البطن، فأعيد إلى المشفى و فتح البطن ثانية لتفجير القيح، غُطي المريض بالمزيد من المضادات الحيوية الفطرية و الجرثومية، لمدة شهر كامل، مع تفجير القيح و الضمادات اليومية. تحسنت حاله، و عاد إلى عمله كمحام بعد ثلاثة أشهر. قررت لجنة المشفى الفنية أن السبب عدم التعقيم الكامل خلال العملية.

قصة:

السيدة ن.ي - ٧٠ سنة: أصيبت بالتهاب الأذن الداخلية و الوسطى و التهاب الخشاء القيحي الحاد. أعطيت جرعات عالية و متنوعة من مضادات الحيوية عن الطريق الوريدي و الفموي مع المراقبة، و تم الشفاء و تحسن التوازن خلال شهر و نصف، لكنها فقدت السمع في الأذن. و لدى إجراء التحاليل المخبرية للمراقبة، تبين وجود نقص عام في كريات الدم الحمراء و البيضاء و الصفيحات الدموية، و انقلاب في الصيغة الدموية. أُحيلت إلى طبيب أختصاصي في أمراض الدم، و تبين بالتصوير الطبقي المحوري للبطن وجود كثافات غير متجانسة في نسيج الطحال قد تشير إلى وجود لمفوما أو ما شابه، و بعد إجراء خزعة من نقي عظم الحرقفة تبين أنها سليمة الخلايا من الخبث،

و أعطيت الكورتيزونات لتحريض النقي على تكوين العناصر الدموية،
بتشخيص تعطل النقي بسبب الجرعات العالية من مضادات الحيوية مع احتمال
ضعيف بوجود لمفوما طحالية؟.

أجمعت آراء الأطباء على أن السبب الرئيس الذي أدى إلى تعطل تشكيل
عناصر الدم من قبل الطحال و نقي العظام هو الجرعات العديدة و الزائدة من
مضادات الحيوية؟.

الآنسة س.ن- ٢٥ سنة: عازبة و بصحة جيدة. شكت ألماً بطنياً حاداً أدخلت
المشفى للمراقبة بتشخيص سريري مبدئي: التهاب زائدة حاد أو كيسة مبيض.
أظهرت التحاليل ارتفاعاً طفيفاً في عدد الكريات البيضاء ... ٨,٧ /م^٣، بينما
كان فحص البول طبيعياً.

أجري لها فتح بطن استقصائي بسبب استمرار الألم الحاد، ادعى الطبيب
الجراح أنه استأصل كيسة مبيض.

لم يتوقف الألم حتى بعد التخدير و الإنعاش، مع إصابتها بعد الجراحة بعسرة
تبول، مع نز قحي غزير من شق العمل الجراحي، أكد الجراح أن سببه نفسي،
لكن المريضة لم تقنع بذلك فراجعت طبيباً آخر بعد شهرين، أحالها إلى الأشعة
فتبين وجود تجمع قحي خلف العانة، و كان التقدير أن السبب سوء التعقيم في
العملية الأولى.

أخضعت لعملية ثانية لتفجير القيح، و لكن دون جدوى و استمر النز الغزير
و الألم و عسر التبول.

أخضعت لعمل جراحي ثالث بعد شهر آخر دون جدوى.

أخضعت لعمل جراحي رابع، للتفتيش عن جسم أجنبي منسي في البطن، دون جدوى و دون وجود أي جسم غريب سوى النز القيجي.

استشير جراح أوعية و جراح عظام في مشفى تعليمي، فأجري فتح بطن للمرة الخامسة بعد ٣ أشهر، على خراج حوضي و ناسور أعور، و ترك جرح العملية مفتوحاً كي يترمم بالمقصد الثاني.

أحيلت إلى أستاذ الأشعة، الذي تبين له بالتصوير أن ما ظُنَّ أنه ظلّ خراج في الصورة، إن هو إلا الرحم. مما اضطرت معه لإجراء جراحة سادسة بعد ستة أشهر، لتنظيف الخراج، ثم جراحة سابعة بعد سنة و نصف، تبين فيها وجود ناسور مثاني متهتك من العمل الجراحي الأول الخاطئ الذي تم فيه استئصال جزء من المثانة مما سبب لها تعدد البيلات.

و كانت ثامنة الأثافي، حدوث خراج إلية، امتد إلى المغبن و الفخذ، و نجم عن حقنة غير عقيمة بيد ممرض المشفى.

استشير طبيب الانتانية فقرر أن أسباب القصة منذ البدء تعود إلى وجود نقص مناعة عند المريضة، و كان لا بد من عمل جراحي جديد لتفجير الخراج. اشترك في معالجة هذه المريضة أكثر من عشرة أطباء منهم أساتذة كبار. و تصعب جداً حصر المسؤولية السلوكية في مثل هذه الحالة.

قصة: في عام ١٩٩٨:

قامت خمس ممرضات من بلغاريا يعملن في مشافي ليبيا بالتعاون مع طبيب فلسطيني، بحقن أكثر من ٢٠٠ طفل عمداً بفيروس الإيدز "Aids". و حكمت المحكمة عليهم بالإعدام في حزيران ٢٠٠٤ م. تدخل الإتحاد الأوروبي

لتخفيف الحكم و دفع تعويضات لأهالي الأطفال، و معالجتهم، و استؤنفت الأحكام.

وفي ٢٨/٣/٢٠٠٥:

أذاعت فضائية الجزيرة أن بلغاريا عن طريق الاتحاد الأوروبي تضغط على ليبيا لإلغاء الحكم بسبب الاعترافات من الممرضات تحت الضغط، و طلبت تبرئتهن.

في أيار/ ٢٠٠٧ و بشكل مفاجئ أعلنت الفضائيات عن صدور إعفاء من المحكمة الليبية المعنية عن الطبيب الفلسطيني و الممرضات البلغاريات من خلال صفقة مغمضة مفادها أنهم اعترفوا تحت التعذيب. و في ١١/٧/٢٠٠٧ م ثبتت محكمة ليبيا حكم الإعدام على الممرضات البلغاريات و الطبيب الفلسطيني، كما ذكرت فضائية عربية. و ما بقي سوى التنفيذ؟ لكن بعدها أفرج عن الجميع في ظروف غامضة و سلموا للحكومة البلغارية و أصدر القضاء البلغاري عفواً عنهم.

قصة:

طفلة بعمر ٤ سنوات، استؤصلت لوزاتها و خرّجت من المستشفى بعد يومين من الجراحة، لكنها في المنزل أصيبت بحالة إنتانية، و نزف شديد من الجرح، فأسعفت إلى المشفى، إلا أنها توفيت قبل وصولها. (عملية بسيطة ليس لها أخطار، فما بالنا عمليات أكبر؟).

قصة: قام طبيب جراح خطأ باستئصال كلية سليمة لمريض بدل استئصال الكلية المريضة، في أحد المشافي، و توفي المريض بعدها.

قصة: في الستينات كان يستخدم الأثير "Ether" في التخدير، و في إحدى العمليات في مشفى أكاديمي جرى استخدام جهاز التخدير الكهربائي "Cauthery" خطأ، مما أدى إلى اشتعال غرفة العمليات و المريض المُخدَّر، و احترقت أيدي الأطباء و المساعدين و الممرضات و هربوا خارج العمليات، و توفي المريض.

قصة: في إحدى دور التوليد العامة، تم تبديل وليدين حديثين لأهلها خطأ بسبب استهتار الممرضة و فوضويتها، إضافة إلى اتهامها بأنها بدلت الوليد الذكر بالوليدة الأنثى.

قصة: في إحدى دور التوليد تم بيع مولود حديث إلى امرأة عاقر، من قبل الممرضة المشرفة بحجة أنه وُلد متوفياً و تمَّ دفنه.

قصة: المريضة ن.ج. ٥٠ سنة: تم استئصال المرارة المحصاة عندها، دون تحضير كبدي كاف، مما أدى إلى نزف شعري بطئ، اضطر معه الجراح للفتح مرة أخرى، و تغطية المريضة بالمرقنات (فيتامين K و C).

خبر: سحبت شركة "Pfizer" مستحضرها "بكسترا" الذي تبين أنه يزيد ثلاث مرات خطر التعرض للأزمات القلبية و الجلطات في مرضى أجريت لهم جراحة لاستبدال شرايين القلب.

خبر: دخلت امرأة تبلغ من العمر ٢٤ عاماً و تعمل ممرضة في حضانة في شونهاوس في جلوسترشير رويال، المستشفى للولادة العسرة، استخدم الأطباء المحجم السويدي "Ventouse Cap" أو (قلنسوة فيتوس). لتوليد الطفل جوشوا كونيلى. و أثناء عملية الولادة انتزعت طبقة كثيفة من جلد الطفل فيها جريبات شعر فتركته أصلع طول حياته. رفع والده دعوى عن طريق شركة قانونية

متخصصة بالقضايا الطبية، ضد المستشفى مطالباً بالتعويض عن ضرر الطفل و نجح الطفل البالغ من العمر عامين، في إحراز دعم قانوني لإقامته دعوى على إدارة التأمينات الصحية الحكومية.

ذكرت صحيفة الاكسبرس اللندنية أن الطفل حينما بلغ الشهر الثالث من عمره، كانت له خصل قليلة من الشعر، لكن لم ينم الشعر حول ندب الجروح، و لم يتم إبلاغ الأم من إدارة المشفى حول ذلك.

و يمكن إجراء عملية زرع الشعر حينما يبلغ الطفل السادسة لكنها غير مضمونة.

صرحت إدارة التأمينات الصحية أنها لا تستطيع التعليق على ما حدث بسبب الإجراءات القانونية؟؟.

قصة:

طبيب بريطاني نسائي، يعالج امرأة مصابة بالعقم، أصيبت بنزف حمي، قام بموافقتها على فتح البطن و استأصل الرحم، ثم اكتشف أنه يحوي جنيناً طال انتظاره لعدة سنوات. حُكم على الطبيب بالسجن المؤبد، و سُحب ترخيصه لسببين كما قررت المحكمة:

- ١- خطأ عدم تشخيص الحمل، مع وجود الوسائل السهلة في أيامنا لذلك.
- ٢- كان بإمكانه رغم موافقتها على العملية، أن يتوقف و يحرص على الجنين، و بعدها يعتذر لها، و غالباً ما كانت ستقبل عذره لحرصها على الولد.

الصحفية (بتس ليمان) ٣٩ سنة، المشهورة في U.S.A: توفيت من علاج السرطان، في أحد مشافي الأورام التابعة لجامعة هارفارد، الذي فضلت العلاج فيه. نظراً لسعة معرفتها من خلال عملها بالمشافي. وذلك بسبب إعطائها جرعة مكثفة جداً من العلاج الكيميائي. وطوي الموضوع، واتهم بالخطأ المشرفون على الكمبيوتر الذين يحددون بدقة عيار الجرعة.

U.S.A في فلوريدا: تم بتر القدم اليمنى لمريض سكري (غنغرين)، بينما القدم المصابة كانت اليسرى.

و تم استئصال الثدي السليم بدل الثدي المسرطن، لمریضة أخرى.

خبر: سحب عقار "Vioxx-25" المضاد للروماتيزم لشركة "Merck" والذي صرفت مليارات الدولارات لتسويقه منذ عام ١٩٩٩. أعلن سحبه من السوق عام ٢٠٠٤ حيث أدى إلى إصابات قلبية عديدة.

العلاج من مثبطات أنزيم كوكس-٢ الذي قيل إنه يساعد على علاج آلام التهابات المفاصل على المدى الطويل، دون أن يكون له آثار جانبية شديدة على المعدة (كالأسبرين و إيبوبروفين و خافضات الحرارة و مضادات الالتهاب الأخرى.....).

احصاء و تقرير طريف عن مجلة "Jana"

في دراسة "EMRO/WHO" بالاشتراك مع IFMSA حول مدى انتشار السلوك الخاطئ عند طلاب الطب في بلدان مختارة من شرق المتوسط هي مصر، الكويت، لبنان تبين ما يلي:

التدخين (التبغ و الشيشة) أكثر انتشاراً في مصر و لبنان منه في الكويت.

السبب حسب إقرار الطلبة في لبنان و الكويت هو الحصول على البهجة و الاسترخاء. أما الطلبة المصريون فهو التفاعل مع الغضب و النزق

"Anger+Stress"

و قد أبدى أغلب هؤلاء الطلبة الرغبة في الإقلاع عن التدخين. كشفت الدراسة أن أسباب النزق لديهم هي الخوف على المستقبل بعد التخرج. و قد عوّض اللبنانيون و الكويتيون عن ذلك بالإكثار من الطعام و السرعة في القيادة. بينما المصريون باستعمال الأدوية الموصوفة. و من حسن الحظ أن أغلبية المجموعات لم تحاول اللجوء للأدوية، لكن الطلبة اللبنانيين بالمقارنة مع زملائهم الكويتيين المصريين لجؤوا لتناول الكحول بكثرة.

ص.ص- ٣٤ سنة

موظفة جامعية في ديوان أحد المشافي، أصيبت بحالة إنتانية حادة، راجعت الإسعاف و لاقت الاهتمام من العديد من الأطباء بحكم عملها في المشفى، أدخلت المشفى، و أعطيت المعالجة الفنية الإسعافية ريثما تظهر نتيجة التحاليل، إلا أن حالتها تطورت إلى الإقياء و الصداع و تغيم الوعي، لم يرض الأهل الانتظار فنقلوها إلى مشفى آخر تمّ فيه إعطاؤها المصول و المضادات و المعالجات الأخرى على تشخيص حمى ملطية، و بدأت الحالة تسوء أكثر فأكثر خلال ستة أيام فطلّب لها استشارة من طبيب إنتانية قام بإجراء بزل شوكي لها و تبين إصابتها بالتهاب السحايا و الدماغ الحاد و نظم لها خطة علاج جديدة استمرت عليها خلال أسابيع ثلاثة شفيت بعدها إلا أن المرض ترك من العقابيل أموراً كثيرة: ضعف شديد في الذاكرة، و وهن عام و .. مما

أدى إلى إهمالها لأطفالها الثلاثة و زوجها و إلى تفكك أسرتها، مما لم يعوّضه عودتها إلى وظيفتها في نفس المشفى لكن قدراتها الإنتاجية العقلية و البدنية تدنت إلى حد كبير.

قصة:

جراح في مشفى خاص يقوم بعملية كبيرة، توفي المريض خلال العمل الجراحي، خرج بلباس العمليات ليطلب من الأهل المنكوبين دفع ما تبقى عليهم من المال قبل إنهاء العملية، و دون إعلامهم بما حدث. حاول الأهل تدبير الأمر و بقي مبلغ بسيط، لكن الطبيب رفض إخراج المريض من غرفة العمليات بحجة أنه تحت الإنعاش، حتى تدبر الأهل بالمبلغ و هرب الطبيب من المشفى، و فوجئ الجميع ب وفاة مريضهم... و لن نذكر ما حدث بعد ذلك.

قصة:

جراح قام باستئصال ورم دماغي بحجم البرتقالة، قريب من مركز الاتصال البصري، عند شاب بعمر ٢٧ سنة، و على الرغم من إفهام المريض و الأهل خطورة العمل الجراحي على البصر، و توقيعهم على الوثيقة الخطية المعروفة و المطلوبة في المشافي بالسماح له بإجراء الجراحة مع تفهم الأخطار و إعفائه من المسؤولية، إلا أنه خضع فيما بعد للوم و المساءلة من زوجة المريض بحجة أنها المسؤولة الوحيدة عنه، و ليس أهله المسؤولون. و بالطبع برئ الطبيب الذي قام بواجبه على الوجه الأكمل.

عن مجلة المدونات الطبية العددية - العدد ٢٥ (٣) أيار - حزيران ٢٠٠٥:

وبائيات الإصابة بوخز إبر الحقن بين العاملين في الرعاية الصحية في المستشفيات الثانوية بالملكة العربية السعودية
مقدمة: إن حدوث إصابات وخز غير مقصودة بإبر الحقن وارد كخطر مهني لدى العاملين في الرعاية الصحية في أثناء العمل. الهدف من هذه الدراسة مراجعة وبائيات الإصابة بوخز إبر الحقن في مستشفى بريدة المركزي الذي يضم ٢١٢ سريراً و المصنف كمستشفى ثانوي في مدينة بريدة بالملكة العربية السعودية.

المرضى و الطرق: أجرينا تقصي مراجعة لكل الوثائق المبلغة ذاتياً و المتعلقة بإصابات وخز إبر الحقن للفترة ما بين يناير ٢٠٠٢م إلى ديسمبر ٢٠٠٣م. تم تحليل البيانات لتحديد العمر و الجنس و الفئة الوظيفية للعاملين في تقديم الرعاية الصحية الذين عانوا من إصابات و عوامل الخطر المسؤولة عن إصابات وخز إبر الحقن.

النتائج: سجل العاملون خلال فترة عامين ٧٣ إصابة بوخز إبر الحقن أو بآلات حادة أخرى. تعرض الممرضون إلى ٦٦% من الحوادث، الأطباء ١٩%، الفنيون ١٠%، و أفراد المساندة غير السريرية ٥,٥%. حدثت غالبية الإصابات (٥٣,٤%) بعد الاستخدام و قبل إتلاف رؤوس الحقن. تسببت المحقنة بـ ٦٣% من جميع الإصابات. حدثت معظم الإصابات عند إعادة تركيب رؤوس الحقن المستخدمة (٢٩%)، و أثناء العملية (١٩%)، و عند الاصطدام بأجسام حادة (١٤%). كما سبب إتلاف المواد إصابات بنسبة

(١١%) و ذلك عن طريق الأدوات الحادة الخفية (٥%) أو عند التعامل مع مواد محتوية على إبر حقن لم يتم التخلص منها بصورة صحيحة. الاستنتاج: تشدد هذه البيانات على أهمية رفع الوعي مع تثقيف و تدريب العاملين بالرعاية الصحية على الإبلاغ عن الإصابات بوخز إبر الحقن و الوقاية منها.

إهمال طبي تسبب في كارثة:

دخل المستشفى بحادث سير، و خرج محملاً بفيروس الإيدز.



الخاتمة

كتاب الخطأ في الطب والطب البديل

خاتمة الكتاب

أيها القارئ الكريم:

إن ما ورد في كتابي هذا (الخطأ في الطب والطب البديل) منذ المقدمة حتى هذه الخاتمة، ليس هو كل شيء، فقد أسلفتُ أنه كلما استمر الطبيب في الممارسة المهنية (أو ما كان يدعوه العرب في أوج حضارتهم بالصنعة الطبية) كلما ازدادت أخطاؤه. والطبيب الأكثر عملاً هو الأكثر أخطاءً، مهما بلغ من العلم والخبرة حيث إن كل ابن آدم خطأ. "وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما أنه من الصعب جداً توقُّع هذه الأخطاء، حيث إن التطور الحضاري، يخلق كل يوم ما هو جديد دوائياً وتقنياً وسلوكياً، ولهذا يقف الشرع والقضاء أحياناً حائرين للبتِّ في خطأ طبي لم يكن بالحسبان، وبالطبع لا يحلُّ الموضوع حينئذٍ إلا بالاجتهاد عن طريق لجانٍ طبية وقانونية مُحكَّمة.

إن الأعباء الملقاة على عاتق الطبيب - وهو العنصر الرئيس في الممارسة الطبية - أعباء كبيرة ومهمّات جسام، لا بل هي في الحقيقة أمانة أخلاقية ودينية وشرعية وقانونية، وحتى يتمكن من أداء هذه الأمانة بالشكل الأمثل، لا بد أن تكون ممارسته في بيئة تحترم فيها القوانين، ويسود فيها العدل ويحفظ فيها للطبيب كرامته ومكانته، وللمريض حقه. وإلا كما أسلفنا ضمن طيات الكتاب تزداد الأخطاء الطبية، ويضيع الحابل بالنابل، وكل طرف يلقي تقصيره على الطرف الآخر ويتصل من المسؤولية.

إن موضوع "البدالة في المشافي" الذي سنختصره ببضع كلمات، هو في الحقيقة موضوع العصر، ويحتاج كتاباً قائماً بنفسه، لهذا نرجو المَعذرة على الاختصار، لعل الله تعالى يقبض لنا وقتاً لإصدار كتاب خاص به نظراً لأهميته في المستقبل.

إن هذا الكتاب الذي استغرق العمل في تأليفه أكثر من أربع سنوات، في كل يوم منها كان هناك جديد، لا يغني عن مشورة الطبيب أبداً إنما كُتِبَ للثقافة الطبية فقط، والطبيب وحده هو الذي يقدر حالة مريضه بشكل أكمل.

نتسابق جميع بلدان العالم اليوم، لاستنباط ماورد في تراثها الطبي فتعمل على قبولته بشكل علمي على ضوء الحضارة التي نحيّاها في عصرنا وذلك بعد أن أكدت علوم التاريخ والآثار، أن الإنسان مرّ بحضارات متقدمة تكاد تفوق حضارتنا أو توازيها. ومازال العالم العربي والإسلامي في بدء هذه الانطلاقة وإننا لنبارك حقاً علماء وأطباء الوطن العربي الذين بدؤوا يبحثون عن مكونات الطب العربي والإسلامي، وبخاصة عن طب القرآن الكريم والطب النبوي داعين لهم الله بالتوفيق للحاق برُكْب الطبّ البديل في بلاد العالم.

أخيراً إنني آمل من الزملاء الأطباء بالخاصة والعلماء بالعامّة في القطر السوري والأقطار العربية الأخرى، أن يؤلّوا الطب العربي والإسلامي حظّه من الدراسة والتمحيص، دراسةً جامعية "أكاديمية"، تكون قاعدة لممارسة طبية ميدانية ممارسةً فعليةً من خلال عياداتهم ومراكز عملهم، فيُحقّقوا بذلك أهدافاً عديدة، نحن بحاجة ماسةً إليها اليوم، حيث سيّستِ الصهيونيةُ ومن ورائها

الغربُ بأجمعه، العلومَ والطبَ لصالحهم، وطمسوا و مازالوا يُحاولون طَمْسَ
المعالم العربية الإسلامية في مناحي العلوم جميعها، كي يصلوا في النهاية إلى
طمس الحضارة التي أنارت الشرق والغرب بنوره في شتى العلوم، باعتراف
البعض القليل من مُنصِقِيهم، الذين كسروا هذا الإحتكار بعد أن تبينت لهم
الحقيقة الجلية، و أيقنوا أن للعرب و للإسلام فضل على كافة شعوب الأرض
من مشرقها إلى مغربها، فهم الذين حفظوا للعلماء مكانتهم، و هم الذين نبعت
المثل الأخلاقية عنهم، مروءةً و شرفاً و كرمًا و دفاعاً عن العرض و الدين،
و حفظاً لحقوق الجار و تكريماً للمرأة و صيانتها من العبث الغربي الذي لَبَسَ
رداء الحضارة المزيف، و تصدى لتحضير الشعوب، و ظن أن العلوم التي
اخترعها، و قتل بها الملايين من بني البشر، و أفقر بها الملايين الأخرى،
و محا بها المثل والأخلاق و الضمان، و شرّد بها النساء و الأطفال، و أذلَّ
بها الحكماء والعقلاء، و مجّدَ بها تجار المخدرات و الحروب و الانحرافات
الجنسية و غطّى ذلك بالعديد من مخترعات الأسماء و التعابير كالأصولية،
و الإرهاب، و غيرهما.... من تسميات حق أريد بها باطل، و لصقها بالإسلام
و المسلمين، و الإسلامُ و المسلمون منها براء. و أؤكد للزملاء الأطباء
بالخاصة، أن في بطون كتب التراث الطبي العربي و الإسلامي، من المعلومات
الطبية، و المواد العلاجية، ما يُذهل به عقل كل طبيب يحترم التجربة السريرية
و المخبرية التي تعلمها في جامعتة، و يحترم الأخلاق الطبية التي نشأت من
المنطقة العربية و هذبها الإسلام و جعلها من الأوامر و النواهي العبادية
العقيدية، خاضعةً للأجر و الوزر، تلك التجربة التي كانت في زمن ليس فيه
مجهرٌ و لا أشعة و لا كترون، سوى عصارة عالم امتلأ قلبه بالإيمان المطلق

و بالإسلام الحنيف، و انبرى يُحقق ذاته من خلال قوله تعالى: (قل إنما يخشى الله من عباده العلماء)، و قوله تعالى: (هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون)، فترك لنا تلك العصاراة التراثية الحيّة، التي أفاد منها الغرب قبل أن نُفيد منها نحن، و سرق الكثير منها كي يحفظه في مكتباته و معامله و يستقي منه متى يشاء و كيف يشاء.

المؤلف - د. توفيق

رمضان ١٤٢٨هـ / تشرين أول - ٢٠٠٧م

البدالة في المشافي (الاستشفاء المنزلي)

أصبح الاستشفاء المنزلي، تقنية و أسلوباً علاجياً بديلاً، و قد بدأ في فرنسا بعد موجة شلل الأطفال. و أول مستشفى منزلي بدأ عام ١٩٥٨.

يطبق الاستشفاء المنزلي في جميع الأمراض و الحالات الصحية: الولادة، الأمراض الصدرية (كالتهاب القصبات، الربو..)، السرطانات، المولودين حديثاً، غسيل الكلى...
آليته:

يبقى المريض مع أهله و ذويه في المنزل، و يأتي الكادر الطبي لعلاجهم و إرشاد ذويه في المنزل، مع التقنيات الممكن حملها، و التي أصبحت متوفرة بفضل التقدم التقني الطبي، كأجهزة الأشعة المتنقلة و أجهزة الرخص الكلوي

و غيرها.. و يتم تعليم الأهل استخدامها بتدريب بسيط أو بإبقاء ممرضة أو خبير مع المريض للقيام بذلك.

فوائده:

يعتبر الأمان في المنزل أفضل و أكبر من الأمان في المشافي على الرغم من الاحتياطات العديدة التي تخضع لها المشافي، و بخاصة بعد أن باتت العدوى في المشافي من القضايا المزعجة، فالمشفى مؤثلاً للمرضى بالأمراض المختلفة، و للزائرين الذين قد يحملون العديد من وسائل العدوى و أنواعها، و للكوادر الطبية. و إن العديد من الحوادث أصبحت تُذكرُ على مستوى أغلب بلاد العالم حول ما يحدث من عدوى في المشفى.

قصة:

أدخل م/٣٥ عاماً غرفة العناية المشددة إثر إصابته بكسور و رضوض و جروح مفتوحة متهتكة في حادث سير، نُقل له الدم فنياً و نُضرت الجروح و أُبقيت مفتوحة بعد تحضيرها فنياً للعمل الجراحي اللازم، لكنه أصيب بعدوى بالجراثيم المكورة العنقودية الذهبية "Staphylococcus aureus" المعندة على جميع الأدوية، مما سبب له تجرثماً في الدم، فأعطي جرعات عالية من أنواع المضادات الحيوية المتوفرة لفترة أسابيع عديدة تحسن بعدها، و تمت السيطرة على الحالة، و همَّ الأطباء بتحضيره للعمل الجراحي، إلا أن الجرثوم عاود نشاطه مؤدياً إلى تسمم دموي آخر رافقه فشل في وظائف الكلى، مما أدى إلى وفاته.

اجتمع الأطباء لتقدير أسباب ما حدث، فكان إجماعهم على ما يلي:

١- المشفى موئل لجميع أنواع العدوى.

٢- إهمال القائمين على غرفة العناية المركزة الموجودة عند مدخل الباب الرئيس للمشفى، و ذلك بترك بابها مفتوحاً يمر الزائرون و المرضى من أمامه.

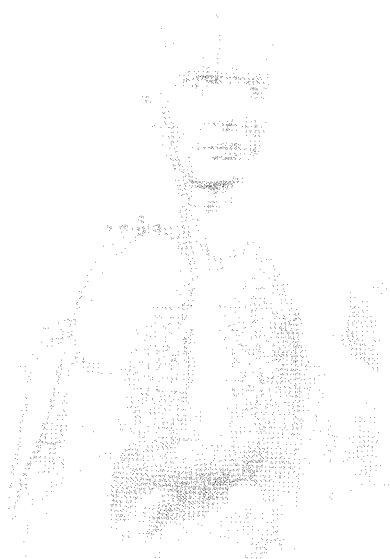
٣- حالة المريض إثر الحادث من انكسار المقاومة و حالة الوهن إثر الصدمة، مما يجعله أكثر عرضة لتغلب الجراثيم على مقاومته و مناعته الذاتية.

٤- تعنيد أغلب أنواع الجراثيم على مضادات الحيوية المتوفرة، بسبب أسوء الاستعمال التي تراكمت خلال السنين. و أخطر الجراثيم التي تنقل العدوى في المشافي هي المكورات العنقودية الذهبية سالفة الذكر، و زمر الجراثيم سلبية الغرام "Gram-Negative" و الجراثيم الحالة للدم "B- B" **"Hoemolytic Streptococcus"**.

هذا و إن هناك عوامل أخرى يفضل فيها الاستشفاء المنزلي، عن الاستشفاء في المشافي، أهمها رعاية الأهل و حنانهم العاطفي على المريض.

ما زال العالم العربي يعتقد أن المعالجة في المنزل لا تغني عن المعالجة في المؤسسات الصحية، و لعل أسباب ذلك يعود إلى الجهل بالطريقة، و النقص الإعلامي، و ضعف الثقافة الصحية.

صور ورسوم الكتاب



كتاب الخطأ في الطب والطب البديل

زيت الزيتون مسكن ألم

فائدة جديدة لزيت الزيتون

العصرة الاولى الفضل

تحتوي العصرة الاولى
والتي تليها من زيت
الزيتون على اكم كمية من
مادة «اوليو كانثال».

اكتشف باحثون من مركز أبحاث في فيلادلفيا في الولايات المتحدة أن 50 جراما من زيت الزيتون من العصرة الأولى تعادل نحو واحد بالعشرة من جرعة دوائية من الـ«إيبوبروفين» المسكن للألم بسبب وجود مادة تسمى «أوليو كانثال».

فوائد اوليو كانثال

تثبط نشاط إنزيمات لها علاقة بالالتهاب بنفس الطريقة التي تعمل بها مادة الـ«إيبوبروفين» المسكن للألم وغيره من عقاقير مضادة للالتهابات.



قزحية العين



إشارات الجسم التحذيرية



ينبغي على كل شخص بممارسة التمارين الرياضية أن يكون منتبها لأداء جسمه وأن يراقب الإشارات التحذيرية التي يطلقها

إشارات ضرورة التوقف عن التمرين

أي شعور مزعج في الصدر أو الذراعين أو الرقبة أو الفك

شعور بالدوار، خفة في الرأس أو الغثيان

قصور أو صغير في التنفس أو عدم القدرة على العودة إلى معدل التنفس الطبيعي خلال 5 دقائق

عدم الراحة أو ألم في أحد العظام أو المفاصل

أي شعور مزعج يمكن أن يسمى أمّا

مؤشرات ضرورة التوقف عن التمرين لفترة

عدم القدرة على إنهاء التمارين التي

كانت تمارسها بسهولة قبل يومين

عدم القدرة على التحدث أثناء

التمرين كما كنت تفعل سابقا

تعب مستمر : صعوبة في النوم



معدل ضربات القلب أعلى من

الطبيعي عند الاستيقاظ صباحا

توتر متزايد

القيام بالتمارين مكروها



دراسة أمريكية : ترتيل القرآن الكريم يريح النفس ويفيد القلب

أفادت أبحاث جديدة أجريت على مجموعة من المتطوعين في الولايات المتحدة، أن الاستماع للقرآن المرتل يتسبب في حدوث تغيرات فسيولوجية لا إرادية في الجهاز العصبي عند الإنسان، فيساعد في تخفيف حالات التوتر النفسي الشديدة.

ووجد الباحثون أن تلاوة القرآن أثرا مهدئا في أكثر من 97 في المائة من مجموع الحالات، وتم رصد تغيرات لاإرادية في الأجهزة العصبية للمتطوعين، مما أدى إلى تخفيف درجة التوتر لديهم بشكل ملحوظ، بالرغم من وجود نسبة كبيرة منهم لا يعرفون اللغة العربية، وأظهرت الاختبارات التي استخدمت رسومات تخطيطية للدماغ أثناء الاستماع إلى القرآن الكريم، أن الموجات الدماغية انتقلت من النمط السريع الخاص باليقظة، 12-13 موجة في الثانية، إلى النمط البطيء 8 - 10 موجات في الثانية، وهي حالة الهدوء العميق داخل النفس.

ولاحظ الباحثون أن الأشخاص غير المتحدثين بالعربية شعروا بالطمأنينة والراحة والسكينة أثناء الاستماع آيات كتاب الله، رغم عدم فهمهم لمعانيه، وهذا من أسرار القرآن العظيم وأعجازه، التي كشف الرسول صلى الله عليه وسلم، النقاب عن بعضها، حين قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتمهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (رواه مسلم).

وفي هذا الصدد، أظهرت دراسة جديدة أن الاستماع للأحان الهادئة والنفحات الحنونة ذات الإيقاعات البطيئة والتعبيرات التأملية العالية، كترتيل الآيات القرآنية، يؤثر بطريقة إيجابية في قلب الإنسان وصحته.

وأوضح الباحثون أن هذه النفقات تسبب تأثيرا مهدئا وراخيا للأعصاب، وهو ما يؤدي بدوره إلى إبطاء التنفس ومعدل ضربات القلب، فيفيد مرضى الأزمات القلبية خصوصا، بعكس الأحان الصاخبة ذات الإيقاعات السريعة التي تسرع التنفس وتزيد التوتر.

وقام الباحثون بمراقبة معدلات التنفس وضغط الدم والقياسات القلبية والتنفسية الأخرى، عند 24 رجلا وامرأة من صفار السن الأصحاء قبل وبعد الاستماع لمقطوعات موسيقية قصيرة ومختلفة منها السريع والبطيء والكلاسيكي والراب وغيرها.

ولاحظ هؤلاء في دراستهم التي نشرتها مجلة /القلب/ الأمريكية، أن الموسيقى سببت درجات مختلفة من التنفس السريع ورفعت ضغط الدم الشرياني ومعدل نبضات القلب التي تناسبت بصورة مباشرة مع الإيقاعات وتقديرات اللحن، وتبين أن نوع الموسيقى أو تفضيلاتها كانت أقل أهمية على العلامات الحيوية من الإيقاعات.

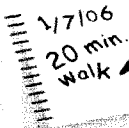
ووجد الخبراء أيضا أن الأحان البطيئة تحقق الهدوء النفسي الذي يزداد بشكل ملحوظ بالتوقفات القصيرة أو الانقطاعات بينها، وهو ما يحدث عند ترتيل الآيات القرآنية، حيث سبب ذلك حالة من الاسترخاء بصورة أكبر مما كان يلاحظ سابقا قبل استماع المشاركين للمقاطع الموسيقية.

السمنة المفرطة

وعقبات ممارسة التمارين الرياضية

أفادت دراسة علمية جديدة أجراها فريق طبي من جامعة متروبوليتان في مدينة ليدز البريطانية أن الذين يعانون من السمنة المفرطة خاصة النساء، يستلكن أكثر من التمارين الرياضية، ويشعرون باللياقة البدنية بصورة أوضح، وفيما يلي جدول بكيفية التغلب على العقبات التي تعيق ممارسة التمارين

العائق



الحلول الممكنة

مارس التمارين مع شخص قريب أو مجموعة، واحتفظ بمفكرة للتمارين. احتفل بالإنجاز الذي تحرز به

قلة الحركة والثقة



سجل الأهداف التي تريد تحقيقها اسبوعياً من التمارين، واحصل على الدعم من الأهل والأصدقاء



لا وقت للتمارين

قم بنشاطات يومية بطريقة تزيد من حرق الدهون. جرب المشي

عدم وجود معدات أو منشآت

امش، أو قم بتمارين لا تحتاج جهداً كبيراً، حاول التغلب على تفكيرك السلبي، واحصل على الدعم من الأهل والأصدقاء



تجربة سابقة سيئة

اختر من التمارين ما يناسب أحجاماً كبيرة، مثل الدراجات الهوائية، تذكر أن هذه الأنشطة البدنية تصبح أسهل بالتمارين

صعوبات بسبب الوزن



عدم التوازن

حاول السباحة والرياضات الأخرى التي لا تعتمد على ثقل الوزن على الجسم

تمرّن ببطء واجعل من التمارين شيئاً ممتعاً ومارسها مع صديق

القلق، الخوف



مصادر ألم أسفل الظهر والساقين

إن تضيق العمود الفقري، وهو حالة مزمنة تلازم العديد من كبار السن، يحدث بسبب رئيسي هو تآكل عظام الظهر مع التقدم في السن.

ديسك الفقرات القطنية

الإنسان العادي

يمتص الديسك الصدمات،
ويساعد العمود الفقري لدعم
وزن الجسم

تقوم القناة الفقرية بحماية
الأعصاب في العمود الفقري

مع تضيق العمود الفقري

يصبح الديسك جافاً وقابلاً للكسر

يمكن أن تضيق
الروابط السطحية
وبالتالي تنقبض

يضيّق العمود
الفقري، ويحدث
وخزات في الأعصاب
التي تتحكم
بالمضلات
والإحساس في
الساقين

تقوم الروابط السطحية
بحفظ استقرار العمود
الفقري وتسمح بمرورته

الوقاية

■ حافظ على قوة العضلات التي تدعم الديسك،
وتجنب الوزن الزائد

الحالات الخطيرة

■ يمكن أن تؤثر في الحوض ووظائف المثانة

العلاج

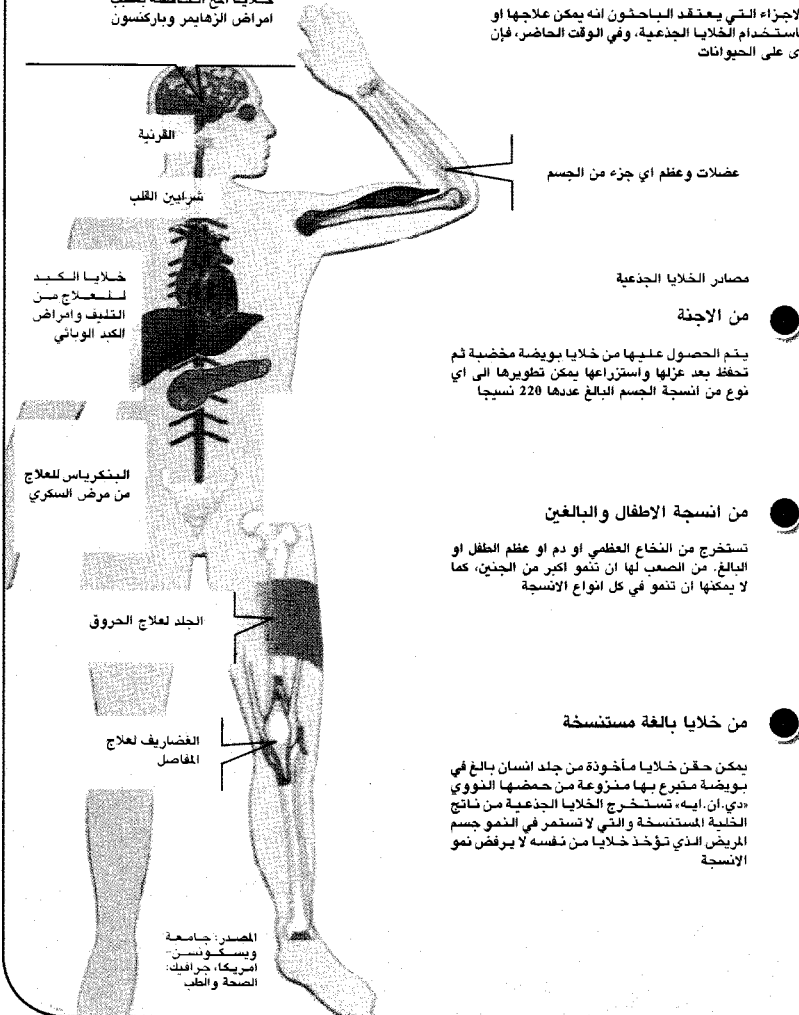
■ معالجة بدنية، تمارين، مضادات للالتهاب،
حقن ستررويد، عمليات جراحية

أفاق استخدام الخلايا الجذعية

يأمل الباحثون في أن يتمكنوا من معرفة كيفية استخدام خلايا جذعية رئيسية من جسم الإنسان لاستبدالها في علاج أو إصلاح الأجزاء التالفة من الجسم، ومن ذلك:

خلايا المخ التالفة بسبب
أمراض الزهايمر وباركنسون

فيما يلي الأجزاء التي يعتقد الباحثون أنه يمكن علاجها أو
إصلاحها باستخدام الخلايا الجذعية، وفي الوقت الحاضر، فإن
الأبحاث تجري على الحيوانات



عظام وعظم أي جزء من الجسم

مصادر الخلايا الجذعية

من الإجنة

يتم الحصول عليها من خلايا بويضة مخضبة ثم
تحفظ بعد عزلها واستزاعها يمكن تطويرها إلى أي
نوع من أنسجة الجسم البالغ عددها 220 نسيجاً

من أنسجة الأطفال والبالغين

تستخرج من نخاع العظمي أو دم أو عظم الطفل أو
البالغ. من الصعب لها أن تنمو أكبر من الجنين، كما
لا يمكنها أن تنمو في كل أنواع الأنسجة

من خلايا بالغة مستنسخة

يمكن حقن خلايا مأخوذة من جلد إنسان بالغ في
بويضة متبرع بها منزوعة من حمضها النووي
(دي. إن. إيه)، تستخرج الخلايا الجذعية من ناتج
الخلية المستنسخة والتي لا تستمر في النمو جسم
المريض الذي تؤخذ خلايا من نفسه لا يرفض نمو
الأنسجة

المصدر: جاسعة
ويسكونسن
أمريكا، جرافيك:
الصحة والطب

انتفاخ اللثة غير الالتهابي

■ يعود انتفاخ اللثة إلى زيادة في أنسجة اللثة لزيادة الخلايا اللثوية، وإلى الأدوية التي يتناولها المريض كعلاج لأمراض عضوية أخرى، وعادة ما يكون المريض الذي يعاني من انتفاخ اللثة غير الالتهابي غير مدرك لسبب الدواء الذي يتناوله

■ ما هو انتفاخ اللثة غير الالتهابي

■ يعتبر انتفاخ اللثة من أحد عوارض التهاب اللثة، وتوجد عدة أسباب تؤدي للاصابة بانتفاخ اللثة، وهي تختلف حسب اختلاف الأسباب المسببة للانتفاخ وله نوعان

■ الانتفاخ الناتج عن الدواء الذي يتعاطاه المريض.

■ الانتفاخ اللثوي غير العضوي.

■ الأعراض

■ رائحة كريهة بالفم أو مذاق سيئ.
■ تخلخل الأسنان وظهور بعض الفراغات بينها احمرار اللثة وتورمها وسهولة نزف الدم منها وخصوصا عند تفريش الأسنان وأحيانا حين الاستيقاظ من النوم، إضافة لظهور مادة بيضاء بين الأسنان واللثة تدعى الصديد.

طبقة البلاك

لثة ملتهبة

سن

العلاج

العلاج الجراحي

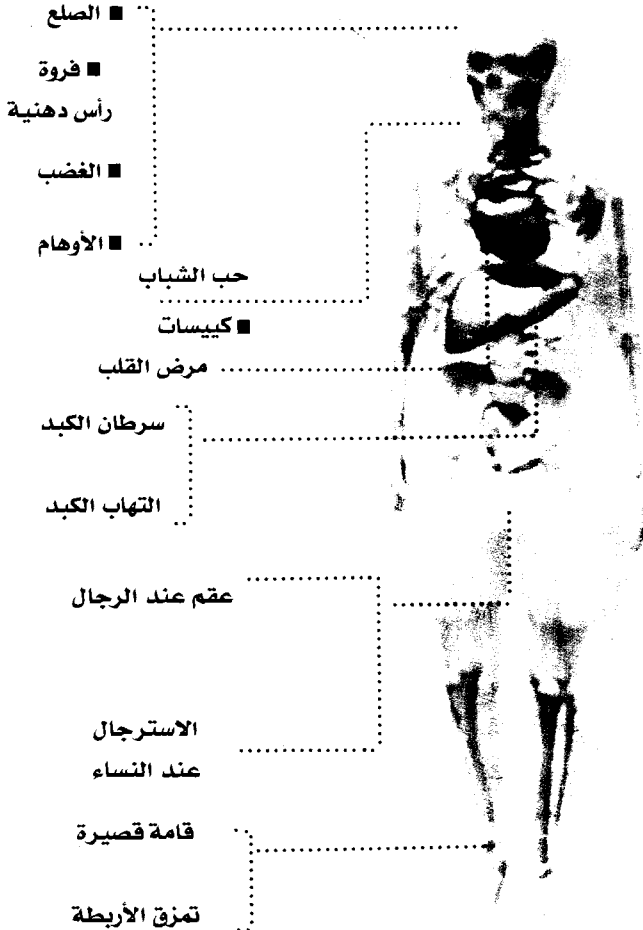
علاج بواسطة الليزر



مخاوف بشأن عقاقير الستيرويد

توليد عقاقير الستيرويد نزعة ادمانية، في حين أن تعاطيها على المدى الطويل يسبب تأثيرات جانبية مؤذية

العواقب المحتملة



المصدر : المعاهد القومية الأمريكية للصحة

الفيبروميالاجيا متلازمة الألم الليفي العضلي عند الجنس

تشكل النساء 75٪ من الأشخاص المصابين بمتلازمة الألم الليفي العضلي، مرض غامض إلى حد ما ويمكن الخلط بينه وبين أمراض أخرى.

المصابون:

يعاني من هذه المتلازمة نحو 5 ٪ من سكان العالم

■ ألم واسع النطاق لمدة 3 أشهر على الأقل

الأعراض

ألم في العضلات والأربطة والغضاريف

التعب: يتراوح بين المعتدل والحاد

مشاكل في الوظيفة الإدراكية والتركيز والذاكرة

متلازمة الأحشاء المتهيجة، اضطراب النوم، صداع، حساسية من الضجيج

آلة مصاب:

غير معروفة: يمكن أن يحدث بعد التعرض لإصابات قوية، أو مرض، ويبدو أنه ينتقل بين أفراد العائلة، ولا يوجد له علاج.

المعالجة

■ عقاقير خاصة بالأعراض

■ تدليك وغيره من الطرق البديلة

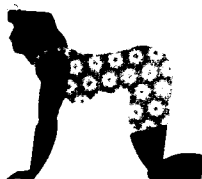
■ تغيير في نمط الحياة لتخفيف حدة الأعراض



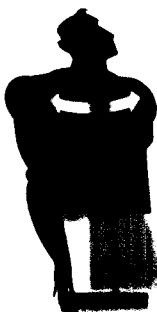
تمارين مفيدة لمرضى آلام الظهر

ينصح بالمشي والتمارين المائية عادة لمن يعانون من مشاكل وآلام في الظهر، والتمارين التالية مفيدة أيضا لمثل هؤلاء

القطة الغاضبة: تقويس
الظهر كوضع القطة
الغاضبة لمدة 5 ثوان ثم
الاسترخاء



تحذير: ان كنت تعاني من آلام في الظهر، يجب
استشارة الطبيب قبل ممارسة اي نوع من
التمارين



شد الكتاف:
قف مستقيما
وشد الكتاف
للخلف
كوضع
الجندي في
حالة
استعداد لمدة
5 ثوان ثم
الاسترخاء

امالة الحوض:
شد الريدفين
بوضع مستقيم
حتى مركز
الظهر
والانحناء
باتجاه الارض
لمدة 5 ثوان ثم
الاسترخاء

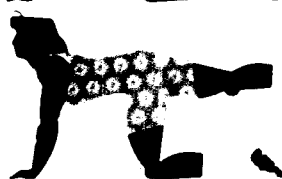


جذب الركبتين: اجذب
الركبتين ببطء في كل مرة
نحو الصدر ولامسهما
بجبهة الرأس لمدة 5 ثوان،
ثم اعكس الوضع وخفض
انحناء القدمين على الارض



رفسة الورك *: اجعل الظهر
مستقيما ومد الساق، ثبت الوضع
لمدة 5 ثوان ثم بدل الساق

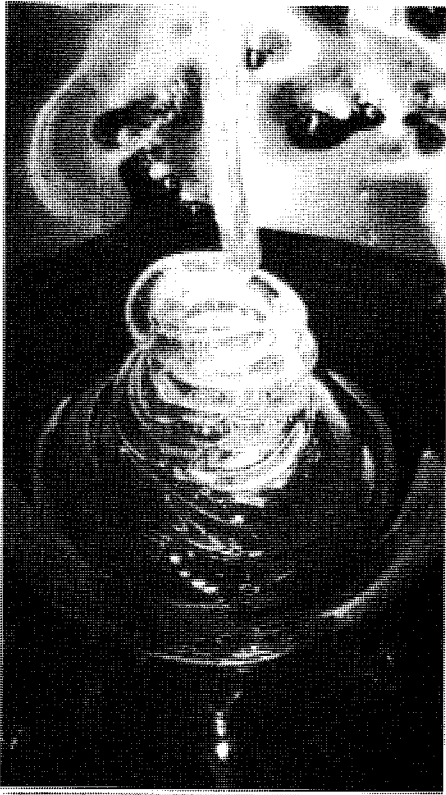
لا يجرى هذا التمرين
للاشخاص الذين يعانون من
تمزق الديسك او انزلاق الفقرات



الوضع النصفى: ارفع
الرأس والكتفين ثم خفضهما
ولا توقف التنفس



العسل يحمي القلب رغم كثرة سكرياته



أظهرت دراسة أجريت مؤخراً أن تناول العسل يقلل خطر الإصابة بأمراض القلب على الرغم من محتواه العالي من السكريات.

وأوضح الباحثون أن عسل النحل يتكون من سكريات رئيسية هي السكروز والجلوكوز والفركتوز المعروفة بتأثيراتها السلبية في القلب وعوامل الخطر المسببة لمرضه ومع ذلك ثبتت فعالية العسل في حماية العضلة القلبية ووقايتها من التلف والاضطرابات.

وأشار الخبراء إلى أن الغذاء الغني بسكر المائدة «سكروز» أو سكر الفاكهة «فركتوز» يزيد مخاطر البدانة ومقاومة الأنسولين وارتفاع ضغط الدم، كما يقلل مستويات الكوليسترول الجيد ويزيد مستويات الشحوم الثلاثية في الدم، أما العسل فهو خليط غذائي معقد يحتوي إلى جانب السكريات على عدد كبير من الانزيمات المفيدة والأحماض الأمينية والصبغات الطبيعية وجيوب اللقاح والشمع وكميات ضئيلة من العناصر الغذائية الموجودة في النحل والنباتات وهو ما يكسبه خصائصه العلاجية والصحية.

ومن المعروف أن للعسل خصائص مضادة للبكتيريا ويسرع التئام الجروح، وأكدت بعض الدراسات أن تناول العسل يقلل مستويات بعض المواد السامة التي تزيد خطر الإصابة بالأمراض القلبية والوعائية. وأجرى الباحثون في دراستهم الجديدة عدداً من التجارب الصغيرة على مرضى تم في كل منها تحليل دماء المشاركين قبل وبعد شرب محاليل خاصة تحتوي على العسل الطبيعي أو الجلوكوز أو عسل صناعي مكون من جلوكوز وفركتوز. ولاحظ الخبراء أن الأصحاء شهدوا انخفاضاً فورياً في مستويات الشحوم الثلاثية والكوليسترول الكلي والسيء بعد شرب محلول العسل الطبيعي فقط، ولم يلاحظ مثل هذا الانخفاض بعد شرب محلول الجلوكوز أو العسل الصناعي ودامت هذه التأثيرات الإيجابية لمدة 15 يوماً، وبعدها ارتفعت مستويات الكوليسترول الجيد وانخفضت مستويات الهوموسيستين المؤذي.

ونبه الباحثون إلى أن تأثير تناول العسل يومياً لمدة 15 يوماً كان ملحوظاً عند الأشخاص الذين يعانون من ارتفاع الكوليسترول أيضاً، إذ انخفضت النسبة للكوليسترول الكلية لديهم بنحو 8 في المائة ونسبة الكوليسترول الضار بنحو 11 في المائة ومستويات بروتين «سي» الالتهابي بأكثر من 57 في المائة.

ويؤكد الخبراء أن للعسل تأثيرات إيجابية فريدة على عوامل الخطر المسببة لأمراض القلب، ففي وقت قصير تمكن الأشخاص

الذين يعانون من ارتفاع الكوليسترول من تحقيق انخفاضات ملحوظة في مستوياته وفي مستويات المواد الالتهابية في الدم. وفي الوقت الذي يحذر فيه الخبراء من السكريات وخطورتها على القلب والشرابيين والصحة العامة للإنسان ثبت أن العسل ليس أمناً وحسب بل مفيداً للصحة وللقلب على وجه الخصوص.

لماذا لا نستطيع النوم

الأرق هو أمر عرضي وليس حالة، وهذه بعض المشاكل التي قد يتضمنها أو يكون مؤشراً عليها:

- القلق و/أو الاكتئاب. يعتبر الأرق مؤشراً متكرراً لهذين المرضين.
- الساعات البيولوجية المضطربة.
- يمكن أن يساعدك خبراء النوم على تعلم كيف تستغرق في النوم وتستيقظ في الأوقات المناسبة.
- مشكلة طبية. إذا كان لديك أرق فقم بإجراء فحص طبي للتأكد من خلوك من مرض ما، أو لعلاج ذلك المرض

الأثار الناجمة عن الأرق

أظهرت الدراسات ان المصابين بالأرق أكثر عرضة لمعاناة ما يلي:

- الإصابات والحوادث
- ضعف أنظمة المناعة
- اكتئاب شديد
- عدم القدرة على التقدم في العمل

استجلاب النوم

نعاني جميعاً في بعض الأحوال من ليالٍ لا نوم فيها، مما يجعلنا مرهقين يغلب علينا النكد وضيق الحلق والتذمر وسرعة الاحتياج. ويعاني أصحاب الأرق المزمن من آثار أقسى وأكثر حدة.



الدخول في النوم

- لا تفكر بإحداثيات اليوم بهوس أو استحواذ
- مارس تمارين بانتظام. وحيث أن التمارين تعتبر عامل تحفيز وتنشيط. عليك القيام بها في وقت مبكر، وليس قبل الايواء الى الفراش
- مارس اساليب الاسترخاء مثل التمدد والتأمل
- خفف من تعاطي الكافيين.
- وحاول تناول المشروبات العشبية المهدئة مثل البابونج
- حافظ على برنامج نوم منتظم

الحجامة



-٤-
وضع كؤوس الحجامة
في منطقة الكاهل لإحداث احتقان



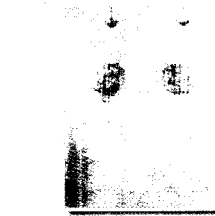
-٣-
منطقة الاحتقان الجلدي
التي أحدثها كأس الحجامة



-٢-
مرحلة وضع كأس الحجامة
لأحداث الاحتقان الدموي



-١-
رسم تخطيطي يحدد منطقة
الحجامة على الكاهل



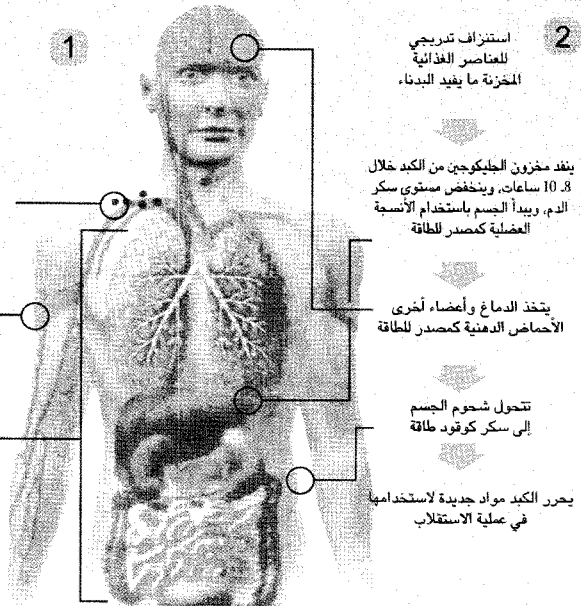
-٧-
التشطيبات الجراحية البسيطة
بعد انتهاء عملية سحب الدم الفاسد



-٦-
سحب الدم الهرم
بواسطة كأس الحجامة



-٥-
إجراء التشطيبات الجراحية السطحية
لإخراج الدم المحتقن الهرم



تفكيك وإزالة
السموم أو البقايا
المتضررة

تدخل الأنزيمات المتحررة في هذه
الأثناء من مهمة تفكيك الطعام،
مجرى الدم لإزالة النفايات
الاستقلابية، والخلايا الميتة أو
المتضررة، والملوثات والبكتيريا.

تتم تنقية وترميم الخلايا والأنسجة
ما يعزز قدرتها على امتصاص
الأكسجين والمواد الغذائية

يتم تنظيف الدم والنظام الليمفاوي من
الفضلات السامة، وفي مرحلة لاحقة
تتخلص الكليتين والمثانة والقولون
والرئتين والجلد من السموم.

يتنشط الجسم، وتعزز
الوظيفة المناعية والمقاومة
ضد الأمراض

استنزاف تدريجي
للعناصر الغذائية
المخزنة ما يفيد البدن.

ينفذ مخزون الجليكوجين من الكبد خلال
10.8 ساعات، وينخفض مستوى سكر
الدم، ويبدأ الجسم باستخدام الأنسجة
العضلية كمصدر للطاقة

يقتذ الدماغ وأعضاء أخرى
الأمحاض الدهنية كمصدر للطاقة

تتحول شحوم الجسم
إلى سكر كوقود طاقة

يحرر الكبد مواد جديدة لاستخدامها
في عملية الاستقلاب

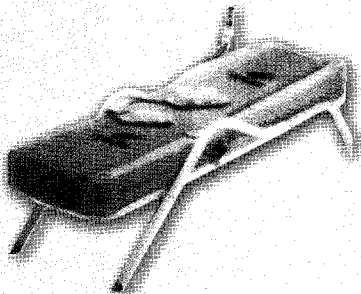
عملية التنظيف، وإزالة السموم الداخلية
تستهلك الكثير من طاقة الجسم، ما يؤدي
إلى التعب والاضطراب عند البعض

انخفاض الكتلة العضلية نتيجة التفكيك المطرد للبروتين، ويمكن أن
تتأثر عضلة القلب عند البعض

انخفاض ضغط الدم
عند البعض

أثار الصيام
على المرضى

سرير «سراجيم» يعالج الربو والسكري وتخفيف الآلام الظهر



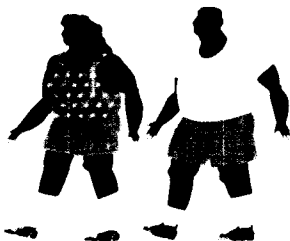
تمكن باحثون في ولاية شيكاغو الأمريكية من
تطوير سرير خاص بالتدليك قد يساعد في تخفيف
آلام الظهر والتعافي من أمراض الربو والسكري.
وأوضح المصنعون أن العلاج بسرير «سراجيم»
يحتاج من المريض النوم على ظهره بكامل ملابسه
على مجموعة من المساطر موجودة في الجهاز
ووضع مجسات حرارية على أجزاء الجسم المؤلمة
ثم تغطيتها بغطاء خاص على أن يستريح المريض
نحو 40 دقيقة.

ويعمل السرير بالتدليك الحراري والأشعة
تحت الحمراء والضغط على نقاط الأعصاب وينقل
الحرارة، فينبطش الدورة الدموية ويخلصها من
السموم ويعمل على تجديد الخلايا وتحفيزها.

المشي البطيئ مفيد لبعض الناس

ليس من الضروري بالنسبة للبدناء البالغين ان يمشوا بخفة وسرعة لحرق السعرات الحرارية، فقد وجدت ابحاث جديدة انهم يستطيعون حرق هذه السعرات بشكل اسرع عندما يمشون ببطء وتمهل.

يمكن للبدناء الذين يمشون بشكل اكثر فاعلية بشكل رشيق وبطيء ان يحرقوا سعرات حرارية اكثر



20 رجلا وامرأة من البدناء



20 رجلا وامرأة من الوزن العادي

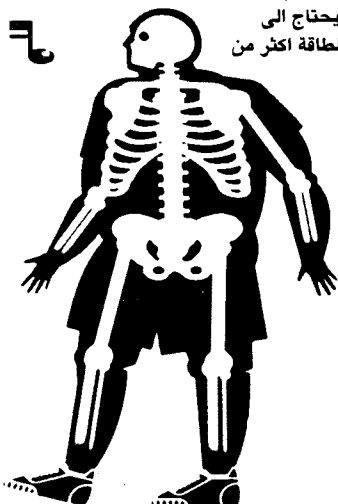
طريقة المشي قد توجد جوابا

يستخدم الشخص البدن حوالي 10٪ فقط من الطاقة اكثر من صاحب الوزن العادي

صاحب الوزن العادي الذي يستخدم اثقالا على الساق يصبح كالبدن ويحتاج الى حرق 50-100 في المائة من الطاقة اكثر من طريقته العادية في المشي



اسباب محتملة: لدى البدناء طرق لحفظ الطاقة اثناء المشي



يساعد ابقاء الركبتين بشكل مستقيم مع الهيكل العظمي الجسم على المشي بخطوات اقصر واسرع، وليست العضلات التي تسبب ذلك

المصادر والمراجع

كتاب الخطأ في الطب والطب البديل

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس.
- التاج الجامع للأصول - ناصف منصور علي.
- الأحكام النبوية في الصناعة الطبية - الكحل.
- القانون - ابن سينا.
- منافع الأغذية - الرازي.
- مختصر تاريخ الطب العربي - د. كمال سامرائي.
- علم العقاقير - تريز و إيفانز.
- علم الأدوية - د. عزة مريدن.
- الأمراض العام - د. مدني الخيمي.
- اللقط - ابن الجوزي.
- التنكرة - داوود الأنطاكي.
- تسهيل المنافع - الأزرق.
- المعتمد - التركماني.
- الأدوية المفردة - ابن البيطار.
- الطب النبوي - ابن القيم.
- الطب النبوي - د. ناظم النسيمي.
- الطب النبوي - الذهبي.

- موسوعة الفقه الإسلامي - د. وهبة الزحيلي.
- الابتهاج بخلاصة العلاج - عمر قبلان.
- المصطلح الأعجمي في كتب الطب و الصيدلة العربية - تونس - ابراهيم مراد.

- من وحي اليوغا - الصيدلي الياس أيوب.
- حافظوا على شبابكم - ديريابين - روسي.
- الصحة و التداوي باللون - ماري أندرسون - ترجمة فؤاد الأسطة.
- طبّب نفسك بنفسك بالريفلوكسولوجي - د. سامية عزام.
- دوريات: العربي، الفیصل، المجلة العربية.
- دورية "الصحة و الطب" - دار الخليج.
- النبات و الطب البديل - المؤلف.
- الطب البديل - المؤلف.
- الزيوت النباتية في العلاج الطبي - المؤلف.
- التنبؤ العلمي و مستقبل الإنسان - د. عبد المحسن صالح / عالم المعرفة ٤٨.

- بعض مخطوطات طبية.
- التداوي بالأعشاب - د. أمين رويحة.
- الجنوم - مات ريدلي ترجمة د. مصطفى ابراهيم فهمي / عالم المعرفة ٢٧٥.

- تاريخ الطب البدائي - د. شوكت الشطي.
- فضائيات.

- نشرات أبحاث عن المركز القومي في مصر.
- أبحاث و ندوات حول منتجات النحل - جامعة تشرين.
- الأعراض و التشخيص - د. حسني سبح.
- جميع الصور والرسوم مأخوذة من دورية "الصحة و الطب" - دار الخليج.
- The Herbes and Their uses /Deni- Bown.
- Medicine / Allen R.Myers,M.D.
- The British Pharmaceutical Code-1934.
- Handbook of Physician /Lange.
- Signs and Symptoms /Mac Bryde.
- Science Magazine / U.S.A.
- Mims Middle East.
- Handbook of Treatment /Lange.
- The Merck Manuel.
- Internet
- The Encyclopedia of popular Herbs- Robert.
- Dorland's Med. Dictionary.



كلمة شكر واعتذار

انتهى كتاب الخطأ في الطب والطب البديل ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر إلى العاملين في مركز الكريم الأول للحاسوب وعلى رأسهم السيدة فاطمة، وإلى العاملين في دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع وبخاصة الأستاذ محمد توحيد سعد الدين بسبب المعاناة التي عاينوها من التدقيق في المصطلحات الطبية والعلمية، والحرص على جودة التنسيق والإخراج، كي يصدر الكتاب بالشكل الأمثل المطلوب.

ومع ذلك فالكمال لله وحده، وأرجو المعذرة من القارئ الكريم، إذا ما وجد فيه هنات لا تخفى عليه. والله تعالى من وراء القصد.

المؤلف - د. توفيق

رمضان ١٤٢٨ هـ / تشرين أول - ٢٠٠٧ م



المؤلف في سطور

د. توفيق الحاج يحيى

- طبيب ممارس للطب الطبيعي والعشبي، منذ تخرجه من جامعة دمشق ١٩٦٤.
- عمل في مشافي ومراكز وزارة الصحة السورية، حتى تقاعد عام ٢٠٠٠، طبيباً داخلياً في مشفى القلمون، ومدير لمشفى يبرود.
- يعمل حالياً مستشاراً للطب الطبيعي والعشبي (البديل).
- له مؤلفات وندوات ومحاضرات عديدة في المجال المذكور، داخل القطر وخارجه.

أهم كتبه:

- كتاب (الهوايات والأهواء) إصدار دار الفكر دمشق
- كتاب (الطب البديل) إصدار دار الفكر - دمشق.
- طُبع ثلاث مرات ١٩٩٥ - ٢٠٠١ - ٢٠٠٢.
- كتاب (النبات والطب البديل) إصدار الدار العربية للعلوم - بيروت.
- كتاب (أمراض الجهاز البولي بين الطب والطب البديل)
- بالإشتراك مع جراح بولية.
- كتاب (أمراض العصر بين الطب والطب البديل).
- كتاب (الزيوت النباتية في العلاج الطبي).
- كتاب (الخطأ في الطب والطب البديل) إصدار دار سعد الدين دمشق.

